شعراء وادباء العصر العبّاسي

في سامراء

تأليف - عبد الرزاق البدري

مراجعة وتقديم - جمال عبد الرزاق البدري

دار القادسية

شعراء وأدباء

العصر العباسي في سامراء

٢٢٢ ـ ٢٧٤ هـ

تأليف

عبدالرزاق البدري

مراجعة واشراف

جمال عبدالرزاق البدري

مقدمة :

هذا كتاب في الادب والشعر العربي في العصر العباسي في سامراء عاصمة الدولة العباسية خلال القرن الثالث الهجري . وهي مرحلة تشكل نقلة نوعية في التاريخ العربي الاسلامي تمتد بين «٢٢٣هـ ـ ٢٧٤هـ» .

لقد تم الترجمة في هذا الكتاب لسبعة عشر شاعرا واديبا عاشوا تلك الفترة في سر من رأى ، وتأثروا بتلك البيئة وبظروفها السياسية والاجتماعية والثقافية ..

ان مشروع هذا الكتاب قد تم منذ اكثر من عشرين سنة مضت .. واذا اكتفينا بنشر هذه المجموعة من الشعراء والادباء فأن المرجو ان تتاح الفرصة لاكمال المشروع بجزء آخر ، حيث هناك اكثر من خمسين شاعرا واديبا عاشوا في مدينة سامراء ابان تلك الفترة التاريخية لعلنا بعون الله ان نكمل هذا المشروع الضخم في قابلات الايام لتقديم خدمة جليلة لمحبي ودارسي الشعر والادب العربي بالشكل المرضي ..

ان هذه المرحلة المهمة من الادب العربي لم تنل الا القسط اليسير من عناية الباحثين والدارسين وانا لنتمنى ان تكون دراستنا هذه بداية لدراسات وبحوث اوسع على هذا الطريق ..

واما المترجم لهم في هذا الجزء فهم :

١ ـ ابراهيم بن المدبر

٢ ـ ابراهيم بن العباس الصولي

٣ ـ أحمد البلاذري

٤ ـ ابراهيم بن المهدي

٥ ـ أحمد بن عبيد النحوي

٦ ـ ابن حماد

٧ ـ الحسن بن عليل

٨ ـ أحمد بن ابراهيم بن حمدون

٩ ـ ابن ابي فنن

١٠ ـ أحمد بن محمد السهيلي

١١ ـ أبو العيناء

١٢ ـ محمد بن زياد الاعرابي

١٣ ـ أحمد بن جعفر الملقب بجحظه

١٤ ـ الحسين بن الضحاك ـ الخليع ـ

١٥ ـ أبو تمام الطائي

١٦ ـ البحتري

١٧ ـ جعفر بن قدامة

واخيرا ارجو ان ينال هذا الجهد ـ لوالدي العزيز ـ « رحمه الله » ما يستحقه من اهتمام على طريق خدمة العلم والادب والتاريخ ...

ومن الله تعالى النجاح والتوفيق ،،،

جمال عبدالرزاق شاكر

البدري

بغداد في ١٩٨٥/١/٢

ابراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر

الملقب أبو اسحاق الكاتب

انه علم من اعلام الشعراء والادباء والكتـاب ذو الجـاه العريض والمتصرف في كبار الاعمال ومذكور الولايات . كانت له التقدمة السامقه لدى الخلفاء العباسيين .

وعنه يحدثنا معجم الادباء فيقول (الاديب الفاضل . الشاعر الجواد المترسل صاحب النظم الرائق . والنثر الفائق . تولى الولايات الجليله تم وزر للمعتمد على الله لما خرج من (سر من رأىٰ) يريد مصر . ومات في سنة تسع وسبعين ومائتين وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضياع ببغداد .

وأصله من (ستمسيان) وكان يدعى انـه من ضبه واخوه أحمد من جلة الكتاب وافاضلهم وكرامهم . وحسدته الكتاب على منزلته من السلطان فاغروه به حتى اخرجه الى دمشق متوليا عليها وناظرا في تحصيل اموالهـا وقبله ابن طولون في أمر قد ذكرته في كتابي التاريخ ـ ويقول ابن النديم في الفهرست (أحمد ومحمد وابراهيم وجميعهم شاعر مترسـل بليغ ولاحمد كتاب المجالسـه والمذاكـرة . وقد جـاء في حاشـية معجم الادباء (١) ، بعض من ترجمته مقتطفة من كتاب الاغاني وهذا نصها :

(هو أبو اسحاق ابراهيم بن المدبر . شاعر . كاتب . متقدم . من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوى الجاه والمتصرفين في كبار الاعمال ومذكور الولايات . وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله وكانت بينه وبين عريب حال مشهورة كان يهواها وتهواه ولهما في ذلك اخبار كثيره . أخبرني أحمد بن جعفر جحظه قال : حدثني ابراهيم بن المدبر قال : مرض المتوكل مرضه خيف عليه منها ثم عوفي واذن للناس في الوصـول اليه فدخلوا على طبقاتهم كافه ودخلت معهم فلما رآني استدناني حتى قمت وراء الفتح وتظر الي مستنطقا فانشدته :

---

(١) معجم الادباء ج : ١ ص ٢٢٦ ط الاخيرة وزارة المعارف العمومية م عيسى البابي الفهرست ص ١٧٨ المطبعة الرحمانية حاشية المعجم ص ٢٢٦ و٢٢٧.

يوم اتانا بالســــرور   فالحمد لله الكبــــير

اخلصت فيه شــــكره   ووفيت فيه بالنــــذور

لما اعتللت تصــــدعت   شعب القلوب من الصــدور

من بين ملتهب الفــــؤا   د وبين مكتئب الضمــــير

يا عدتي للدين والدنيــــا   وللخطــــب الخطــــير

كانت جفوني تــــرة الآ   ماق بالدمع الغــــزير

لو لم امت جزعا لعمـــر   ك أنني عين الصــــبور

يومى هنالك كالســـنين   وساعتي مثل الشــــهور

يا جعفر المتوكل العـــالي   على البدر المنــــير

اليوم عاد الدين غــــض   العود ذا ورق نضــــير

واليوم اصبحت الخلافـــة   وهي ارسى من تبــــير

قد حالفتك وعاقدتـــك   على مطاولة الدهــــور

يا رحمة للعالمــــين   ويا ضياء المســــتنير

يا حجـــة الله التي   ظهرت له بهدى ونــــور

لله انت فما نشـــــا   هد منك من كرم وخــير

حتى تقول ومن بقـــر   بك من ولى أو نصــــير

البدر ينطق بينـــنا   ام جعفر فوق الســــرير

فاذا تواترت العظـــا   ئم كنت منقطع النضــــير

اذا تعذرت العطــــا   يا كنت فياض البحــــور

تمضي الصواب بـــلا وز   ير أو ظهيرا أو مشــــير

فقال المتوكل للفتح : ان ابراهيم لينطق عن نية خالصة وود محض ! قضينا حقه فتقدم بان يحمل اليه الساعه خمسون الف درهم وتقدم الى عبيدالله بن يحي بأن يوليه عملا سريا ينتفع به ..

ونعود ثانية الى ركب معجم البلدان (٢) وننصت اليه لنسمعه بماذا يحدثنا قال : وابراهيم بن المدبر هو القائل في ابراهيم بن العباس الصولي يهجوه :

عز الطويل عن الازمه   لا رده ربي بذمه
ان كان طال فانه   من اقصر الثقلين همه
هب كنت صولا نفسه   من كان صول ناك امه

ومن شعره ايضا :

يا كاشف الكرب بعد شدته   ومنزل الغيث بعد ما قنطوا
لا تبل قلبي بشحط بينهم   فالموت دان اذا هم شحطوا

هذا وكما انه قلب في قيمة ابراهيم ابن العباس الصولي وتعرض به على اقبح صوره يمجها الذوق السليم فأن هنالك من الشعراء من اسمعه الجواب وتغلغل في ذاتيته يفد منها كما يفد الحجار الصخر غير مبال ومعجم الادباء (٣) هو الذي يفض علينا ذلك حيث يقول : وقال مخلد بن علي الشامي الحوراني يهجو ابن المدبر .

على ابوابه من كل وجه   قصدت له اخو مر بن أد

يعني ضبه بن أد يعي ابوابه مضببه باللؤم أو محكمه عن الخير وكان ابن المدبر ينسب الى ضبه :

اخو لخم اعارك منه ثوبا   هنيئا بالقميص لك الاجد

واخو لخم يريد جذاما :

---

(٢) ص ٢٢٨ ج : ١
(٣) نفس المصدر

ابوك اراد امك حين زفـــت　　فلم توجد لامك بنت ســـــعد

بنت سعد يريد عذره بن سعد بن هذيم القبيلة المعروفة هذا والمراد بالقدرة هنا : اصل البكاره ــ لم يجد لها بكاره ..

وز بد في الهجاء بغـــير دال　　احب اليك من عسل بزبـــد
رايتك لا تحب الـــــود الا　　اذا ما كان من عصب وجلـــد
اراني الله عرك في الجعـــبي　　وعينك عين بشار بن بـــرد

وان معاني هذه الابيات واضحه لا تحتاج الى شرح وتعليق . فانهـا الادب المكشوف في الهجاء المقذع .

ولو قارنا بين ابياته في الهجاء لابراهيم بن العباس الشـاعر الاديب المعروف الذي سأحدثك عنه وبين ما هجاه مخلد بن علي الشامي لرأينا اقذاعا وقرضا في العرض اكثر بكثير مما قاله هو .

ابراهيم بن المدبر وضيفه الشاعر :

قال العطوى الشاعر : أتيت ابراهيم بن المدبر . فاستأذنت عليه فلم يأذن لي حاجبه فاخذت ورقة وكتبت فيها :

أتيتك مشتاقا فلم أر جالســا　　ولا ناظرا الا بوجه قطـــوب
كأني غريم مقتض أو كأنـــني　　نهوض حبيب أو حضـــور رقيب

فسألت الحاجب حتى اوصلها اليه : فلما قرأها قال : ويحك ، ادخل علي هذا الرجل . فدخلت فاكرمني وقض حوائجي(٤)

وقبل ان ننتقل الى موضوع آخر نشير اشارة خفيفة ونقارن مقارنة بسيطة بين هذه الحادثه وبين ما هجى بـه . والذي يلـوح لى ان ابراهيم ابن المدبر كان كثير الرفد والوفد وان هذه الكثرة تكاد تشغله من ناحيـة وتحمله الديون واتراب ذات اليد من جهـة ثانية . فكان يضـع الحجاب

(٤) معجم الادباء ج : ١ ص ٢٢٩

ليتفرغ لاعماله ولكن الجشع الذي كان يسيطر على نفوس الشعراء واستجدائهم الاموال بالحاف حدا بالمخلد الشامي ان يتحامل عليه هذا التحامل الذي لا يقره من له ادنى شرف • واني لا اريد ان ادافع عنه • فأن الدفاع لا يجدي شيئا بعد هذه الوخزات المؤلمه وتسجيلها في كتب الادب ولكن الرجل لم يكن ممن يستحق هذه الالفاظ الشائنة لان معجم الادباء قد وصفه وصفا شريفا فقال الاديب الفاضل الشاعر الجواد تولى الولايات الجليله ووزر المعتمد •

كما ان صاحب الاغاني قال عنه انه من وجوه كتاب العراق ومتقدميهم وذوي الجاه والمتصرفين في كبار الاعمال •

ابراهيم بن المدبر وعريب :

لا اريد في هذه المقدمة ان اشرح شرحا مستفيضا العصر الذي عاش فيه ابراهيم بن المدبر • ولكني اطوف حول السبب الذي حدا بهذا الشاعر المترسل ذي الجاه العريض المتصرف في كبار الاعمال في أن يتعلق قلبه بمغنية• بينما كان في ميسوره ان يجعلها تحت تصرفه بما يبذله لها من الاموال الطائله التي كانت بميسوره ••

ولكن لما كان الانسان بطبيعته ميالا الى النشوة والفرح لاسيما اذا كانت اسباب العيش الرغيد متوفره وهذه النشوه لا تتم الا بالغناء نرى ابراهيم لما حاز هذه الشروط تعلق قلبه بعريب المغنيه • ولهذا يقولون (ان في الغناء خفه ونشوه تصل الى الاسماع فنرق لها ونطرب وفي الغزل حياة حلوة جميلة تعيش فيها قلوب المحبين وهي غرده مبتهجه ومن ذا الذي لا تروقه تلك الحياة وفي الغزل ذكريات يصف فيها الشعراء حال المحبين وقد يجد الناس فيها صورا من حياتهم التي نعموا منها بظلال الحب فهم يطربون ويسعدون لان هذه الحال توافق حالتهم ولان هذا الشعور صورة من شعورهم ••

وان للحب طموحا يدفعه هذا الطموح الى الكد والجد والعمل حتى

يصل في حبه الى تحقيق ما يريد • ولهذا نرى بعض المنصفين يقولون في الحب لذه ومتعه • تدفع بالاحباب ان يضحوا بالغالي والرخيص ••

في الحب صفاء ووفاء يدفع بالمحبين ان يضحوا بما ملكت ايديهم ولو كانت ارواحهم وهي اغلى ما في الوجود ••

في الحب اعمال تتطلب الجهاد العنيف والعزم القوي والتضحيه البالغه والشجاعة النادرة •

وفي حياة الحب سمو وفن وجمال ولا يحيا هذه الحياة ولا ينعم بظلالها الوارفه الكريمة الا الاذكياء النابهون •

الحب طموح والطموح كما يقول علماء اللغة هو الرغبة في الوصول الى الامل البعيد وفي سبيل تحقيق هذا الامل لابد ان يركب صاحبه الاخطار والاهوال والرجل الطموح تهون امامه عظائم الامور • وابراهيم بن المدبر لما كان شاعرا مطبوعا رفيقا صافي النفس لابد له ان يتخذ هدفا يطمح اليه ليروض نفسه على تحمل المصاعب والمشاق لاسيما وانه قد دخل في تقلد ولايات الدولة • لذا نراه يتخذ عريبا حبيبته يتغنى فيها في شعره ويشحذ فكره فيها • يتحمل المصاعب ويسهر الليالي في سبيلها وما ساقه ذلك الا الطموح والطموح وحده ••

حفلة ختان :

قبل ان نورد علاقة مترجمنا بهذه الحفله العظيمة يروق لنا ان نصف هذه الحفله وصفا دقيقا وان خير من يحدثنا عنها هو كتاب الديارات للشابتي(٥) قال دير السوسي : وهذا الدير لطيف على شاطيء دجلة بقادسية سر من رأى وبين القادسية وسر من رأى اربعة فراسخ والمطيره بينهما •

والقادسية من احسن المواضع وانزهها وهي من معادن الشراب ومناخات

(٥) « الديارات » ص ٩٦ تحقيق الاستاذ كوركيس عواد ــ مدير مكتبة الاثار العامة ببغداد سابقا ــ المطبوع سنة ١٩٥١ بمساعدة المجمع العلمي العراقي م : المعارف بغداد

المنطرفين جامعة لما يطلب اهل البطاله والخسارة .

وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف (ببركوار) ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتز ، وجعل اعذاره فيه ، وكان من احسن ابنية المتوكل واجلها . وبلغت النفقه عليه.عشرين الف الف درهم .

قال : ولما صح عزمه على اعذار ابي عبدالله المعتز ، امر الفتح بن خاقان بالتأهب له وان يلتمس في خزائن البسط بساطا للايوان في عرضه وطوله . وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا . فلم يوجد الا فيما قبض عن بنى اميه ، فانه وجد في امتعة هشام بن عبيد الملك على طول الديوان وعرضه . وكان بساطا ابريسميا غرز مذهب مغروز مبطن ، فلما رآه المتوكل اعجب به واراد ان يعرف قيمته ، فجمع عليه التجار ، فذكر انه قوم على أوسط القيم عشرة الاف دينار ، فبسط في الايوان ، وبسط للخليفة في صدر الايوان سرير ، ومد بين يديه اربعة الاف مرفع ذهب مرصعة بالجوهر فيها تماثيل العنبر والند والكافور المعمول على مثل الصور ، منها ما هو مرصع بالجوهر مفردا ومنه ما عليه ذهب وجوهره وجعلت بساطا ممدودا ، وتغذى المتوكل والناس ، وجلس على السرير ، واحضر الامراء والقواد والندماء واصحاب المراتب فأجلسوا على مراتبهم ، وجعل بين صوانيهم والسماط فرجة . وجاء الفراشون بزبل (٦) قد غشبب بأدم مملوءه دنانير ودراهم نصفين ، فصبت في تلك الفرج حتى ارتفعت واقام الغلمان فوقها ، وامروا الناس عن الخليفة بالشرب ، وان ينتقل كل من يشرب بثلاث حفنات ما حملت يداه من ذلك المال . فكان اذا اثقل الواحد منهم ما اجتمع في كمه اخرجه الى غلمانه فدفعه اليهم وعاد الى مجلسه . وكلما فرغ موضع أتى الفراشون بما يملأونه به حتى يعود الى حاله ، وخلع على سائر من حضر

(٦) الزبل ، واحدها : الزبيل ، القفة الصغيرة او الوعاء ا هـ كوركيس عواد ـ حاشية الديارات رقم (٤) ص ٩٧

ثلاث خلع كل واحد واقاموا الى أن صليت العصر والمغرب وحملوا عند انصرافهم على الافراس والشهاري • واعتق المتوكل عن المعتز الف عبد ، وأمر لكل واحد منهم بمائة درهم وثلاثة اثواب • وكان في صحن الدار بين يدى الايوان اربعمائة بليه عليهن انواع الثياب وبين يديهن الف نبيجة خيزران فيها انواع الفواكه من الاترج والنازبح على قلته في ذلك الوقت والتفاح الشامي والليمون وخمسة الاف باقه نرجس وعشرة الاف باقه بنفسج • وتقدم الى الفتح بأن نثر على البليات وخدم الدار والحاشية ما كان اعده لهم وهو عشرون الف الف درهم فلم يقدم احد على التقاط شيء فأخذ الفتح درهما ، فأكبت الجماعة على المال فنهب • وكانت قبيحه قد تقدمت بان تضرب دراهم عليها (بركة من الله ، لاعذاء ابي عبدالله المعتز بالله) فضرب لها الف درهم نثرت على المزين ومن في حيزه من الغلمان والشاكريه وقهارمة الدار والخدم الخاصة من البيضان والسودان •

وكان ممن حضر المجلس ذلك اليوم محمد بن المنتصر وابو احمد وابو سليمان ابنا الرشيد واحمد والعباس ابنا المعتصم وموسى بن المأمون ، وابنا حمدون النديم واحمد بن ابي رؤيم والحسين بن الضحاك وعلي بن الجهم ، وعلي بن يحي المنجم ، واخوه احمد •

ومن المغنين : عمرو بن بانه ، احمد بن ابي العلاء ، ابن الحفصي ، ابن المالكي ، سلك الرازي ، عثعث ، سليمان الطبال ، المسدود ، ابو حشيشه ، ابن القصار ، صالح الدفاف ، زنام الزامر ، تفاح الزامر •

ومن المغنيات : عريب ، بدعه جاريتها ، سراب ، شاريه وجواريها ، ندمان ، منعم ، نجله ، تركيه ، فريده ، عرفان •

قال ابراهيم بن المدبر : لما ظهر المعتز ، اجتمع مشايخ الكتاب بين يدى المتوكل ، وكان فيهم يحي بن خاقان ، وابنه عبيدالله اذ ذاك الوزير ، وهو

واقف موقف الخدم بقباء ومنطقه ، وكان يحي لا يشرب النبيذ . فقال المتوكل لعبيد الله : خذ قدحا من تلك الاقداح واصبب فيه نبيذا وصبر على كتفك منديلا وامض الى ابيك يحي فضعه في كفه ، قال : ففعل ، فرفع يحي رأسه الى ابنه ، فقال المتوكل ، يا يحي لا ترده ، قال : لا يا أمير المؤمنين ، ثم شربه وقال : قد جلت نعمتك عندنا يا أمير المؤمنين . فهنأك الله النعمه ولا سلبنا ما انعم به علينا منك . فقال : يا يحي ، انما اردت ان يخدمك وزير بين يدى خليفه في طهور ولي عهد .

قال ابراهيم بن العباس : سألت ابا حرمله المزين في هذا اليوم ، فقلت : كم حصل لك الى ان وضع الطعام ؟ فقال : نيف وثمانون الف درهم، سوى الصياغات والخواتيم والجواهر والعدات .

قال : واقام المتوكل ببركوار ثلاثة ايام ، ثم أصعد الى قصره الجعفري وتقدم باحضار ابراهيم ابن العباس وامره ان يعمل له عملا بما انفق في هذا الاعذار ويعرضه عليه ، ففعل ذلك . فاشتمل العمل على ستة وثمانين الف الف درهم .

من هي عريب ؟

أختلف الرواة فيها ويحدثنا كتاب الاغاني (٧) عن هذا الاختلاف فمرة يقول : كانت عريب لعبدالله بن اسماعيل صاحب مراكب الرشيد وهو الذي رباها وأدبها وعلمها الغناء ....

وقال مرة ثانية : انها بنت جعفر بن يحي وان البرامكه لما انتهبوا سرقت وهي صغيره وان أم عريب كانت تسمى فاطمه وكانت قينة لام عبدالله بن يحي بن خالد وكانت صبيه نظيفه فرآها جعفر بن يحي فهويها وسأل أم عبدالله ان تزوجه اياها ففعلت وبلغ الخبر يحي بن خالد فأنكره وقال له اتتزوج من لا يعرف لها أم ولا أب ؟ أشتر مكانها مائة جارية واخرجها

(٧) الاغاني جـ : ١٨ و١٩ ص ١٧٥ و١١٦ السادس

فأخرجها واسكنها دارا في ناحية باب الانبار سرا من أبيه ووكل بها من يحفظها وكان يتردد اليها فولدت عريبا في سنة احدى وثمانين الى ان ماتت ستا وتسعين سنه ، وماتت أم عريب في حياة جعفر فدفعها الى امرأة نصرانيه وجعلها داية لها فلما حدثت الحادثه بالبرامكه باعتها من سبنس فباعها في المراكبي .

ويقصد هذا الرأي ابن المعتز كما اخبره يوسف بن يعقوب انه سمع الفضل بن مروان يقول كنت اذا نظرت الى قدمي عريب شبهتها بقدمي جعفر بن يحي ، وقال : سمعت من يحكي ان بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتاب قال : فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحي . ويقصد قوله بدليل آخر فيقول : أخبرني جحظه قال : دخلت على عريب مع شروين المغني وابي العبين بن حمدون وأنا يومئذ غلام على قباء ومنطقته فأفكرتني وسألت عني فأخبرها شروين وقال : هذا فتى من اهلك هذا ابن جعفر بن موسى بن يحي بن خالد وهو يغني بالطنبور فأدنتني وقربت مجلسي ودعت بطنبور وأمرتني بأن اغني فغنيت اصواتا فقالت : قد أحسنت يا بني ولتكونن مغنيا ولكن اذا حضرت بين هذين الاسدين ضعت أنت وطنبورك بين عوديهما وأمرت لي بخمسين دينارا .

ويذكر رواة الادب انها عاشت مع الامين والمأمون ابنى هارون الرشيد وتنقلت الى كثير من الشعراء وصاحبها من صاحبها لجمالها وحسن غنائها وكتاب الاغاني حافل بهذا الموضوع نضرب عنه صفحا .

وكان المعتصم قد اشتراها واعتقها فهى مولاته ولما انتقل المعتصم بالخلافه الى سامراء انتقلت مع من انتقل من الاهلين .

وقد وصفها صاحب الاغاني بقوله : كانت عريب مغنية محسنه وشاعره صالحة الشعر وكانت مليحه الحظ والمذهب في الكلام ونهاية في الحسن

الجمال والظرف وحسن الصوره وجودة الضرب واتقان الصنعه والمعرفة بالنغم والاوتار والرواية للشعر والادب لم يتعلق بها أحد من نظراتها ولا رؤي في النساء بعد القيان الحجازيات القديمات مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء وصفناها ما ليس لهن مما يكون لمثلها من جواري الخلفاء ومن نشأ في قصور الخلافة وغذى برقيق العيش الذي لا يدانيه عيش الحجاز والنشيء بين العامة والعرب الجفاة ومن غلظ طبعه وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته الى غيره .

ضبط الشهادة

اخبرني محمد بن خلف وكبع قال : قال لي ابي : ما رأيت أمرأة اغرب من عريب ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجها ولا أخف روحا ولا أحسن خطابا ولا أسرع جوابا ولا العب بالشطرنج والنرد ولا أجمع لخصلة حسنه لم أر مثلها في أمرأة غيرها .

الفن يفقد الاحساس بالالم

قال ابن المعتز : حدثني الاسدي ، قال : حدثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف أبن عقرانه ، قال : تماري خالي ابو علي مع المأمون في صوت، فقال المأمون : أين عريب ؟ فجاءت وهي محمومه فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها ، فقال لها : غنيه فولت لتجيء بعود ، فقال : غنيه بغير عود فاعتمدت على الحائط للحمى وغنت فأقبلت عقرب فرأيتها قد لسعت مرتين او ثلاثا فما تحث يدها حتى فرغت من الصوت ثم سقطت وقد غشى عليها .

وفاء بالوعد

قال الفضل بن العباس بن المأمون : زارني عريب يوما معها عدة من جواريها فوافتنا ونحن على شرابنا فتمادينا ساعة وسألتها ان تقيم عندي فأبت وقالت : قد دعاني جماعة من اخواني من أهل الادب والظرف وهم مجتمعون في جزيرة المؤيد فيهم ابراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحي بن عيسى من

مناره وقد عزمت على المسير اليهم ، فحلفت عليها فأقامت عندنا ودعت بدواة وقرطاس فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة لم تزد عليها ، فأخذ ابراهيم بن المدبر الرقعه وكتب تحت اردت ، ليت ، وتحت لولا ، ماذا ، وتحت لعلي ، أرجو ، ووجهوا بالرقعه فضعفت ونعرت وشربت رطلا وقالت لنا : أأثرت هؤلاء واقعد عندكم اذا تركني الله من يديه ولكني اخلف عندكم من جواري من يكفيكم واقوم اليهم ففعلت ذلك وخلفت عندنا بعض جواريها واخذت معها بعضهن وانصرفت .

تشوق عريب الى ابن المدبر

حدث جعفر بن مقداد قال كتبت عريبة من سر من رأى الى ابراهيم بن المدبر كتابا تتشوقه وتخبره باشيحاتها له واهتمامها بأمره وأنها قد سألت الخليفة في أمره فوعدها بما تحب فأجابها عن كتابها وكتب في آخر الكتاب :

لعمرك ما صوت بديع لمعبد ... بأحسن عندي من كتاب عريب
تأملت في أثنائه خط كاتب ... ورقة مشتاق ولفظ خطيب
وراجعني من وصلها ما استرقني ... وزهدني في وصل كل حبيب
فصرت لها عبدا مقرا يملكها ... ومستمسكا من ودها بنصيب

ابراهيم بن العباس الصولي

أهم المراجع الادبية والتاريخية تحفل بترجمته فهو شاعر مطبوع عاش في سامراء بين قصور الخلفاء ومات في سامراء ودفن في سامراء ترجم له في سلم الوصول(١) بما يأتي :

(ابراهيم بن العباس بن صول تكين الصولي الشاعر المتوفى بسر من رأى في شعبان سنة ثلاث واربعين ومائتين ، كان شاعرا ماهرا له ديوان صغير كله منتخب ، ونثره بديع ، واكثر شعره من ثلاثة ابيات الى العشرة وكان صول مالك جرجان تركيا تمجس ؛ وجده محمد احد أجلة الدعاة قتله عبدالله بن علي عم العباس ، واتصل الصولي واخوه عبد الله بالوزير الفضل ، ثم تنقل في الاعمال الى ان مات ، ذكره بن خلكان ..

اما ابن خلكان فقد ترجم له ترجمة طويلة نقتطف منها ما يأتي(٢) :

كان احد الشعراء المجيدين ، وله ديوان شعر كله نخب ، وهو صغير ، وكان يقول ما اتكلت في مكاتبتي قط الا على ما يجلبه خاطري ويجيش به صدري ، الا قولي « وصار ما بحرزهم يبرزهم ، وما كان يعقلهم يعتقلهم » وقولي في رسالة اخرى « فانزلوه من معقل الى عقال وبدلوه آجالا من آمال » فأني المت بقولي اجالا من امال بقول مسلم بن الوليد الانصاري المعروف بصريع الغواني وهو :

---

(١) سلم الوصول ص ٢١ .
(٢) وفيات الاعيان ج : ١ ص ٢٥ ط : ١ م : السعادة .

موف على مهج في يوم ذي رهـج كأنه اجل يسعى الى أمـل

وفي المعقل والعقال بقول ابي تمام :

فان باشر الاصحار فالبيض والقنا قراه واحواض المنايا مناهله

وان بين حيطانا عليه فانما اولئك عقالاته لا معاقله

والا فاعلمه بانك ساخط عليه فان الخوف لاشك قاتله

وهو ابن اخت العباس بن الاحنف الحنفي الشاعر المشهور ونسبته الى جده صول المذكور ، وكان احد ملوك جرجان ، واسلم على يد يزيد بن المهلب بن ابي صفره ، وقال الحافظ ابو القاسم حمزه بن يوسف السهمي في تاريخ جرجان : الصولي جرجاني الاصل ، وصول من بعض ضياع جرجان ويقال لها (جول) وهو عم والد ابي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي صاحب كتاب « الوزراء » وغيره من المصنفات فانهما يجتمعان في العباس المذكور •

وقد ذكره ابو عبد الله بن داود ابن الجراح في كتاب « الورقة » فقال : ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، بغدادي في اصله من خراسان ، يكن ابا اسحاق ، اشعر نظرائه الكتاب وارقهم لسانا واشعاره قصار ثلاثة ابيات ونحوها الى العشرة ، وهو انبت الناس للزمان واهله غير مدافع ، واصله تركي ، وكان صول وفيروز أخوين ملكا جرجان ، تركيان ، تجسا وصارا اشباه الفرس ، فلما حضر يزيد بن المهلب بن ابي صفره جرجان امنهما فلم يزل صول معه ، واسلم على يده حتى قتل معه يوم العقر (٣) •

---

(٣) العقر ـ بفتح العين وسكون القاف ـ اسم لعدة مواضع ، منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ، وفي الموضع قتل يزيد بن المهلب بن ابي صفره في

وقد ترجم له ابن النديم في الفهرست (٤) فقال : ابو اسحاق بن العباس بن محمد بن صول الكاتب احد البلغاء والشعراء الفحصاء وكان اليه ديوان الرسائل في مدة جماعة من الخلفاء وكان ظريفا نبيلا . وله من الكتب كتاب رسائل كتاب الدولة كتاب الطبيخ كتاب العطر . وقد افاض معجم الادباء (٥) في ترجمته افاضة واسعة ولما كانت هذه الترجمة قد اشبهت التراجم التي قدمتها غير ان فيها زيادة نقتطف منها ما يأتي :

هو ابراهيم بن العباس بن محمد بن الصول ، مولي يزيد بن المهلب كنيته ابو اسحاق مات في شعبان سنة ثلاث واربعين ومائتين بسامراء وهو يتولى ديوان النفقات والضياع ، مولده سنة ست وسبعين ومائه وقبل سنة سبع وستين .

وذكر الصولي ان صولا جده شهد الحرب مع يزيد بن المهلب وان يزيد وجد مقتولا بلا طعنة ولا ضربه ، انسدت اذناه ومنخراه وا... بغبار العسكر فمات فلا يعرف مثله قتيل غبار قال : ومعه قتل صول و... من اصحابه وغلمانه .

وكان احمد بن يحي ثعلب يقول : ابراهيم بن العباس اشعر ... وما روى شعر كاتب غيره وكان يستجيد قوله :

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا	ويفتر عنها ارضها وسماؤها
فمن دونها ان تستباح دماؤنا	ومن دوننا ان تستذم دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها	وايسر خطب يوم حق فناؤها

عام اثنين ومائه من الهجرة وكان دعا الى نفسه وخلع طاعة بني مروان واتبعه اهل البصرة والاهواز وفارس فندب له يزيد بن عبد الملك بن مروان اخاه مسلمه بن عبد الملك فوافقة بالعقر من ارض بابل فقتل يزيد فيه . ا هـ حاشية وفيات الاعيان .

(٤) الفهرست ص ١٧٦ .

(٥) معجم الادباء ص ١٦٤ ج ١ .

ويقول : والله لو ان هذا لبعض الاوائل لاستجيد له(٦) •

شهادة واقعية :

من باب تحصيل الحاصل اذا قلنا ان الشعراء يعتزون بانفسهم وان كل واحد منهم يرى شاعريته هي ذات القمه والحبك والابداع والتصوير • غير انهم عندما يقفون امام شاعرية الصولي تفيض على السنهم الشهادة التي تحطم هذا الاعتزاز وهذه الشهادة هي : كما قالها ابو تمام وذكرها في الفهرست : « لولا ان همة ابراهيم سمت به الى خدمة السلاطين لما ترك لشاعر خبزا يعني لجودة شعره » (٧) •

اما شهادة دعبل كما وردت في معجم الادباء (٨) ، وان وردت بلفظ آخر الا انها لا تختلف في معناها عن قول ابي تمام ، قال وكان دعبل يقول لو تكسب ابراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء وتعجب من قوله :

ان امرا ضن بمعروفه عني لمبذول له عذري
ما انا بالراغب في خيره ان كان لا يرغب في شكري

ويظهر ان هذه الشهادة خاصة بدعبل بن علي الخزاعي حيث ان صاحب وفيات الاعيان (٩) ، قد اوردها نصا كما ذكرها صاحب معجم الادباء واليك هذا النص قال : قال دعبل بن علي الخزاعي : لو تكسب ابراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء ••

اصدقاء ابراهيم الصولي ومنافسوه :

وكان ابراهيم صديقا لمحمد بن عبد الملك الزيات ، فولي محمد الوزاره

---

(٦) معجم الادباء ج : ١ ص ١٧٩ و١٨٠ •
(٧) الفهرست ص ١٧٦ •
(٨) معجم الادباء ج : ١ ص ١٦٨ •
(٩) وفيات الاعيان ج : ١ ص ٢٨ •

ابراهيم على الاحواز ، فقصده ووجه اليه بابي الجهم احمد بن سيف وامره بكشفه ، فتحامل عليه تحاملا شديدا ، فكتب ابراهيم الى محمد بن عبدالملك :

واني لارجو بعد هذا محمــــدا لافضــل ما يرجـى أخ ووزيــــر

فأقام محمد على امره ، ولج ابو الجهم في التحامل عليه ، فكتب ابراهيم الى ابن الزيات ، يشكو اليه ابا الجهم ، ويقول : هو كافر لا يبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

تركت عبيد بني ساهـــــــــــر وقد ملأوا الارض عرضا وطـــولا

ودخل عليه احمد بن المدبر بعد خلاصه من النكبة مهنئا ، وكان استعان به في امر النكبه فقعد عنه وبلغه انه كان يســعى ويحرض عليه ابن الزيات فقال :

وكنت اخي بالدهر حتى اذا نبـــا نبوت فلما عاد عدت مع الدهــــر
فلا يوم اقبالي عددتك طائــــــلا ولا يوم ادباري عددتك من وتــر
وما كنت الامثل احلام نائـــــم كلا حالتيك من وفاء ومن عـــذر

وله ايضا فيه :

لو قيل لي خذ امانــــــــا لما اخذت امانــــــــا
من اعظم الحدثـــــــان الا من الخـــــلان (١٠)

وحدث عن ميمون بن هارون عن ابيه قال : قلت لابراهيم بن العباس : ان فلانا يجب ان يكون لك وليا فقال لي : انا والله احب ان تكون الناس جميعا اخواني ولكن لا آخذ منهم الا من اطيق قضاء حقه والا استحالوا اعداء ، وما مثلهم الا كمثل النار قليلها مقنع وكثيرها محرق (١١) .

---

(١٠) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٤ ؛ ١٨٥ .
(١١) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٨ .

ولما انحرف محمد بن عبد الملك عن ابراهيم تحاماه الناس ان سموه وكان الحارث بن بشتخير الزريم المغن صديقا له مصافيا وهجره فيمن هجره من الاخوان فكتب اليه :

تغير لي فيمن تغير حـــــارث ... وكم من أخ قد غيرته الحـــوادث
احارث ان شوركت فيك مظـــالما ... غنينا وما بيني وبينك ثالـــث
واقبلت تسعى الى واحـــــدى ... ضرارا كأن قتلت الرســـولا
فسوف ادين بترك الصـــلا ... ة واصطبح الخمر صرفا شـــمولا

فكان محمد لعصبيته على ابراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لابي الجهم وانما ابراهيم قاله ونسبه الى ابي الجهم (١٢) •

وسيأتي في بحث اشعاره ومكاتباته شيء مما دار بين ابراهيم الصـول ومحمد بن عبد الملك الزيات •

وهذا شخص ثان يسعى للايقاع به فقد حدثنا معجم الادبـاء (١٣) ، بذلك قال : ورفع احمد بن المدبر على بعض عمال ابراهيم ، فحضر ابراهيم دار المتوكل فرأي هلال الشهر على وجهه ، ودعا له وضحك ، وقال له : ان احمد بن المدبر رفع على عاملك كذا وكذا فاصدقني عنه ، قال ابراهيم فضافت عليّ الحجه ، وخفت ان احقق قوله ان اعترفت ، ثم لا ارجع منه الى شيء فيعود على الغرم ، فعدلت عن الحجة الى الحيله ، فقلت : انا في هـذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك :

رد قولي وصدق الاقـــوالا ... واطاع الوشاة والعـــذالا
اتراه يكون شهر صـــدود ... وعلى وجهه رأيت الهـــلالا

فقال لا يكون ذلك ، والله لا يكون ذلك ابدا ، والتفت الى الوزير وقال له : كيف تقبل في المال قول صاحبه •

---

(١٢) معجم الادباء ج : ١ ص ١٧٠ ، ١٧١ .
(١٣) معجم الادباء ج : ١ ص ١٧٩ .

ندوة ادبية :

اجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك بن الزيات وابن برد الخباز . في مجلس عبيد الله بن سليمان ، فجعل هارون ينشد من شعر ابيه ومحاسنه ويفضله ويقدمه ، فقال له ابن برد الخباز : ان كان لابيك مثل قول ابراهيم بن العباس الصولي :

اسد ضار اذا هيجته ... وأب بر اذا ما قدرا
يعرف الا بعد ان اثرى ولا ... يعرف الادنى اذا ما افتقرا

أو مثل قوله :

تلج السنون بيوتهم وترى لهم ... عن جار بيتهم ازورار مناكب
وتراهم بسيوفهم وشفارهم ... مستشرقين لراغب او راهب
حامين أو قادين حيث لقيتهم ... نهب العفاة ونزهة للراغب

فاذكره وفاخر به والا فأقلل ، فخجل هارون . وحدثني الصولي قال (١٤) .

حدثني يحيى ابن البحتري قال : رأيت ابي يذاكر جماعة من شعراء الشام بمعان من الشعر ، فمر فيها قلة نوم العاشق وما قيل في ذلك ، فانشدوا انشاءات فيها ، فقال لهم أبي : فرغ من هذا كاتب العراق ابراهيم بن العباس (١٥) ، فقال :

احسب النوم حكاكا ... اذ رأى منك جفاكا
منى الصبر ومنك الهجر ... فابلغ بي مداكا
كذبت همة عين ... طمعت في تراكا

---

(١٤) معجم الادباء ج : ١ ص ١٩١ .

(١٥) يمكننا ان نجعل هذا القول شهادة اخرى الى شهادات الشعراء في شاعرية الصولي .

اي، ما حظ لعـــــــــين ان تــرى مــن قــد رآكــا
ليت حظي منك ان تعلـــم ما بي من هـــــــواكا

ثم قال البحتري : تصرفت هذه الابيات في معان من الشعر احسن من جميعها، قال فكتبتها عنه اجمعها .

مداعباتــه :

مر ابراهيم برجل يستثقله فسلم عليه ، فقال لبعض من معه اني جرمي ، فقال له : ما كان عندي الا انه من اهل السواد فضحك ابراهيم وقال : انما اردت قول الشاعر :

يسائل عن اخي جـــــرم ثقيل والذي يعلمــــه

ونظر ابراهيم الى الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له :

عيناك قد حكتا جيـــــتك كيف كنت وكيف كانـــا
ولرب عين قدارتـــــك بيت صاحبها عيانـــا

مقتطفات من أشعاره ورسائله :

تحدثنا فيما تقدم نقلا عن وفيات الاعيان بان له ديوان شـعر صغير ولا يمكن اثبات ذلك كله في هذا البحث بل يتطلب بحثا خاصا وجمعـا وشرحا لديوانه كباقي الدواوين .

واني اختار لك اجودها واحسنها ومحدثنا عن ذلك كتابان قيمان وفيات الاعيان ومعجم الادباء لياقوت .

قال الاول(١٦) ، وقد وقفت على ديوانه ونقلت منها اشياء ، منها قوله ، وهذا البيتان يوجدان في ديوان مسلم بن الوليد الانصاري والله اعلم :

---

(١٦) معجم الادباء ج : ١ ص ٢٨ .

لا يمنعك خفض العيش في دعة　　نزوع نفس الى اهل واوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها　　اهلا باهل وجيرانا بجيران

وله :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى　　ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها　　فرجت وكان يظنها لا تفرج

ومن شعره :

اوني البرية طرا ان تواسيه　　عند السرور الذي واساك في الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا　　من كان يألفهم في المنزل الخشن

وله ايضا :

كنت السواد لمقلتي　　فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت　　فعليك كنت احاذر
ونئت ليلى ارسلت بشفاعة　　الى فهلا نفس ليلى شفيعها
أأكرم من ليلى على فتبتغي　　به الجاه ام كنت امرأ لا اطيعها

ومن مكاتباته التي وعدتك فيها فيما جرى بينه وبين ابن الزيات قول صاحب معجم الادباء (١٧) .

وكتب ابراهيم الى ابن الزيات يستعطفه كتبت وقد بلغت المدية المحز ، وعدت الايام على بعد عدواي بك عليها ، وكان اسوأ الظن واكثر خوفي ان تسكن في وقت حركتها ، وتكف عند اذاتها ، فصرت اضر على منها ، فكف الصديق عن نصرتي خوفا منك ، وبادر الى العدو تقربا اليك ، وكتب تحت ذلك :

---

(١٧) معجم الادباء ج : ١ ص ١٧٠ .

أخ بيني وبين الدهـــــــر صاحب أنبا غلبـــــــا
صديقي ما اســـــتقام وان نبا دهر على نبـــــا
وثبت على الزمان بـــــه مفاد به وقد وثبـــــا
ولو عاد الزمان لنـــــا لعاد به أخا حدبـــــا

وكتب اليه : اما والله لو آمنت ودك لقلت ولكني اخاف منك عتبا لا تنصفني فيه ، واخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي ، وما قدر فهو كائن ، عن كل حادثه احدوثه ، وما استبدلت بحالة كنت فيهـا مقتطبـا حالا انا في مكروهها ، ولكنها اشد على من اني فزعت الى ناصري عند ظلم لحقني ، فوجدت من ظلمني اخف نية في ظلمي منه ، واحمد الله كثيرا ، وكتب تحتها :

وكنت اخي باخاء الزمـــــا ن فلما نبا صرت حربا عوانـــا
وكنت اذم اليك الزمـــــا ن فاصبحت فيك اذم الزمانـــا
وكنت اعدك للنائبـــــا ت فها انا اطلب منك الامانـــا

قال : ثم وقف الواثق على تحامله عليه ، فرفع يده عنه ، وامره ان يقبل منه ما رفعه ، ويرد الى الحضره مصـــونا ، فلما احس ابراهيم بذلك بســـط لسانه ، في ابن الزيات وهجاه هجاء كثيرا منه :

قدرت فلم تضرر عدوا بقـــدرة وسمت بها اخوانك الذل والرغما
وكنت مليا بالتي قد يعافهـــا من الناس من يأبي الدنيه والذما

وقال ايضا فيه :

ابا جعفر خف خفضة بعد رفعـــة وقصر قليلا عن مدى غلوائـــكا
فان كنت قد اوتيت عزا ورفعـــة فان رجائي في غـــد كرجـائكـــا

وقال ايضا فيه :

دعوتك في بلوى الممت حروفهـــا فاوقدت من ضغن على سعيرها
واني اذا ادعوك عند ملمـــــة كداعية بين القبور نصـــــيرها

ومن مستحسن شعر ابراهيم بن العباس قوله :

حل النفاق لاهلـــــــــه   وعليك فالتمس الطريقـــا
وارغب بنفسك أن تـــرى   الا عدوا أو صديقـــــا

ومنه :

صل مع الصـديق على ابن أمي   واقضي للصديق على الشـــقيق
وافرق بـين معـــروفي ومنـي   واجمع بين مالي والحقـــوق
فان الفيتني حرا مطاعـــا   فانك واجدي عبد الصـــديق

لله دره ما اصفى هذه الابيات وما اعذبها وما اوقع رنينها في القلوب الصافية انها دستور محكم الحلقات لو سلكه الناس لشاهدت الحياة كما قالوا تضحك لك . ولكن هيهات والنفوس لا تميل الا الى الغدر والغدر من شيم النفوس قد عدة البعض ، واستلذ في ترداده .

ومن احسن ما قيل في قصر الليل ، قول ابراهيم بن العباس (١٨) :

وليلة من الليالي الزهـــــر   قابلت فيها بدرها ببـــدر
لم تك غير شفق وفجـــــر   حتى تولت وهي بكر الدهـــور

ومن منثور كلامه (١٩) :

أتاني فلان في وقت استنفل فيه لحظة الفرح .

وحدث الصولي عن احمد بن يزيد المهلبي قال : حدثني ابي قال : لما قرأ ابراهيم بن العباس على المتوكل رسالته الى اهل حمص .

عجب المتوكل من حسن ذلك ، وأوماء الى عبيد الله اما تسمع ، فقال

---

(١٨) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٠ ـ ١٨١
(١٩) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ١٨٩ .

اما بعد فان امير المؤمنين يرى من حق الله عليه بما قوم به من اود ، وعدل به من زيغ ، ولم به من منتشر في استعمال ثلاث يقدم بعضهن امام بعض ، اولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف ، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف ، ثم التي لا يقع حسم الداء بغيرها :

انا ة فان لم تغن عقب بعدهـــــا وعيدا فان لم يغن غنت عزائمـــه

يا أمير المؤمنين : ان ابراهيم فضيلة خبأها الله لك واحتسبها على ايامك ، وهذا اول شعر نفذ في كتاب عن خلفاء بني العباس .

وعن ابي ذكوان قال : لما توفى المعتصم بالله وقام ابنه الواثق خليفة بعده ، كتب اليه ابراهيم بن العباس يعزيه بأبيه ، ويهنئه بالخلافة : ان احق الناس بالشكر من جاء به عن الله ، واولاهم بالصبر من كان سلفه رسول الله ، وأمير المؤمنين ـ اعزه الله ـ واباؤه ـ نصرهم الله ـ وعزة رسوله المخصوصون بالصبر ، وفي كتاب الله اعظم الشفاء ، وفي رســوله احسن العزاء ، وقد كان من وفاة امير المؤمنين المعتصم باللة ، ومن مشيئته الله في ولاية امير المؤمنين الواثق بالله ، ما عفا على اوله آخره ، وتلافت بدأتــه عاقبته ، فحق الله في الاولى الصبر ، وفرضه في الثانية الشـــكر ، فان رأي امير المؤمنين ان يستنجز ثواب الله بصبره ، ويستدعى زيادته بشكره ، فعل ان شاء الله وسعده .

وفاء بالفضل :

سبق وان تحدثنا فيما سبق ان ابراهيم بن العباس واخاه عبد الله قــد اتصلا بالوزير الفضل بن سهل والان في هذه المقطوعة تظهر لنا انطبــاعات شاعرنا ابراهيم عن هذا الوزير الذي طابق اسمه مسماه وفيها الوفــاء كل

الوفاء بمن انعم عليه ، ويحدثنا بهذا معجم الادباء (٢٠) :

قال ابراهيم في الفضل بن سهل :

يقضي الامور على بديهتـــــه — وتريه فكرته عواقبـــــها
فيظل يصدرها ويوردهـــا — فيعم حاضرها وغائبـــــها
واذا الملت صعبة عظمـــت — فيها الرزيئة كان صاحبـــها
المستقل بها وقد رســـبت — ولوث على الايام جانبـــها
وعدلتها بالعدل فاعتدلـــت — ووسعت راغبها وراهبـــها
واذا الحروب علت بعثت لهـــا — رأيا تفل به كتائبـــها
رأيـا اذا نبت السـيوف مضي — عزم به فشفى مضاربـــها
اجرى الى فئة بدولتـــها — واقام في اخرى نوادبـــها
واذا الخطوب تأثلت ورســـت — هدت فواضله نوائبـــها
واذا جرت بضميره يـــده — ابدت له الدنيا مناقبـــها

ومن كلامه :

وقال ابو زيد الباخي وذكر ابراهيم بن العباس فقال : كان من ابلغ الناس في الكتابه حتى صار كلامه مثلا • كتب كتاب فتح عجيبا ، انني على الله وحمده ، ثم قال في خلال ذلك : وقسم الله الفاسق اقساما ثلاثة ، روحا معجلة الى نار الله ، وجثة منصوبة بفناء معقله وهامة منقوله الى دار خلافته •

حسن تخلص :

وحدث الجهشياري عن وهب بن سليمان بن وهب قال : كنت اكتب لابراهيم بن العباس على ديوان الضياع • وكان رجلا بليغا ، ولم يكن له

---

(٢٠) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٢ – ١٨٣ .

في الخراج تقدم ، وكان بينه وبين احمد بن المدبر تباعد ، وكان احمد مقدما في الكتابه فقال احمد بن المدبر للمتوكل : قلدت ابراهيم بن العباس ديوان الضياع وهو متخلف ، آية من الآيات لا يحسن قليلا ولا كثيرا ، وطعن عليه طعنا قبيحا ، فقال المتوكل : في غد اجمع بينكما ، واتصل الخبر بابراهيم فايقن بحلول المكروه ، وعلم انه لا يفي باحمد بن المدبر في صناعته ، وغدا الى دار السلطان آيأمن نفسه ونعمته ، وحضر احمد فقال له المتوكل : قد حضر ابراهيم وحضرت ، ومن اجلكم قعدت ، فهات : اذكر ما كنت فيه امس ؛ فقال احمد أي شيء اذكر عنه ؟ فانه لا يعرف اسماء عماله في النواحي ، ولا يعلم ما في دساترهم من تقديراتهم وكيولهم ، وحمل من حمل منهم ، ومن لم يحمل ، ولا يعرف اسماء النواحي التي تقلدها ، وقد اقتطع صاحبه بناحية كذا كذا الفا ، واختلت ناحية كذا في العمارة واطال في ذكر هذه الامور ، فالتفت المتوكل الى ابراهيم فقال : ما سكوتك ! فان اذن امير المؤمنين انشدتهما ، فقال هات : فانشده البيتين المذكورين ، رد قولي وصدق الاقوالا ـ فقال المتوكل زه • زه أحسنت ايتوني بمن يعمل في هذا لحنا ، وهاتوا ما نأكل ، وجيئوا بالنساء ، ودعونا من فضول ابن المدبر ، واخلعوا على ابراهيم بن العباس ، فخلع عليه ، وانصرف الى منزله • قال الحسن فمكث يومه مغموما ، فقلت له : هذا يوم سرور وجزل بما جدد الله لك من الانتصار على خصمك ، فقال يا بني : الحق أولى بمثلي واشبه ، اني لم ادفع احمد بحجه ولا كذب في شيء مما ذكر ، ولا انا ممن يعشره في الخراج ، كما انه لا يعشرني في البلاغة وانما قلجت (بر طازة+) و (مخرقة) افلا ابكى ، فضلا عن ان اغتم من زمان يدفع ذلك كله (٢١) •

+ الرطازة : الخرافة والمخرقه : التمويه والكذب .

(٢١) معجم الادباء ج : ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

استعطاف :

ومن شعره كما ذكره معجم الادباء (٢٢) يستعطف فيه ابن الزيات قوله

فهبني مسيئا مثل ما قلت ظـــالما   فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل
فان لم اكن بالعفو منك لسـؤما   جنيت به اهلا فانت له اهـــل

وقال الجهشياري : رأيت دفترا بخط ابراهيم بن العباس الصولي فيه شعره ، قال في حبس موسى بن عبد الملك اياه يصف غليظ ما هو فيه من الحبس وثقل الحديد والقيد ، ويذكر موسى في شعره ، وكان يكن بأبي الحسن فكناه بأبي عمران ، فقال في قصيدة طويلة :

كم تـرى يبقى على ذا بـدني ؟   قد بلى من طول همي وغتـني
انا في اسر واسـباب ردي   وحديد فادح يكلمـنـي
وابو عمران موسى حنـق   حاقد يطلبني بالاحـن
ليس يشفيه سوى سفك دمـي   أو يراني مدرجا في كفـني

سرعة طبع وجود قريحة :

وحدث الصولي عن العباس بن محمد قـال : انشـدني ابراهيم بن العباس ، في مجلسه في ديوان الضياع (٢٣) .

ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقـال ونكت بقلمه ثم قال :

ولرب نازلة يضيق بها الفتـى   ذرعا وعند الله منها المخـرج
كملت فلما استحكمت حلقاتهـا   فرجت وكنت اظنها لا تفـرج

قال : فعجبنا من سرعة طبعه وجودة قريحته .

---

(٢٢) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٦ .
(٢٣) نفس المصدر والجزء والصحيفة

المال فرع والقلم اصل :

وقال ابو الغيث : كنت عند ابراهيم بن العباس وهـو يكتب كتابا ، فنقطت القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه ، فعجبت فقال : لا تعجب فالمال فرع والقلم اصل ، ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب ، والاصل احوج الى المراعاة من الفرع ، ثم فكر قليلا وقال (٢٤) :

اذا ما الفكـر ولـد حسـن لفظ ... واسلمه الوجود الى العيـان
ووشاه فنمنمه بيـان ... فصيح في المقال بلا لسـان
ترى حلل البيان منشـرات ... تجلى بينها حال المعانـي

ابراهيم وسامرا :

لم يبلغ في زمن ان اترفت البلاد كالعصر العباسي في سامراء ولم يقتصر الترف على اللذات الجنسية وقرع الكؤوس بل تعداه الى طور ابعـد فقد نالت فيه المرأة حريتها المطلقة تنتقل وترحل وتشـارك الرجـل في كثير من اعماله . تغني فتطرب بالمجلس تبادل الرجل الرأي والنكته والملحه . وكانت في هذه المراحل تلقي الرجل ويلقاها الرجل وفي الرجل عاطفة وحساسية ، وفي المرأة رقة وعذوبه . عذوبة لفظ ، وعذوبة خلق ، وعذبة ادب ، فلابد ان تلتقي العواطف ولابد ان تهتز القلوب ولابد ان يحمل الشـعر نجـوى العواطف وهزات القلوب .

كان الرجل يلقي المرأة فتأخذه بحسنها وجمالها . فتثور في نفسه عاطفة القربى اليها وتملي عليه هذه الثورة ان يحدثها عن فيض شعوره .

يقول الاستاذ حسان ابو رحاب (٢٥) :

---

(٢٤) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨١ .
(٢٥) الغزل عند العرب ص ١٧ ط : ١ سنة ١٩٤٧ م .

لعلك تعجب حين تقرأ في اخبار شعراء الغزل ان الشاعر لايكاد يلقي امرأة بارعة في الجمال حتى تتحرك شاعريته بآيات من شعر الغزل ، تفيض رقة ، وعذوبة وقوة تأثير ، ويسوقني تداعي المعاني وانا اتحدث عن هذا المعنى الى ما نشهده ونحن نجول على شاطيء الاسكندرية في فصل الصيف ، وما تراه في الغيد الحسان من وجه ضاحك ، وعيون نجل ، وقوام فارع ، وشعر متدل ونهود كواعب ـ كل ذلك يثير في قلوبنا العاطفة الملتهبة فنتحدث ولو بين خلجات نفوسنا حديث غزل ، وخيال ، واعجاب وتقدير ، ولو اننا اوتينا بسطة في الشاعرية كما اوتي العرب الاوائل لرأيت وقرأت في وصف هؤلاء الغيد ، وفي التحدث اليهن وفيما يجره الحديث من شؤون وشجون ـ شعرا غزلا ، لا يقل روعة وحساسية عن شعر الاولين . بل وجدت من المعاني الرقيقة ما يوافق هذه الطبيعة الجميلة التي صنعتها الطبيعة في القرن العشرين ولم تكن قد صنعتها في القرن الخامس وما قبله وما بعده .

هذا ولعل صاحبنا اندفع في حب ساهر لهذه الاسباب حتى هوأها وشغف بها وان منزله لا يكاد يخلو منها والذي يبدو لنا من القصة التالية ان ابراهيم بن العباس قد احبها حبا جدا وبلغ به الحب انه لا يحلو له عيش او مجلس انس الا بها ثم نراه بعد ذلك يهجرها ولكن قلبها الرقيق يبقى عالقا به فتعاتبه عتابا مرا وهو لا يصغى اليها ولم تدر سبب ذلك هل ان جذوة الحب التي كانت تملأ قلبه وتلهبه قد خمدت وانطفئت ام ان هناك عوامل واسباب ادت الى هذه القطعية وهذا الهجران . ثم ما هي الاسباب التي جعلته يحن اليها ويطوي صفحة الهجر فيفتح قلبه لها مرة ثانية فيصالحها ويسعى جادا في سعادتها وهكذا حتى يفرق بينهما الموت هذه اسباب لم نجد في مصادر الادب ما يشرح لنا ذلك وانما نكتفي بسرد القصة كاملة كما يحدثنا عنها معجم الادباء قال (٢٦) :

---

(٢٦) معجم الادباء ج : ١ ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ ١٧٦ .

وكان ابراهيم يهوى جارية لبعض المغنين (بسر من رأى) يقال لها « ساهر » شهر بها ، وكان منزله لا يخلو منها ، ثم دعيت في وليمة لبعض اهلها ، فغابت عنه ثلاثة أيام ، ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاها ، وقالت له : قد اهديت صاحبتي اليك ، عوضا عن مغيبي عنك ، فقال :

أقبلن يحففن مثل الشمس طالعة ... قد حسن الله اولاها وأخراها
ما كنت فيهن الا كنت واسطة ... وكن دونك يمناها ويسراها

وجلس يوما مع اخوانه للشرب ، وبعث خلفها فأبطأت عليه ، وتنغص عليه وعلى جلسائه يومه ، وكان عندهم عدة من القيان ثم وافت فسرى عنه ، وطابت نفسه ، وشرب وطرب وقال :

ألم ترنا يومنا اذ نأت ... ولم نأت من بين اترابها
وقد غمرتنا دواعي السرو ... ر باشمالها وبالهابها
ونحن فتور الى ان بدت ... وبدر الدجى تحت اثوابها
وما نأت كيف كنا بها ... ولما دنت كيفه صرنا بها

فتغضب فقالت : ما القصة كما ذكرت ، وقد كنتم في قصفكم مع من حضر ، وانما تجملتم لي لما حضرت ، فقال :

يا من حنيني اليه ... ومن فؤادي لديه
ومن اذا غاب من بينهم اسفت عليه
اذا حضرت فمن بينهم اصب اليه
من غاب غيرك منهم ... فاذنه في يديه

فرضيت ، فأقاموا يومهم على احسن حال ، ثم طال العهد بينهما فملها وكانت شاعرة ، وكانت تهواه ايضا ، فكتبت اليه تعاتبه :

بالله يا ناقض العهود بمن ... بعدك من اهل ودنا تثق
اسوأتنا ما استجبت لي ابدا ... ان ذكر العاشقون من عشق

لاغـــزني كاتــب لـــــه أدب ولا ظريف مهذب لبــــــو
كنت بذاك اللسان تختلنـــــي دهرا ولم ادر انه ملـــــــو

فاعتذر اليها وراجعها ، فلم تر منه ما تكره حتى فرق الموت بينهما .

هذا ولم ندر هل ان قلب ابراهيم بن العباس الصولي قد تعلق بحبيبته ساهر ام انه له هنالك خليلات غيرها ، لان ابياتا من الشعر له والتي نجدهـا في تضاعيف الكتب المختلفة تشير الى انه قد نفث من قلبه ابياتا يتغزل فيها في قينة ويتشكى من اخرى وما ندري هل هذه الابيات قيلت من اجل ساهر ايام هجرها فعتبته ام لا . فقد ذكر معجم الادباء (٢٧) هذه الابيات فقال :

وقال ابراهيم في قينة كان يهواها :

وعلمتني كيف الهوى وجهلتـــــه وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمـــي
واعلم ما لي عندكم فـــــيردني هواي الى جهلي فارجع عن علمـــي

وما يستحسن من شعر ابراهيم بن العباس :

ابتداء بالتجنـــــــــي وقضاء بالتضنـــــــــــي
واستفاء بتجنيـــــــــك لاعدائك منـــــــــي
بابي قل لي كي اعـــــلم لم اعرضت عنـــــي ؟
قد تمنى ذاك اعـــــــدائي فقد نالوا التمنـــــــي

انها عصـــارة فكر قـــد حلق في جـو العاتبات يجعل الابتداء ، ابتداءه بالتجني ويقضي هذا المحب الذي علق هواه في قلبه بالجهد والالم ثم ان نفس الحبيب تحس ان عمل محبه معه من الاعمال التي يعرفها الاعـداء فيشفون غليلهم بهذا الصدود والنفور ويذكر المحبوب بشفاء الاعداء عسى ان يتمهل ويعطف عليه لان اعداء المحب هم بالوقت نفسه اعداء المحبوب ، ثم هناك يقف في حال السائل بعد ان يفديه بأبيه ليعرف سبب الاعراض والصدود ثم يختم هذه الابيات باخبار المحبوب بان ما قام به من نفور وصدود هو نفسه منية الاعداء وقد حصلوا على امنيتهم .

---

(٢٧) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٠ ــ ١٩٤ .

أحمد البلاذري

هو احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذي • « هو خاتمة مؤرخي الفتح ولد في أواخر القرن الثاني للهجره ، ونشأ في بغداد ، وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز ، عهد اليه فيها بتثقيف ابنه عبد الله الشاعر المشهور ، وكان شاعرا ، وكاتبا ، ومترجما ، ينقل من الفارسية الى العربية » (١) •

وذكر صاحب الفهرست انه وسوس في آخر ايامه ، فأخذ الى البجارستان، لانه شرب تمر البلاذر على غير معرفة ، ومنه اسمه ومات على الاغلب سنة تسع وسبعين ومائتين •

لكن الذي يلوح من خبر كتاب الوزراء للجهشياري الوارد في معجم الادباء (٢) ، انه ليس هو الشارب لتمر البلاذر بل جده • وهذا نصه : (وقال الجهشياري في كتاب الوزراء : جابر بن داود البلاذري كان يكتب للخصيب بمصر هكذا ذكر • لا ادري ايهما شرب البلاذر ؟ احمد بن يحيى ، أو جابر بن داود ؟ الا ان ما ذكره الجهشياري ، يدل على أن الذي شرب البلاذر هو جده ، لانه قال : جابر بن داود ولعل ابن ابنه ، لم يكن حينئذ موجودا والله اعلم •

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٩٢ •
(٢) معجم الادباء ج : ٥ ص ٩٢ ط : المعارف الطبعة الاخيرة •

أخلاقه :

وذكر كتاب معجم الادباء (٣) ، بانه كان عالما ، فاضلا ، شاعرا ، راوية ، نسابة ، متقنا ، وكان مع ذلك كثير الهجاء بذي اللسان ، اخذ الاعراض ، وتناول وهب بن سليمان بن وهب ، لما خرط فمزقه فمن قوله فيه ، وكانت الظرطه بحضرة عبد الله بن يحيى بن خاقان :

ايا ظرطة حسبت رعــــــده	تنوق في سلها جهــــــده
تقدم وهب بها ســــــابقا	وصلي اخو صاعد بعــــــده
لقد هتك الله ســــــتريهما	كذا كل من يطعم الفهــــــده

وحدث الجهشياري قال : حدثني ابن ابي العلاء الكاتب ، قال : حدثني ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال : دخلت الى احمد بن صالح بن شيرزاد ، فعرضت عليه رقعة لي فيها حاجة فتشاغل عني فقلت :

تقدم وهب سابقا بظراطـــــه	وصلى الفتى عبدون والناس حضر
واني ارى من بعد ذاك وقبلـــه	بطونا لناس آخرين تقرقـــــر

فقال يا ابا الحسن : بطن من ؟ فقلت : بطن من لم يقض حاجتي ، فأخذ الرقعة ، ووقع فيها بما اردت .

وقال احمد بن يحيى : يهجو صاعدا وزير المعتمد :

اصاعد قد ملأت الارض جـــورا	وقد سست الامور بغير لــــب
وساميت الرجال وانت وغــــد	لئيم الجد ذوعي وعيـــــب
اظل عن المكارم من (دليــــل)	واكذب من سليمان بن وهــــب
وقد خبرت انك حــــارثي	فرد مقالتي ابناء كعــــب

---

(٣) نفس المصدر ج : ٥ ص ٩٢ ط : المعارف الطبعة الاخيرة

قلت : اما سليمان بن وهب فمعروف ، واما دليل : فهو دليل بن يعقوب النصراني ، احد وجوه الكتاب كان يكتب لبغا التركي ، ثم نوكل للمتوكل على خاصته •

مشايخه وطلابه :

لقد طوف البلاذري البلاد الاسلامية واخذ عن اساطين علمائها من الادب والمعرفة كما انه افاد جمعا غفيرا من طلاب العلم ويحدثنا عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال : سمع بدمشق هشام بن عمار ، وابا حفص عمر ابن سعيد ، وبحمص محمد بن مصفى ، وبانطاكية محمد بن ابن عبد الرحمن بن سهم ، واحمد بن مرد الانطاكي ، وبالعراق عفان بن مسلم ، وعبد الاعلى بن حماد وعلي بن المديني ، وعبد الله بن صالح العجلي ، ومصعبا الزبيري ، وابا عبيد القسم بن سلام ، وعثمان بن ابي شيبه ، وابا الحسن علي بن محمد المدائني ، ومحمد بن سعيد كاتب الواقدي ، وذكر حماعة قال : وروى عنه يحيى بن النديم ، واحمد بن عبد الله بن عمار ، وابو يوسف يعقوب بن نعيم قرقاره الارزني (٤) •

مجلس مع المتوكل :

تقدم لك في مطاوي ترجمته بانه نادم المتوكل والآن نعرض احدى المجالس مع الخليفة • وكان بطل هذا المجلس صاحبنا البلاذري حدث علي بن هارون بن المنجم في اماليه عن عمه قال : حدثني ابو الحسن بن يحيى البلاذري قال : لما أمر المتوكل ابراهيم بن العباس الصولي ، ان يكتب فيما كان أمر به من تأخير الخراج ، حتى يقع في الخامس من حزيران ، ويقع استفتاح الخراج فيه ، كتب في ذلك كتابه المعروف ، واحسن فيه غاية الاحسان

---

(٤) معجم الادباء ج٥ : ص ٩١ ط : المعارف آخر طبعه •

فدخل عبيد الله بن يحيى على المتوكل ، فعرفه حضور ابراهيم بن العباس واحضاره الكتاب معه ، فأمر بالاذن له فدخل ، وأمره بقراءة الكتاب ، فقرأه ، واستحسنه عبيد الله بن يحيى ، وكل من حضر ، قال البلاذري فدخلني حسد له ، فقلت : فيه خطأ ، قال : فقال : المتوكل : في هذا الكتاب الذي قرأه على ابراهيم خطأ ؟ قال : قلت : نعم ، قال : يا عبيد الله وقفت على ذلك ؟ قال : لا ، والله يا أمير المؤمنين ، ما وقفت فيه على خطأ ، قال : فأقبل ابراهيم بن العباس على الكتاب يتدبره ، فلم ير فيه شيئا ، فقال يا أمير المؤمنين : الخطأ لا يعري منه الناس ، وتدبرت الكتاب ، خوفا من اكون قد اغفلت شيئا وقف عليه احمد بن يحيى ، فلم ار ما انكره ، فليعرفنا موضع الخطأ ، قال : فقال المتوكل : قل لنا ما هو هذا الخطأ الذي وقفت عليه في هذا الكتاب ؟ قال : فقلت هو شيء لا يعرفه الا علي بن يحيى المنجم ، ومحمد بن موسى ، وذلك انه ارخ الشهر الرومي بالليالي ، وايام الروم قبل لياليها ، فهي لا تؤرخ بالليالي ، وانما يؤرخ بالليالي الاشهر العربية ، لان لياليها قبل ايامها بسبب الاهلة ، فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين هذا مالا علم لي به ، ولا ادعي فيه ما يدعي ، قال فغير تاريخه (٥) .

نماذج من اشعاره واسباب انشادها :

لم نعثر في المصادر التي بين ايدينا على ديوان شعر له ولكن ما دونته هذه المراجع الادبية تعطينا فكرة واضحه لما كان يتمتع به البلاذري من شاعريه مرهفة حساسة وتفكير عميق واطلاع واسع في افق الحياة . ثم لم نعرف هل كان يجمع اشعاره ليكون منها ديوانا ام انه كان لا يقول الشعر الا في المناسبات وقضاء حوائجه . هذه اسئلة نضع امامها علامة استفهام عسى ان يحققها المعنيون بالأدب واهله ولعل ما ضاع من التراث الادبي فيه ذلك .

---

(٥) معجم الادباء ج٥ : ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ط : المعارف آخر طبعه

والآن لنواكب قافلة معجم الادباء (٦) ، ليحدثنا عنه بقـوله : قال الجهشياري : وقال احمد بن يحيى البلاذري ، في عبيد الله بن يحيى ، وقد صار الى بابه فحجبه :

قالوا : اصطبارك للحجاب مذلـة ... عار عليك به الزمان وعــــاب
فأجبتهم : ولكل قول صـــادق ... أو كاذب عند المقال جـــواب
اني لاغتفر الحجاب لما جـــد ... امست له منن على رغـــاب
قد يرفع المرء اللئيم حجابـــه ... ضعة ودون العرف منه حجـــاب

وجدت ابو القاسم الشافعي في تاريخ دمشق باستاده قال : قال احمد بن يحيى بن جابر البلاذري : قال لي محمود الوراق : قل من الشعر ما يبقى ذكره ويزول عنك اثمه فقلت :

استعدي يا نفس للموت واسـعى ... لنجاة فالحازم المســـتعد
قد تثبت انه ليس للحـــــ ... ـــيي خلود ولا من الموت بـد
إنما اني مستعيرة ما ســــو ... ف تردين والعواري تـــرد
انت تسهين والحوادث لا تســ ... ـــهو وتلهين والمنايا تجـــد
لا ترجي البقاء في معدن المــو ... ت ودار حقوقهـــا لـك ورد
اي ملك في الارض ام أي حــظ ... لامريء حظه من الارض لحـــد
كيف يهوى امرؤ لذاذة ايـــا ... م عليه الانفاس فيها تعـــد

ومن شعر البلاذري الذي رواه المرزبالي في معجم الشعراء :

يا من روى ادبا ولم يعمل بــه ... فكيف عادية الهوى بأديـــب
واقلما تجدي اصابة صـــائب ... اعماله اعمال غير مصـــيب
حتى يكون بما تعلم عـــالما ... من صالح فيكون غير معـــيب

---

(٦) معجم الادباء ج٥ : ص ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

وحدث الصولي في كتاب الوزراء : حدثني احمد بن محمد الطالقاني قال : قال لي احمد بن يحيى البلاذري : كانت بيني وبين عبيد الله بن يحيى بن خاقان حرمة ، منذ ايام المتوكل ، وما كنت اكلفه حاجة لاستغنائي عنه ، فنالتني في ايام المعتمد على الله اضاقة ، فدخلت عليه وهو جالس للخطاط ، فشكوت تأخر رزقي وثقل ديني ، وقلت : ان عيبا على الوزير ــ اعزه الله ــ حاجة مثلي في ايامه ، وغض طرفه عني ، فوقع لي ببعض ما اردت ، وقال : اين حياؤك المانع لك من الشكوى على الاستبطاء ؟ فقلت : غرس البلوى يثمر تمر الشكوى ، وانصرفت ، وكتبت اليه :

لحاني [illegible] المرتض في شكايتي   زمانا أحلت للجدوب محارمة
وقال : لقد جاهرتني بملامة   ومن لي بدهر كنت فيه اكاتمه
فقلت : حياء المرء ذي الدين والتقى   يقل اذا قلت لديه دراهمه

وحدث الصولي عن محمد بن علي (٧) : ان البلاذري امتدح ابا الصقر، اسماعيل بن بلبل ، وكتب اليه كتابا حسنا ، وسأله ان يطلق له شيئا من ارزاقه ، فوعده فلم يفعل ، فقال :

تجانف اسماعيل عني بوده   وملّ اخائي واللئيم ملول
وان امرأ يغشى ابا الصقر راغبا   اليه ومغترا به لذليل
وقد علمت شيبان ان لست منهم   فماذا الذي ان انكروك تقول
ولو كانت الدعوى تثبت بالرشا   لتثبت دعواك الذين تنيل
ولكنهم قالوا مقالا فكذبوا   وجاءوا بأمر ما عليه دليل

وله فيما اورده عبيد الله بن ابي طاهر :

لما رايتك زاهيا   ورأيتني أجفي ببابك
عديت رأس مطيتي   وحجبت نفسي عن حجابك

---

(٧) معجم الادباء ج٥ : ص ١٠١ .

وحدث صاحب الوافي بالوفيات (٨) ، عن قوة شعره وارهاف احساسه انه يطاول فيه اشهر الشعراء واقواهم شاعرية وحديثه هذا الذي جاء بكتاب الوافي بالوفيات يحدثنا به هو عن نفسه قال : كنت من جلساء المستعين بالله وقد قصده الشعراء ، فقال : ليس اقبل الا من الذي يقول مثل قول البحتري في المتوكل :

فلو ان مشتاقا تكلف فوق مـــا في وسعه لسعى اليك المنـــــبر

فرجعت الى داري واتيته ، وقلت : قــد قلت فيك احســن مما قاله البحتري في المتوكل فقال هات ، فانشدته :

ولو ان برد المصطفى اذ لبســته يظن لظن البرد انك صـــاحبه

فقال : ارجع الى منزلك ، فافعل ما آمرك به ، فرجعت فبعث الي سبعة الاف دينار ، وقال : ادخر هذا للحوادث بعدي ، ولك على الجرايه والكفاية ما دمت حيا .

لمحات عابره :

احمد بن يحيى البلاذري : شاعر مطبوع اظهر خصائص شــعره الطبع والجزاله وتأدية المعنى على اوضح السبل وايسرها يقل في شــعره التقديم والتأخير والحذف والتقدير ، وما يقتضي ادامة النظر واعمال الفكر ، بصـير بحدود الكلام ، وهو اقل الشعراء صنعة لا تكاد تجد شيئا في شعره مـن المحسنات اللفظية ، واذا وجدت مغن غير قصد منه ، وكثيرا ما يغفل التصريح في مطالع قصائده شأن المطبوعين من الشعراء والامثلة على ذلك ما قدمناه من مقاطيعه الشعرية ، ويكثر في شعره على اختلاف معانية الحوار بينه وبين

---

٤٨ ج١ : ص ٧

غائب أو مخاطب فـ (قال) (وقلت) غير قليل في شعره الذي عرضناه امامك، وهذا الاسلوب من القول لا يستقيم الا لشاعر قدير .

كتبه ومؤلفاته :

ذكر كتاب الفهرست لابن النديم ان له من الكتب كتاب البلدان الصغير كتاب البلدان الكبير ولم يتمه كتاب الاخبار والانساب ، كتاب عهد اردشير ترجمه بشعر .

وقد ورد في حاشية معجم الادباء (٩) ، تفاصيل عن كتابين من كتبه فنقلها هنا قال : وله مؤلفات أهمها :

١ ـ فتوح البلدان : وهو اشهر كتبه ، ويظهر انه مختصر من كتاب اطول منه كان قد اخذ في تأليفه ، وسماه (كتاب البلدان الكبير) ولم يتمه ، فاكتفى بهذا المختصر وهو يدخل في خمسين صفحه ، ذكر فيها اخبار الفتوح الاسلامية من ايام النبي الى آخرها ، بلدا بلدا ، لم يفرط في شيء منها ، مع التحقيق اللازم ، واعتدال الخطه ، وضمنه فضلا عن الفتوح ابحاثا عمرانيه ، أو سياسية يندر العثور عليها في كتب التاريخ ، كأحكام الخراج أو العطاء ، وأمر الخاتم ، والنقود ، والخط ، ونحو ذلك ، وقد طبع الكتاب في ليدن ، سنة سبعين وثمانمائة بعد الالف . بعناية المستشرق « ذي غويه » ونشرته في مصر ، شركة طبع الكتب العربية . سنة احدى وتسعمائة بعد الالف ، وهو اجمع كتب الفتوح واصحها .

٢ ـ انساب الاشراف ، ويسمى ايضا : الاخبار والانساب ، وهو مطول في عشرين مجلدا ، ولم يتمه وكان ضائعا ، فعثر المستشرق الالماني (اهلوارد)

---

(٩) معجم الادباء ج٥ : ص ٨٩ .

في مكتبة « شيفر » على الجزء الحادي عشر من كتاب في التاريخ ، ليس عليه اسم ، فرجح انه من اجزاء كتاب البلاذري ، الذي نحن بصدده ، فطبعه « في غريز ولد » سنة ثلاث وثمانين وثمانمائه بعد الالف على الحجر بخطه في واربعمائه صفحة وفيه كثير من اخبار بني اميه في زمن عبد الملك والوليد ، ويدخل في ذلك ، تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير ، واخية عبد الله واخبار الخوارج .

ان نسبه معروف وحاله معلوم • احد امراء البيت العباسي • وانه عنم لا حاجة الى ذكر وسرد نسبه • كانت له اليـد الطـولى في الغنـاء والطرب بالملاهي وحسن المنادمه • وكان وافر الفضل ، غزير الادب ، واسع النفس ، سخي الكف ، ولم ير في اولاد الخلفاء قبله افصح منه لسانا ولا احسن منه شعرا •

وكان اسود اللون ، لان امه كانت جارية سوداء واسمها (شكله) وكان مع سواده عظيم الجنه ، ولهذا قيل له (التنين) •

خلافته :

لا نريدفي هذا البحث ان نفصل الحوادث ونشرحها شرحا مستفيضا فكتب التاريخ قد اوفت الموضوع حقه كالطبري والكامل والنهاية وغيرها • ولكن نقصد فيها الماما سريعة لان بحثنا ادبي لا تاريخي وان ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان يكفينا مؤنه هذا الموضوع حيث يقول : بويع له بالخلافة ببغداد بعد المائتين والمأمون يومئذ بخراسان ، وقصته مشهورة ، واقام خليفة ...

---

(١) وفيات الاعيان ج : ١٠ ص ٢٠ •

مدار سنتين وذكر الطبري في تاريخه ا ن ايام ابراهيم بن المهدي كانت سنة واحد عشر شهر واثنى عشر يوما .

وكان سبب خلع المأمون وبيعة ابراهيم بن المهدي ان المأمون لما كان بخراسان جعل ولي عهده علي بن موسى الرضا ، فشق ذلك على العباسيين ببغداد فبايعوا ابراهيم بن المهدي المذكور وهو عم المأمون ولقبوه المبارك ، كانت مبايعته يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة احدى ومائتين ببغداد . بايعه العباسيون في الباطن ثم بايعه اهل بغداد في اول يوم من المحرم سنة اثنتين ومائتين ، وخلعوا المأمون ، فلما كان يوم الجمعة لخمس خلون من المحرم اظهروا ذلك وصعد ابراهيم المنبر وكان المأمون لما بايع علي بن موسى الرضا بولاية العهد امر الناس بترك لباس السواد الذي هو شعار بني العباس ، وامرهم بلباس الخضره ، فعز ذلك على بني العباس ايضا ، وكان من جملة الاسباب التي نقموها على المأمون ، ثم اعاد السواد يوم الخميس لليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع ومائتين لسبب اقتضى ذلك، ذكره الطبري في تاريخه ، وقال صاحب الفهرست ابن النديم : ابراهيم بن المهدي اول نابغ نبغ من بني العباس ثم من اولاد الخلفاء له ترسل وشعر وصنف كتبا وامه شكله اصلها من طبرستان وقيل انها ابنة ملك طبرستان وكان اسود حالك السواد عظيم الجثه عالي الخلوف لم ير في اولاد الخلفاء افصح منه ولا اشعر وله مع ذلك صنعة في الغنى يتقدم بها كل احد وكان اسحاق وابراهيم قبله يأخذان عنه ويتحاكم المغنون اليه في صناعتهم .

وقال الصولي في كتاب الاوراق (٢) : (وشكله) من سبي « دنباوند » قتل ابوها « شاهمرد » سبيت هي وبخترية ام منصور بن المهدي فيوهبها المنصور لمحياة ام ولد له فوهبتها للمهدي .

---

(٢) اسفار اولاد الخلفاء للصولي ـ الناشر ، ج هيورث ١٣٥٥ هـ .

وذكر الصولي ايضا في الاوراق انّ محياة الطائمية ام ولد المنصور كانت بعثت بشكله ام ابراهيم الى الطائف فنشأت هناك فقطحت وقالت الشعر ولها شعر في اخ كان يقال له احمد وهو :

احمد تفديه شباب فهر ... من كل ما ريب وامر نكر

قد جاء مثل الشمس شب قط ... في حسن بدر واعتدال صدر

وزاده رب العلى من عمري ... وذب عنه خائفات الدهر

ولما جاء المأمون من خراسان الى بغداد خاف ابراهيم على نفسه فاستخفى وكان استخفاؤه ليلة الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين ، وذلك بعد امور يطول شرحها ولا يحتمل هذا المختصر ذكرها ثم دخل المأمون بغداد لاربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة اربع ومائتين .

ابراهيم بن المهدي ودعبل الخزاعي :

قبل ان نذكر ابيات دعبل في هجاء ابراهيم نضع علامة استفهام فهل ان دعبل قال هذه الابيات للمصلحة العامة ام ان هناك دافعا يدفعه الى القول بذلك . ؟

لا شك وان القسم الاخير هو السبب في ذلك لان دعبل الخزاعي كان من الشعراء المتعصبين لآل البيت فهجاؤه كان بدافع العقيدة والعقيدة لها منزلتها في النفوس تدفعها الى الموت .

واليك هذه الابيات التي عملها دعبل عندما استخفى ابراهيم قال (٣)

---

(٣) وفيات الاعيان ج : ١٠ ص ٢١ .

نعر ابن شكلة بالعراق واهلـــه — فهفا اليه كل اطلس مائـــــق
ان كان ابراهيم مضطلعا بهـــا — فلتصلحن من بعده لمخــــارق
ولتصلحن من بعد ذاك لزلـــزل — ولتصلحن من بعده للمــــارق
انى يكـون وليس ذاك بكائـــن — يرث الخلافة فاسـق عـن فاسـق

استشهاد .. وتخلص :

ورد في كتب الادب والسير (٤) ، ان ابراهيم حدث عن نفسه قال : قال لى المأمون ، وقد دخلت عليه بعد العفو عني : انت الخليفة الاسود ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، انا الذي مننت عليه بالعفو ، وقد قال عبد بني الحسحاس :

أشعار عبد بني الحسحاس فمن لـه — عند الفخار مقام الاصـل والورق
ان كنت عبدا فنفسي حرة كرمـــا — أو أسود الخلق اني ابيض الخلـق

فقال لي : يا عم اخرجك الهزل الى الجد وانشد يقول :

ليس يزري السواد بالرجل الشـــ — ــهم ولا بالفتى الاديب الاريـب
ان يكن للسواد فيك نصـــيب — فبياض الاخلاق منك نصـــيبي

خاتم وافحام(٥) :

وجلس المعتصم يوما وقد تولى الخلافة بعد المأمـون ـ وعن يمينـه العباس بن المأمون وعن يساره ابراهيم بن المهدي . فجعـل ابراهيم يقلب خاتما في يده ، فقال له العباس : يا عم ما هذا الخاتم ؟ فقال : خاتم رهنته في ايام ابيك فما فككته الا في ايام أمير المؤمنين ، فقال له العباس : والله لئن لم تشكر ابي على حقن دمك مع عظيم جرمك لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك فافحمه .

---

(٤) وفيات الاعيان ج : ١٠ ص ٢٢ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٢ .

وقبل الانتقال الى موضوع آخر نذكر كيف القى القبض على ابراهيم ونساير في هذا الركب قافلة الكامل لابن الاثير (٦) ، بتصرف بسيط . قال : وفي هذه السنة ـ سنة تسع ومائتين في ربيع الاول اخذ ابراهيم بن المهدي وهو متنقب مع امرأتين في زي امرأة اخذه حارس اسود ليلا فقال : من اين انتن واين تردن في هذا الوقت ؟ فاعطاه ابراهيم خاتم ياقوت كان في يده له قدر عظيم ليخليهن ولا يسألهن ، فلما نظر الحارس الى الخاتم استرابهن وقال : خاتم رجل له شأن ، ورفعهن الى صاحب المسلحة فأمرهن ان يسفرن فامتنع ابراهيم فجذبه ، فبدت لحيته ، فدفعه الى صاحب الجسر ، فعرفه فذهب به الى باب المأمون واعلمه به فأمر بالاحتفاظ به الى بكره ، فلما كان الغد اقعد ابراهيم في دار المأمون والمقنعه التي تقنع بها في عنقة والملفحة على صدره ليراه بنو هاشم والناس ويعلموا كيف اخذ ، ثم حوله الى احمد بن ابي خالد فحبسه عنده ثم اخرجه معه لما سار في الصلح الى الحسن بن سهل فشفع فيه الحسن (٧) ، وانه لما دخل على المأمون قال له : هيه يا ابراهيم فقال : يا أمير المؤمنين ولي النار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى ومن تناوله الاغترار بما مد له من اسباب الشقاء امكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال : بل اعفو يا ابراهيم فكبر وسجد وانشد قصيدته التي مطلعها :

يا خير من رفلت يمانية بـــــه ... بعد النبي لآين او طائـــــع

وسيأتي ايرادها كاملة في باب اشعاره المختارة فذكر ان المأمون قال حين

---

(٦) الكامل لابن الاثير ج : ٥ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ط ١٣٥٧ هـ .

(٧) وقيل بوران ابنة الحسن والذي يهمنا من الموضوع انه عفاعنه .

انشده هذه القصيدة : (قول كما قال يوسف لاخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) .

ابراهيم والطفيلي

ومحدثنا في هذه الحلقة هو المؤرخ الجليل ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ في كتابة مروج الذهب (٨) ، قال :

(ذكر ثمامه بن اشرس قال : بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول ماني ، ويقول بالنور والظلمة ، من اهل البصره ، فأمر بحملهم اليه بعد ان سموا واحد واحدا ، فلما جمعوا نظر اليهم طفيلي فقال : ما اجتمع هؤلاء الا لضيع فدخل في وسطهم ، ومضى معهم وهو لا يعلم بشأنهم ، حتى صار بهم الموكلون الى السفينة ، فقال الطفيلي : نزهة لا شك فيها ، فدخل معهم السفينة ، فقال الطفيلي : بلغ امر تطفيلي الى القيود ، ثم اقبل على الشيوخ فقال : فديتكم أيش انتم ؟ قالوا : بل أيش انت ؟ ومن انت من اخواننا ؟ قال : والله ما ادري غير اني رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم من منزلي فلقيتكم فرأيت منظرا جميلا ، وعوارض حسنه وبزه ونعمة ، فقلت : شيوخ وكهول وشباب جمعوا لوليمة ، فدخلت في وسطكم ، وحاذيت بعضكم كأني في جملة احدكم ، فصرتم الى هذا الزورق ، فرأيته قد فرش بهذه الفرش ومهد ، ورأيت سفرا مملوءة وجربا وسلالا ، فقلت : نزهة يمضون اليها الى بعض القصور والبساتين ، ان هذا اليوم مبارك ، فابتهجت سرورا ، اذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدني معكم ، فورد علي ما قد ازال عقلي ، فأخبروني ما الخبر ؟ فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسروا ، ثم قالوا : الان قد حصلت في الاحصاء ، وأوثقت في الحديد ، واما نحن فمانيه قد غمز بنا الى

---

(٨) مروج الذهب ج ٤ ص ٩ ، ط ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ط ٢٠ ، ١٩٤٨ : السعادة مصر .

المأمون ، وسندخل اليه ، ويسائلنا عن احوالنا ، ويستكشفنا عن مذهبنا ، ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن : منها اظهار صورة ماني لنا ، ويأمرنا ان تتفل عليها وتتبرأ منها ، ويأمرنا بذبح طائر ماء ، وهو الدراج ، فمن اجابه الى ذلك نجا ، ومن تخلف عنه قتـل ، فاذا دعيت وامتحنت فاخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ما تؤديك الدلالة الى القول به ، وانت زعمت انك طفيلي ، والطفيلي يكـون منه مداخلات واخبـار ، فاقطع سفرنا هذا الى مدينة بغداد بشيء من الحديث وايام الناس ، فلما وصلوا الى بغداد وادخلوا على المأمون جعل يدعو باسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه ، فيخبره بالاسلام ، فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من ماني ويظهر له صورته ويأمره ان يتفل عليها والبراءة منها ، وغير ذلك ، فيأبون ، فيمرهم على السيف ، حتى بلغ الى الطفيلي بعد فراغة من العشرة ، وقد استوعبوا عدة القوم ، فقال المأمون للموكلين : من هذا ؟ قالوا : والله ما ندري ، غير انا وجدناه مع القوم فجيئنا به ، فقال له المأمون : ما خبرك ؟ قال : يا أمـير المؤمنين ، امرأتي طالق ان كنت اعرف من اقوالهم شيئا ، وانما انا رجل طفيلي، وقص عليه خبره من اوله الى اخره ، فضحك المأمون ، ثم اظهر له الصورة ، فلعنها وتبرأ منها ، وقال : اعطونيها حتى اسلح عليها ، والله ما ادري ما ماني : ايهوديا كان ام مسلما ، فقال المأمون : يؤدب على فرط تطفله ومخاطرتـه بنفسه .

وكان ابراهيم بن المهدي قائما بين يدي المأمون فقال : يا امير المؤمنين ، هب لي ذنبه ، واحدثك بحديث عجب في التطفيل عن نفسي : قـال : قـل يا ابراهيم .

قال : يا أمير المؤمنين ، خرجت يوما فمررت في سكك بغداد متطرفا حتى انتهيت الى موضع ، فشممت رائحة ابازير من جناح في دار عاليه ، وقدور قد فاح قتارها ، فتاقت نفسي اليها ، فوقفت على خياط فقلت ، لمن هذه الدار ؟

فقال : لرجل من التجار من البزازين ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان ، فرفعت طرفي الى الجناح ، فاذا فيه شباك فنظرت الى كف قد خرجت من الشباك ومعصم ما رايت احسن منها قط ، فشغلني يا امير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور ، فبقيت باهتا وقد ذهل عقلي ، ثم قلت للخياط :

هو ممن يشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، واحسب ان عنده اليوم دعوة ، ولا ينادم الا مثله تجارا مستورين ، فانا كذلك اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لي الخياط :

هذان منادماه ، قلت : ما اسماهما وماكناهما ؟ فقال : فلان وفلان ، فحركت دابتي حتى دخلت بينهما .

وقلت ، جعلت فداكما ، قد استبطأ كما ابو فلان اعزه الله ، وسايرتهما حتى انتهينا إلى الباب ، فقدماني ، فدخلت ودخلا ، فلما رآني صاحب المنزل لم يشك الا اني منهما بسبيل ، فرحب واجلسني في أجل موضع ، فجيء يا امير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف ، واتينا بتلك الالوان فكان طعمها اطيب من رائحتها ، فقلت في نفسي : هذه الالوان قد اكلتها ، وبقى الكف والمعصم ، ثم رفع الطعام فغسلنا ايدينا ، ثم صرنا الى مجلس المنادمه ، فاذا هو انبل مجلس واجل فرش ، وجعل صاحب المجلس يلطف بي ويقبل على بالحديث ، والرجلان لا يشكان انه مني بسبيل ، وانما كان ذلك العقل منه بي لما ظن اني منهما بسبيل ، حتى اذا شربنا اقداحا ، خرجت علينا جارية تثني كأنها غصن بان ، فسلمت غير خجله ، وهيئت لها وسادة ، واتي بعود فوضع في حجرها فجسته فتبينت الحذق في جسها ، ثم اندفعت تغني :

توهمها طرفي فآلم خدهـــــــا	فصار مكان الوهم من نظري أثــر
وصافحها كفي فآلم كفهـــــــا	فمن لمس كفي في اناملها عقــــر

ومرت بقلبي خاطرا فجرحتهـــا ولم ار شيئا قط يجرحه الفكـــر

فهيجت والله يا امير المؤمنين على بلابلي ، وطربت لحسن غنائها وحذقها ثم اندفعت تغني :

اشرت اليها هل علمت مودتـــي فردت بطرف العين اني على العهـد
فحدث عن الاظهار عمدا لســرها وحادث عن الاظهار ايضا على عمد

فصحت السلامه ، وجاءني من الطرب مالا املك معه النفس ولا الصبر واندفعت تغني :

البس عجبا ان بيتا يضـــمني واياك لا نخلو ولا نتكلــم
سوى اعين تشكو الهوى بجفونهـا وترجيع احشاء على النار تضـرم
اشار افواه وغمز حواجـــب وتكسير اجفان وكف يســلم

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء ، واصابتها معنى الشعر ، وانها لم تخرج من الفن الــذي ابتدأته ، فقلت : بقى عليك يا جارية شيء ، فغضبت وضربت بعودها الارض ، ثم قالت : متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء ؟ فندمت على ما كان مني ، ورأيت القوم قد تغيروا الي .

فقلت : اليس ثم عود ؟ قالوا : بلى يا سيدنا ، فأتيت بعود ، فاصلحت من شأنه ما اردت واندفعت اغني :

مـا للمنـازل لا يجبن حزينـــا اصممن ام بعد المدى فبلينـــا
راحوا العشية روحة مذكـــورة ان متن متن ، وان حين حينـــا

فما استتممته جيدا حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلي تقبلها ، وهي تقول : المعذرة لك يا سيدي ، فما سمعت من يغني هذا الصوت مثلك ، وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها ، وطرب القـوم ، واستحثوا الشراب فشربوا بالطاسه ثم اندفعت اغني :

أبالله هل تنسين لا تذكرينني ... وقد سجمت عيناي من ذكرك الدما
فردي مصاب القلب انت قتلته ... ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله اشكو انها اجنبية ... واني لها بالود ما عشت مكرما

فجاء من طرب القوم يا امير المؤمنين ما خشيت ان يخرجوا من عقولهم فامسكت ساعة ، حتى اذا هدأ القوم اندفعت اغني الثالثة :

هذا محبك مطوي على كمده ... صب مدامعه تجري على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته ... مما به ويد اخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستهترا أسفا ... كانت منيته في عينه ويده

فجعلت الجارية يا امير المؤمنين تصيح السلامه ، هذا والله الغناء يا مولاي وسكر القوم ، وخرجوا من عقولهم ، وكان صاحب المنزل جيد الشراب ونديماه دونه ، فأمر غلمانه مع غلمانهم بحفظهم وصرفهم الى منازلهم ، وخلوت معه وشربنا اقداحا ، ثم قال : يا سيدي ذهب والله ما خلا من ايامي باطلا اذ كنت لا اعرفك ، فمن انت يا مولاي ؟ ولم يزل يلح علي حتى اخبرته فقام فقبل رأسي وقال : يا سيدي واني اعجب ان يكون هذا الادب الا لمثلك، واذا انا منذ اليوم مع الخلافة ولا اعلم ، وسألني عن قصتي وكيف حملت نفسي على ما فعلته ، فاخبرته خبر الطعام والكف والمعصم ، فقال : يا فلانه ، لجارية له ، قولي لفلانة تنزل فجعل ينزل الى جواريه واحدة واحدة ، فانظر الى كفها واقول : ليست هي ، حتى قال : والله ما بقى غير امي واختي ، ولانزلنهما اليك ، فعجبت من كرمه وسعة صدره ، فقلت له : جعلت فداك ، ابدأ بالاخت قبل الام ، فعسى ان تكون صاحبتي ، فقال : صدقت ، ففعل ، فلما رأيت كفها ومعصمها قلت : هي هي ، جعلت فداك ، فأمر غلمانه من فوره فصاروا الى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فاحضروا ، وجيء ببدرتين فيهما عشرون الف درهم ، ثم قال : هذه اختي فلانه ، وانا اشهدكم اني قد زوجتها من سيدي ابراهيم بن المهدى ، ومهرتها عنه عشرين الف درهم ، فرضيت

وقبلت النكاح ، ودفعت اليها البدره الواحده ، وفرقت الاخرى على المشايخ، وقلت لهم : اعذروا فهذا الذي حضرني في هذا الوقت ، فقبضوها وانصرفوا ،

ثم قال : يا سيدي امهد لك بعض البيوت تنام مع اهلك ، فاحتشمني والله يا امير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : بل احضر عمارية واحملها الى منزلي ، فقال : افعل ما شئت فاحضرت عماربة وحملتها الى منزلي ، فوحقك يا امير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دوري .

فتعجب المأمون من كرم ذلك الرجل واطلق الطفيلي ، واجازه بجائزة حسنة ، وامر ابراهيم باحضار ذلك الرجل فصار يعد من خواص المأمون واهل مودته ولم يزل معه على افضل الاحوال الساره في المنادمة وغيرها .

ابراهيم والحلاق

تكاد تكون حياة صاحبنا حافلة بالمفاجئات والحوادث الغريبة لذا نرى ان كتب التاريخ تنتخب قصصا غريبة وقعت له وقت اختفائه فتسجلها له وتعتبرها من الحوادث الحسنة التي تختار له ومن هذه الحوادث ما يحدثنا عنه المسعودي في كتابه مروج الذهب (٩) ، حيث قال : ومن احسن ما اختير من اخبار ابراهيم في حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين ، وهو ان المأمون لما دخل بغداد على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الباب من بثه العيون طالبا لابراهيم بن المهدي وجعل لمن دل عليه جعلا خطيرا من المال ، قال : ابراهيم فخرجت في يوم صائف في وقت الظهر لا ادري اين اتوجه ، فصرت الى زقاق ولا منفذ له ، فرأيت اسود على باب دار فصرت اليه وقلت له : اعندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار ؟ فقال : نعم ، وفتح بابه فدخلت الى

---

(٩) مروج الذهب ج : ٤ ص ٣٠ ، ٣١ ط الثانية م : السعادة بمصر .

بيت فيه حصير نظيف ووساده جلد نظيفه ، ثم تركني واغاق الباب في وجهي ومضى ، فتوهمته قد سمع الجعاله في وانه خرج ليدل علي ، فبينما انا كذلك اذ أقبل ومعه طبق عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وآلتها وجرة نظيفة وكيزان نظاف كل ذلك جديد وقال لي : جعلني الله فداك اني حجام وانا اعلم انك تتعذر ما اقولاه ، فشأنك بما لم تقع عليه يدي ، وكانت بي حاجة شديده الى الطعام ، فقمت وطبخت لنفسي قدرا ما اذكر اني اكلت اطيب منها ، ثم قال لي بعد ذلك : هل لك في النبيذ ؟ فقلت : ما اكره ذلك ، ففعل مثل فعله في الطعام ، وأتاني بكل شيء نظيف لم يمس شيئا منه يده ، ثم قال لي بعد ذلك ، أأذن لي جعلني الله فداك ان اقعد ناحية منك فآتي بنبيذ اشرب منه سرورا بك ؟ قال : فقلت : أفعل ذلك فلما شرب ثلاثا دخل خزانه له واخرج منها عودا وقال : يا سيدي ، ليس من قدري ان اسألك ان تغني ولكن قد وجبت عليك حرمتي ، فان رأيت ان تشرف عبدك بان تغنيه قال : فقلت وكيف توهمت على اني احسن الغناء ؟ فقال متعجبا : يا سبحان الله !! انت اشهر من ان لا اعرفك ، انت ابراهيم بن المهدي ، الذي جعل المأمون لمن دل عليك مائة الف درهم ، قال : فلما قال لي ذلك تناولت العود ، فلما هممت بالغناء قال : يا سيدي اتجعل ما تغنيه ما اقترحه عليك ؟ قلت : هات ، فاقترح ثلاثة اصوات اتقدم فيها كل من غنى ، قلت : هبك عرفتني هذه الاصوات من اين لك بمعرفتها ؟ قال : انا اخدم اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وكثيرا ما كنت اسمعه يذكر المحسنين وما يجيدونه ، ولم اتوهم اني اسمع ذلك منك في منزلي ، فغنينه وانست به واستظرفته ، فلما كان الليل خرجت من عنده ، وقد كنت حملت خريطة فيها دنانير فقلت له : خذها فاصرفها في بعض مؤنتك ، ولك عندنا مزيدا ان شاء الله تعالى فقال : ما اعجب هذا !! والله عزمت على ان اعرض عليك جملة ما عندي واسألك أن تتفضل بقبولها ، ثم اجللتك عن ذلك ، وامتنع من قبول شيء ومضى حتى دلني على الموضع الذي احتجت اليه وانصرف وكان لآخر العهد به .

انا ابراهيم بن المهدي :

حدثنا ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في كتابه المنتظم « قال لي خالد الكاتب . اضفت من عدمت القوت اياما فلما كان في بعض الايام بين المغرب وعشاء الاخره ، اذا بابي يــدق فقلت : من ذا ؟ فقــال . من اذا خرجت اليه عرفته . فخرجت فرأيت رجلا راكبا على حمار عليه طبل اسود وعلى رأسه قلنسوه طويله ومعه خادم فقال لي . انت الذي تقول :

اقول للســـقم عــد الى بدنــي حبا لشــيء يكون مــن ســببك

قال قلت . نعم قال احب ان تنزل عنه . فقلت . وهل ينزل الرجل عن ولده فتبسم وقال . يا غلام أعطه ما معك . فرمى الى صرة في ديباجه مختومة فقلت اني لا اقبل عطاء من لا اعرفه فمن انت ؟ قال : انا ابراهيم بن المهدي .

ان من الشعر لحكمة :

قال خالد بن يزيد الكاتب لما بويع ابراهيم بن المهدي بالخلافة طلبني وقد كان يعرفني وكنت متصلا ببعض اسبابه فأدخلت اليه فقال لي . يا خالد انشدني من شعرك . فقلت . يا امير المؤمنين . ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان من الشعر لحكمه . وانما امزح واهزل وليس لي ما انشد به أمير المؤمنين . فقال . لا ادع هذا يا خالد فان جد الادب وهزله جد انشدني فانشدته :

عش فحبك سريعا قاتلـــــيّ والضنى ان لم تصلني واصـــلي
ظفر الشوق بقلب مكمــــد فيك والسقم بجسم ناحــــل

(١٠) المنتظم القسم الثاني الجزء الخامس ط : ١ سنة ١٣٥٧ م : حيدر آباد الدكن .

فهما بين اكتئاب وضــــــني وبكائي لبكاء العــــــاذل
وبكي العاذل لي من رحمــــة تر كاني كالقضيب الذابــــــل

ابراهيم يمدح المأمون :

وكتاب (الكامل) لابن الاثير المتوفى عام ٦٣٠هـ يحدثنا بهذه القصيده كاملة وان المسعودي في كتابة (مروج الذهب) ثم يذكرها كاملة فآثرنا الكامل في النقل ، قال :

ياخير من رفلت يمانيــة بـــه بعد النبي لآيس أو طائـــــع
وابر من عبد الاله على التقـــى غيبا واقوله بحق صـــادع
عسل الفوارع ما اطعت فان تهج فالصاب يمزج بالسمام الناقـــع
متيقظا حذرا وما تخشى العـــدى بنهان من وسنان ليل الهاجـــع
ملئت قلوب الناس منك مخافـــة وتبيت تكلؤهم بقلب خاشـــع
بأبي وامـي فديـــة وابيهمـــا من كل معضلة وذنب واقـــع
ما الين الكنف الذي بوأتنـــــي وطنا وامرع رتعة للراتـــــع
للصالحات اخا جعلت وللتقـــى وابا رؤفا للفقير القانـــــع
نفس فداؤك اذ تظل معـــاذري والوذ منك بفضل حلم واســـع
املا لفضلك والفواضل شـــيمة رفعت بناءك للمحل اليافـــع
فبذلت افضل ما يضيق ببذلـــه وسع النفوس من الفعال البــارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثلـــه عفو ولم يشفع اليك بشـــافع
الا العلو عن العقوبة بعدمـــا ظفرت يداك بمستكين خاضـــع
فرحمت اطفالا كأفراخ القطـــا وعويــل عانســـة كقوس النـازع
وعطفت امرة على كما وهـــي بعد انهياض الوثي عظم الظالـــع
الله يعلم ما اقول كأنهـــــا جهد الاليه من حنيف راكـــع
ما ان عصيتك والغواة تقـــودني اسبابها الابنية طائـــــع

حتى اذا علقت حبائل شـــقوتي بردي الى حفر المهالك هائـــع
لم ادر ان لمثل جرمي غافـــرا فوقفت انظر أي حنف صـــارعي
رد الحياة علي بعـــد ذهابهـــا ورع الامام القادر المتواضـــع
احياك من ولاك افضل مـــدة ورمى عدوك في الوتين بقاطـــع
كم من يدلك لم تحدثني بهـــا تفس اذا آلت الى مطامعـــي
اسديتها عفوا الى هنيئـــة وشكرت مصطنعا لاكرم صانـــع
الا يسيرا عندما اوليتنـــي وهو الكبير لدى غير الضائـــع
ان انت جدت بها على تكن لهـــا اهلا وان تمنع فاكرم مانـــع
ان الذي قسم الخلافة حازهـــا من صلب آدم للامام السابـــع
جمع القلوب عليك جامع امرهـــا وحوى ردلؤك كل خير جامـــع

كتبه ومؤلفاته :

ذكر صاحب الفهرست ان له من الكتب كتاب ادب ابراهيم . كتـاب الطب كتاب الغناء .

وذكر المسعودي بان يوسف ابراهيم الكاتب صاحب ابراهيم بن المهدي قد صنف كتبا منها كتابه في إخبار المتطبيين مع الملوك في المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك . وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم بن المهدي في انواع الاخبار وغير ذلك من كتبه .

ومن شعره :

وهي القصيدة التي قالها في عفوه ايضا كما ذكر ذلك الصولي في كتاب الاوراق حيث قال : وله في عفوه اشعار كثيره منها قصيدة التي اولها .

اعنيك يا خير من نعنى بمؤتلـــف من الثناء أئتلاف الدر في النظـــم
اثني عليك بمـــا جدت من نعـــم وما شـــكرتك ان لم اثن بالنعـــم

وفيها :

... مالي ولم تمنن علي بــــــه	وقبل ردك مالي ما حقنت دمـــي
... منه وما كافأتها بيــــــد	هي الحياتان من موت ومن عــدم
... لي منك وطء العذر عنــدك لي	فيما اتيت فلم تعذل ولم تلـــم
... عفو بعدك وتسطو ان سطوت به	فلا فقدناك من عاف ومنتقـــم

ومن شعره :

كما حدثنا الصولي حيث قال : قال آستخفى ابراهيم عند بعض اهله من النساء ، فوكات نجد منه جارية جميلة ، وقالت لها : انت له ، فان ارادك لشيء فطاوعيه واعلمية ذلك حتى يتسع له . فكانت توفيه حقه في الخدمة والاعظام ، ولا تعلمه بما قالت لها ، فجل مقدارها في نفسه ، الى ان قبل يوما يدها فقبلت الارض بين يديه فقال :

يا غزالا لي اليـــــــــه	شافع من مقلتيــــــــــه
والــذي اجللت خـــــد	ية فقبلت يديـــــــــه
بابي وجهك مــــــا	أكثر حسادي عليــــــــه
انا ضيف وجزاء الضـــــ	يف احسان اليـــــــه

ومن شعره :

وانا لازلنا مسايرين قافلة كتاب اشعار اولاد الخلفاء من كتاب الاوراق للصولي . قال : حدثني الحسن بن يحيى الكاتب قال سمعت هبة الله بن ابراهيم ابن المهدي يقول حين اخذ أبي ابراهيم كتب الى المأمون رقعة فقرأها قبل ان يراه وهو اول شعر قرأه له :

ايا منعما لم تزل مفضـــــــلا	ادام الغنى سخطك الدائـــــم
شتمت فان قلت لا بل ظلـــــــ	مت فانـــي انا الكـــاذب الآثـــم

واستغفر الله من زلتـــــــــي فاني من جرمها واجـــــــم
يفز الحليم ويكبوا الجــــــوا د وينبو لدي الضربة الصـــارم
فها انا ذا العائذ المستجــــــــير فاحكم بما شئت باحاكـــــم
عصيت وتبت كما قد عصـــــى وتاب الى ربـــــــــه آدم
فقل قول يوسف لا تثر بـــــــن فقد يغفر الغافر الراحـــم
فلست الى زلة عائــــــــدا بد الدهر ما قعد القائـــــم

قال فحل ذلك اكثر ما كان في نفسه .

ومن شعره :

حدثنا عون بن محمد قال حدثنا محمد بن راشد قال انشدني ابراهيم بن المهدي .

فلله نفس ان في لعبـــــــــرة وللدهر نقض للقوى بعد ابـــرام
غدوت على الدنيا مليكا مســـلطا ورحت وما احوى بها قبس ابهـام

وانشد عون له بعقب هذا وكان يستجيده :

ونهيت نومي من جفوني فانتهـــى امرت ليلي ان يطول فطـــــالا
نظر العيون على العيون هو الــذي جعل العيون على العيون وبـــالا

ابراهيم بن المهدي يترك الغناء :

ذكر الصولي بان ابراهيم ابن المهدي قد ترك الغناء في اخر ايامه ، وذاك انه غنى المعتصم صوتا بشعر له :

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت منـــى هوى الشيب بي عنها ودلى بها عني
فان ابك نفسي ابك نفسا نفيســـة وان احتسبها احتسبها على ضـــن

وجعل يغني ويبكي ، فقال له المعتصم : ما هذا يا عم ؟ قال : حلفت بين

يدي الرشيد اني اذا بلغت الستين لم اشرب ولم اغن ، قال ومن يشهد بهذا ؟ قال جماعة قد يفي منهم مسرور الخادم فسأله عن ذلك فشهد له ، فاعفاه عن الغناء والشرب فما عاد لذلك الى ان مات .

ومن شعره :

الشيب شين والخضاب عـــذاب ولكل حي مهجة ستصـــاب
قالت امامة شبت يا بن محمــــد شيبا وشاب امامه الاتـــراب

وهذا معنى مليح يقول وقد شبت انت ايضا .

ينصح غيره ويترك نفسه :

حدثنا الصولي (١١) ايضا بان ابراهيم ابن المهدي اصح الناس رأيـا لغيره وافسدهم رأيا لنفسه . فقيل له في ذلك فقال انا انظر في امر غيري برأي سليم من الهوى ، ويغلب على رأي في امر نفسي ما اهواه .

تلاحي في التجزئه والقسمة في الغناء :

حدثنا الصولي : قال اخبرني يحيى بن علي قال اخبرني ابي عن يوسف بن ابراهيم وهو ابن خالة ابراهيم بن المهدي ، قال حضرت ابراهيم بن المهدي واسحاق بن ابراهيم الموصلي . يتلاحيان في التجزئه والقسمه في الغنـاء . فقلت لهما اراكما توجبان لهما معنيين ومعناهما واحد . فقال لي ابراهيم لا لوم عليك فيما انكرت من باب التجزئه والقسمة لان المنطق يوجب ما قلت ، ولكن اصحاب صناعة اللحون اذا ارادوا وضع صوت جزئوا شعره على اجـزاء

ثم قسموا اللحن على تلك الاجزاء فالتجزئه عندهم تجزئة

---

(١١) اشعار اولاد الخلفاء من كتاب الاوراق للصولي ط : سنة ١٣٥٥ هـ

والقسمة قسمة اللحن على الاجزاء قال ولم يكن احد بعد اسحاق اعلم بالغناء من ابراهيم •

بين ابراهيم وحسين بن الضحاك :

لازلنا حتى النهاية مسايرين ركب كتاب اشعار اولاد الخلفاء من كتاب الاوراق للصولي : واه يحدثنا بحديث اخر عن ابراهيم بن المهـدي قال ان الحسين بن الضحاك شرب عند ابراهيم بن المهدي يوما فجرت بينهما ملاحاة في الدين والمذهب ، فدعا له ابراهيم بنطع وسيف وقد اخـذ الشـراب منه وانصرف الحسين غضبان • فكتب ابراهيم يعتذر اليه ويسأله ان يجيبه فقال الحسين :

نديمي غير منســـوب الى شيء من الحيـــف
شعاني مثل ما يشـــر ب فعل الضيف بالضـــيف
فلما دارت الـــكأس دعا بالنطع والســـيف
كذا من يشرب الخمـــ مع التنين في الصـــيف

فلم يعد لمنادمته مدة ثم ان ابراهيم تحمل عليه ووصله مفاد لمنادمته •

شروط الغناء عند ابراهيم :

قال ابراهيم بن المهدي (١٢) « ثلاثة اشياء من الغناء ان لم يكن لصاحبها طبع لم يكنه معرفتها • منها المعرفة بالغناء • فلو ادركها انسان بفهم وعقل وادب لادركها احمد بن يوسف وهو اجهل الناس بالغناء • ودخول الحلق في الوتر لو بلغة احد بغير طبع لبلغه اسحاق مع تقدمة في هذا الشأن وعلمه به • وما دخل حلقة في وتر قط • وغناء الصوت على مثال واحد لو بلغة احد بغير

(١٢) الاوراق للصولي ط ج هيورث . دن سنة ١٣٥٥ هـ .

طبع لقدر عليه (علوية) في حذقة واحسان • ولكنه يجس موضعا ويحث موضعا • ومثل من كان كذا مثل الصبي الذي يعوج سطوره فلا ينفع فيه التعلم •

هدية ختان :

كتب ابراهيم بن المهدي الى اسحق عندما ختن بعض اولاده فقال : لولا ان البضاعة قصرت عن الهوى لاتعبت السابقين الى برك وحسبك ان تطوي صحيفة البر وليس لي فيها بره • وقد بعثت اليك ما المبتدأ به ليمنه والمختوم به لطيبة ورائحته • جراب وجراب اشنان •

عاصر الزيت :

كان ابراهيم بن المهدي يشنأ محمد بن عبد الملك الزيات فلما ولى وزارة المعتصم قال ابراهيم :

يا بؤس يوم كاسف ... ان لم يغير في غده
لامة وزيرها ... عاصر زيت بيده
يظهر نصحا وجهه ... وغشه في كبده

تحريض :

حدث الحسين بن الضحاك سنة عشرين ومائتين ــ وابراهيم بن المهدي حي قال دخل ابراهيم الى المأمون فقال : يا امير المؤمنين ان الله فضلك في نفسك على والهمك الرأفة والعفو عني • والنسب واحد وقد هجاني دعبل فانتقم لي منه فقال وما قال لك لعله قوله :

نفر ابن شكلة بالعراق واهله ... فهفا اليه كل اطيش مائق

وقرأ المأمون الابيات المتقدمة •

فقال هذا من هجائه وقد هجاني باقبح منه فقال لك في اسرة لانه هجاني فاحتملته فقال في :

انى من القوم الذين سيوفهم قتلت اخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال ابراهيم زادك الله يا امير المؤمنين حلما وعلما فما تنطق العلماء الا عن فضل علمك ولا يحلمون الا اتباعك لحلمك .

هذا وتريد هنا ان تتعرف الى السبب الذي حدا بالمأمون ان يتسامح ويعفو عن دعبل مع انه هجاه هجاء مرا مع اننا نرى المأمون يغار من انشاد قصيدة في مدح ابي دلف العجلي التي مدحه بها ابن العكوك وتمنى انها قيلت في مدحه ولما لم يكن لابن العكوك هوى وميول نحو المأمون عمد الى ان يستل لسانه .

ويحدثنا عن هذا الاحتمال من دعبل وغيره كتاب عصر المأمون للدكتور احمد فريد رفاعي (١٣) ، قال المأمون من قدرت على عقوبته لسئ فعله ، وقبيح جرمه ، فقدرتك عليه كفايتك نصرا لك منه ولا معنى لعقوبة بعد قدرة ، الحلم عن الذنب ابلغ من الاخذ به .

وهو هنا يعلل العفو تعليلا مقبولا جديرا بان يكون درسا في الاخلاق ثم يقول كتاب عصر المأمون : ومن الدلائل على صلاحية المأمون لما اعدته له الايام اتصافه بالاحتمال الذي لا يقوم الملك الا به ، ولا تسير الامور بدونه، وهو خلق يراه البعض سماحة ، ونراه من المأمون سياسة هي من الصميم في آداب الملوك ، وانه ليحتمل ، حتى لتحسبه من الغافلين ولكن الرجل كان يعرف ان للملك مصاعب ومتاعب اقلها مداراة الناس والنزول لهم عن بعض ما يشتهون .

---

(١٣) عصر المأمون ج : ١ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ط ١٣٤٦ .

ومن شعره ايضا :

ما انشده عبد الله بن المعتز لابراهيم بن المهدي :

من قال في الناس قولوا فيه ما فيـه   وحسبه ذاك من خزى ويكفيـــه
من نم في الناس ولا يدري به احد   عن الصديق ولم تؤمن افاعيــه
كالسيل يجري ولا يدري به احـد   من اين جاء ولا من اين يأتيـــه
او فر من رزقه عبد الى جبـــل   دون السماء لالقى رزقه فيـــه

وروى ايضا

انا اقدي على الهجران زينـــا   وان كنا على عمد كنينـــــا
وما زينا بتفدية اردنــــا   ولكنا عنينا من عنينـــــا
اقول وقد رأيت لها ســـماء   من الهجران مقبلة اليـنـــــن
وقد سحت عزاليها بعيـــد   حوالينا الصدود ولا علينـــا

وحدث ايضا عبد الله بن المعتز قال كتب ابراهيم بن المهدي الى بعض اصحابه في يوم غيم :

ان كنت تنشط للصبوح فانـــه   يوم اغر محجل الاطـــراف
وارى الغمامة كالعقاب محلقـــا   مسودة الاوساط والاكتـــاف
طورا بتلك بالرذاذ وتـــارة   تهمي عليك بدلوها الغـــراف
فانعم صباحا وائتنا متفضـــلا   ودع الخلاف فليس يوم خـــلاف

وانشد ابن المعتز لابراهيم ايضا :

قليت الصبا وهجرت الغـــواني   وسلمت معترفا للزمـــان
واعنقت منطلقا في القيـــا   د بعد الجماح وجذب العنـــان
كذاك الفتى وحروف الزمـــا   ن يحدثن شأنا له بعد شـــان
رايت الحياة ولذاتهـــــا   معلقة بليال فـــــوان

واني صبور لما نابنـــــي	سريع الى كل حق عـــــراني
وليس يرى خائفا من اجـــر	ت ولا خائبا سعيه من رجـــاني
نداى يمدحني مادحـــي	ويبكي على به من رثـــاني
أحب الوفاء اذا ما وعـــد	ت والايعاب بمطل ضـــماني
كذلك عودني والـــداي	فعودت نفسي الذي عـــوداني

وقال :

واني وواهي ملككم مثل ســاق	طليحا يزجيها على الابن راكـــب
اذا صدقتني النفس عنكم تقول لي	اتدري هداك الله من ذا تعاتـــب
فوالله ما ادري اذا ما ذكرتكـــم	أأعفو لكم عن ذنبكم ام اعاتـــب
بلى ليس لي الا تعمد ذنبكـــم	وان لم يكن فيكم من الذنب تائب
واني وامي أمكم وابي لكـــم	أب عنكم لي لواردت مذاهـــب

وقال :

وقد تلين ببعض القول تبذلـــه	والوصل في جبل صنعب مراقيـــه
كالخيزران منيعا منك مكســره	وقديرى لينا في كف لاويـــه
فتلك هم فؤاد انت صـــاحبه	لو انها مرة كانت تجازيـــه
وان في طول ماضـــنت عليـــه لما	يسليه لو ان شيئا كان يســليه

وقال :

اطعت الهوى وعصيت الرشـــد	ولم تملك الصبر عمن تـــود
اذا الليل اسبل سر بالـــه	على الارض واسود وجه البلـــد
رعيت الكواكب حتى الصـــبا	ح ودمعي كاللؤلؤ المنســـرد
فمن طالعات ومن غائـــرات	وآخر في حيرة قد رقـــد
ومن ضاجعات بافق المغيـــب	يراقبها كارتقاب الرصـــد
وما الناس الا عدو الشـــقي	والا صديق امرىء قد ســعد

إذا ما الزمان باخلاقـــــه طواك كعصى التباب الجـــدد
يفيض عليك قداح الـــــردي لتأخذ منها بقدح نكـــــد
فما انت الا اسير لــــــه وان امكن الحيد عنه فحـــد
هب الدهر لم يتحامل علــــي سواك فهل لك منه القـــود
وان يسقك اليوم من آجـــن صرى لا يذاق ولا يـــزدرد
فقد كان يسقيك من صـــفوه نطاف الفوادي بذوب الشـــهد
كذالك تجيء حروف الزمـــا ن على ما اردت وما لم تـــرد
وقد يسبق الفوت وشك العجـــو ل ويدرك حاجته المتئـــد
وان خالط الدهر فاصبر علـــي تلونه فمع اليوم غـــد
عذاري الغداة من الاطيبـــين اهل القباب الطوال العمـــد
من آل ابي الفضل عم النبـــي وجدي فاكرم بعم وجـــد

وله في الشيب وذمه :

إذا سال وادي الشيب في مفرق الفتى وقنع منه عمة المتلثــــم
فياقبح ما تحكي المرآة لعينـــه ويا بعده من كل عيش ومنعـــم

ومن شعره في الليل ليل العاشق :

مضى الليل الا ان ليلي لا يمضـي وان جفوني لم تـرو مـن الغمض
إذا صد عنك الدهر يوما بوجهـه تقاضاك من احسانه سالف القرض

ومن شعره الجيد :

تحاماني الصديق وغاب عنـــي ثقات صنائعي وهم حضـــور
وقلوا في البلاد وكان عهـــدي بهم زمن الرخاء وهم كثـــير
فلم يك في يدي منهـــم ومحـــا ذ حزتهم له الا الغـــرور
ايا عجبا اما في الناس ممـــن تقلد نعمتي رجل شـــكور

الوفاء الكامل :

الم تعلمي يا آل فهد بن مالك ... رميت بنفسي دونكم في المهالك
بلي فا علمي باآل فهر بانني ... اخوك الذي اعطاك حق اخائك
اخوك الذي يقرى عدوك صرما ... حساما ويقرى درة في شفائك
اجود بمالي دون مالك تارة ... وطورا اقيم الغر تحت لوائك

ومن شعره الشباب والشيخ :

وقد يصدق السيف يوم الوعن ... اخاه وان كان رث القراب
كأن سنا بارق مستطير ... بين ذؤابته والذباب
كذاك الرجال يكون الفتى ... صليبا وذو الشيب صلب النصاب

ومن المتشبيهات النادرة المستحكمة قوله :

بكل جلالة عيساء حرف ... علنداة واعنس عجرفي
اذا شدت بها الانساع اصغت ... كما اصغى النجي الى النجي
وراغية تنتك عن النصابي ... كما تنت الضعيف يد القوي
هناك شكوت ما تلقي اليها ... كما يشكو الفقير الى الغني
تساقط وهي فاترة المآقي ... تساقط مهجة الضبي الرمي
وتجري الخمر بعد النوم منها ... على سبطين من در نقي
شكت اشراف فيمها عليها ... كما يشكو اليتيم من الوحي
ارتك محاسبا منها اختلاسا ... تضيء اضاءة البرقي الخفي
كتخليل الالوة ثم زالت ... زوال الفيء في ظل العشي
ويلذع مهجني ذو العدل فيها ... كلذع السوط خاصرة البطي
كأن الليل زيد اليه ليل ... مقيم فاستمر على الشجي

ومن شعره :

هو الحر اخلاقا وبرا وشـــــيمة … وعقلا وخير القوم من أوتي العقــلا
تراه طليقا وجهه متهـــــــــــللا … كأن صقيلا من عوارضه يجلـــى

ومن قوله الزمان القلب :

يا ايها المتشاوس المتغاضـــــــب … المعرض الجاني العبوس القاطـب
لا انت لي ســـلم فتنصـرني ولا … حرب اذا نصب العدو مناصـــب
قلب الزمان هواك عن منهاجـــه … ان الزمان لكل حال قالــــــب

ومن شعره كحل العيون بلا كحل :

هيف الحضور قواصد النبـــــل … قتلننـــا بنواظـــر نجـــــل
كحل الجمال جفون اعينهـــــا … فغنين عن كحل بلا كحـــــل

وقال ايضا :

يا عائبي عند اعدائي ليرضـــيهم … وبائعي بيسير ما اه خطـــــــر
اظهرت انـك لا انت العــدو ولا … انت الولي الذي يصفى ويدخـــر
فما تحول من سلمي ولا أجـــــا … ركن ولا خفت شمس ولا قمـــر

وقال يرثي ولده احمد وهو اكبر ولده :

نأي آخر الايام عنك حبيـــــب … فللعين سح دائم وغـــــروب
يؤوب الى اوطانه كل غائــــب … واحمد في الغياب ليس يـــؤوب
تبدل دارا غير داري وجـــيرة … سواي واحداث الزمان تنـــوب
اقام بها مستوطنا غير انـــــه … على طول ايام المقام غـــريب
وكان نصيب العين من كل لـــذة … فامســى وما للعين فيـه نصـيب
كأن لم يكن كالغصن في منبعة الضحى … زهاه الندى فاهتز وهو طيــب

كأن لم يكن كالصقر أو في بشامخ | الذرى وهو يقظان الفؤاد طلــوب
كأن لم يكن كالرمح يعدل صـــدرة | غداة الطعان لهزم وكعـــــوب
يقض الحديد المحكم النسج وحده | ويبدو وراء القرن وهو خضـــيب
وريحان قلبي كان حين اشــــمه | ومؤنس قصري كان حين اغيـــب
كأني منه كنت في نوم حالــــم | نفي لذة الاحلام عنه هبـــوب
جمعت أطباء العراق فلم يصــب | دواءك منهم في البلاد طبيـــب
ولم يملك الآسون نفعا لمهجـــة | عليها لاشراك المنون رقيـــب
واني وان قدمت قبلي لعــــالم | باني وان أخرت منك قريــــب
وان صباحا نلتقي في مســــائه | صباح الى قلبي الغداة حبيـــب

اخلاق حث على مثلها القرآن :

حدثنا الصولي في كتابه الاوراق : كانت يد ابراهيم بن المهدي في يد ابي العتاهية بمكه وهو ينشد :

عجبا عجبت لغفلة الانســـــان | قطع الحياة بغرة رثوانــــــي
فكرت في الدنيا وكانت منـــزلا | عندي كبعض منازل الركبـــان
ابغي الكثير الى الكثير مضـــاعفا | ولو اقتصرت على القليل كفـــاني
لله در الوارثين كأننـــــي | باخصهم متبرما بمكانـــــي
قلقا لتجهيزي الى دار البـــلا | متحريا لكرامتي بهــــواني
متبرمــا منــي اذا نشــر الثرى | فوقي طوي كشحا على هجـــراني

فقال له قائل لو قرأتها كان انفع لكما ، فقال له ابراهيم هذه اخـلاق حث عليها القرآن .

العيش حلو والمنون مريرة :

لما لبس ابو العتاهية الصوف كتب اليه ابراهيم بن المهدي :

ان المنية امهلتك عتاهـــــــي ... والموت لا يسهو وقلبك ســاهي
يا ويح ذا البشر الضعيف امالــه ... عن غيه قبل الممات تناهــــي
وكلت بالدنيا تبكيها وتنــــــد ... بها وانت عن القيامة لاهــــي
العيش حلو والمنون مريــــرة ... والدار دار تفاخر وتبـــــاه
فاجعل لنفسك دونها شـــغلاولا ... تتجاهلن لها فانك داهــــي
لا يعجبك ان يقال مفـــــوه ... حسن البلاغة أو عريض الجـــاه
اصلح فسادا من سريرتك التــي ... تلهـو بهـا وارهـب مقـام الله
ما الزهد من رجل الد مكـــذب ... بالبعث غير ضلالة وســـفاه
وارى المقالة غـير صـالحة وان ... اظهـرت غـير مقالـــة الاواه
اني رأيتك مظهرا لزهـــادة ... نحتاج منك لها الى اشـــباه
ان كان لبس الصوف حجتك التـي ... تدعو النجاة فانني الك تاهـــي
ما في يديك من اللباس اذا نمــوت ... منك السريرة غير حبل واهـــي
لا شيء يقبل منك الامابـــــه ... حكمت عليك نواطق الافـــواه
والامر بعد عليك ديحك واســـع ... ما لم تسو الهنا بالــــــه

فقال ابو العتاهية انا عن بجواب مثله وماله عندي الا ما يجب .

فصول من كتاباته :

بعد ان عرضنا النماذج الكثيرة من اشعاره نقدم في هـذا الفصل مكاتباته حيث علمت مما قدمنا في صدر الموضوع عن ابراهيم بانه اول من نبغ من اولاد الخلفاء وانه كان الاول في الغناء ثم انه الشاعر الكاتب وان محدثنا عنه في هذه الفصول هو الصولي في كتابه اشعار اولاد الخلفاء من كتاب الاوراق . وانها مكاتبات تصور لنا الخلافة تصويرا كاملا .

الله يمتعني بك :

كتب ابراهيم الى طاهر كتابا منه : زادك الله للحق قضاء . وللشكر

اداء • ابلغني رسولي عنك ما لم ازل اعرفه منك ، والله يمتعني بك ، ويحسن في ذلك عن جزائك ، ومع ذلك فاني اظن اني علمتك الشوق لاني ذكرته لك، فهيجته منك والسلام وفصل منه الى منصور بن المهدي :

وما الحق الا حق الله ، فمن اداة فلنفسه ، ومن قصر عنه فعليها نسأل الله ان يعمرنا بالحق ، ويصلحنا بالتوفيق ويحصننا بالتقوى •

والى العباس بن موسى :

عبد الرحمن بن عبد الله من لا احتاج الى وصف حاله لك ، ولعلي عرفتها بعدك ، غير اني احب مسرته بقضاء حقه ، وواجب حرمته من مودته وموالاته ، وقد جعلك ممن يحافظ على ذلك ومثله ، اراك الله ما تحب ان تحفظني ونفسك فيه ، وتولية ما جعلك الله اهله وجعله حقيقا به •

وفي كتاب له :

لو عرفت فضل الحسن لتجنبت القبيح ، وانا واياك كما قال زهير :

وذي خطل في القول يحسب انـــه   مصيب فما يلمم به فهو قائلـــه
عبأت له حلمي واكرمت غـــيره   واعرضت عنه وهو باد مقاتلـــه

وان من احسان الله الينا واساءتك الى نفسك ، انا صفحنا عما امكننا وتناولت ما اعجزك فله الحمد كما هو اهله •

وفصل له :

لم يبق لنا بعد هذا الجنس شيء نمد اعيننا اليه الا الله الذي هو الرجاء قبله ومعه وبعده •

فصل له :

اما الصبر فمصير كل ذي مصيبة . غير الحازم يقدم ذلك عند اللوعة طلبا للمثوبة ، والعاجز يؤخر ذاك الى السلوه ، فيكون مغبوبا نصيب

الصابرين . ولو ان الثواب الذي جعل الله لنا على الصبر كان على الجزع لكان ذلك اثقل علينا . لان جزع الانسان قليل وصبره طويل . والصبر في أوانه ايسر مؤونه من الجزع بعد السلوه . ومع هذا فان سبيلنا من انفسنا على ما ملكنا الله منها ان لا نقول ولا نفعل ما كان لله مسخطا ، فاما ما يملكه الله من حسن عزاء النفس فلا نملكه لانفسنا .

وفصل له :

وصل كتابك السار المؤنس ، فكان سر طالع الى واحسنه موقعا مني ، اذ كنت استدامي بعلوك وارى نعمتك تنحط الى ، ويتصل بي ما يتصل بالاونين من لحمتك ، وحملة شكرت ومظان معروفك والمقيمين على تأميلك . فلا اعد من الله ما استجنى ولا ازال عني ظلك ولا افقدني شخصك .

وله :

كتبت اليك ونحن في عافية مجدده ؛ والحمد لله المتطول بالنعمة المرجو للمزيد ، ولست وان باعدتك الدار مني ؛ ونأى بك الزمن عنا بمفصي القلب عن برك بالذكر ، والعناية ، ولا اللسان بالدعاء ، والمسئلة ، ولا النيه في الاخلاص والمحبة لاحياء العهد بالمكاتبة وتجديد الوصله بالمراسله .

فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : التواصل بين الناس في الحضر التزاور ، وفي السفر التكاتب .

وهذا فصل اخر :

حدثنا الصولي (١٤) عن عون بن محمد الكندي قال حضرت مع ابي وعمي دار بعض ولد العباس بن محمد لنعزيه على ميت لهم ، فجاء ابراهيم بن

---

(١٤) اشعار اولاد الخلفاء من كتاب الاوراق ص ٢٦ ط ١٣٥٥ هـ .

المهدي فتشوفه الناس وقاموا له ـ وذلك قبل العشرين ومائتين ـ قال ولم أكن رأيته قط ، فاذا انا برجل سمين آدم غليظ الشفتين ، حسن العين ، حسن الانف ، فتكلم في التعزية فاحسن وحفظ الناس كلامه ولم اسمع انا ما قال حين جاء ، ثم نهض فقال « تابع الله النعم لديكم واحسن العوض لكم واخلف عليكم ، ولقى الله فلانا ازكي عمله وقبل حسنته وغفر قبيحه .

ذكر ابن خلكان المتوفى في عام ٦٨١ هـ في وفياة الاعيان ان ولادة ابراهيم بن المهدي كانت في غرة ذي القعدة سنة اثنتين وستين ومائـه ، وتوفى يوم الجمعة لتسع خلون من شهر رمضان سنة اربع وعشرين ومائتين (بسر من رأى) وصلى عليه ابن اخيه المعتصم رحمة الله .

اما ما ذكره الصولي في كتابه الاوراق فهـو يحـدثنا بما يأتي قال : (اعتل ابراهيم بن المهدي في سنة اربـع وعشرين ومائتين وأوصى وصـية شهد بها لجماعة من بني العباس رحمة الله عليه ثم اوصى لولد ابي بكر وعمر وعثمان وطلحه وسائر ولد العشيرة رحمة الله عليهم ولاولاد الانصـار ولم يوص لولد علي عليه السلام بشيء فقال الواثق : قبح الله فعله ، ترك اهله وخالف رسول الله صلى الله عليه وسـلم في قوله (ادانيك ادانيك) والله لا امضاها امير المؤمنين على هذه الصفه فلما توفى امر المعتصم بالله ان يجعل لولد علي عليه السلام من الوصية كما لولد العباس عليه السلام وامضاها على ذلك .

قال واشتدت علة ابراهيم بن المهدي في شهر رمضان من سنة اربـع وعشرين ومائتين ، وجعل يشرب الماء فلا يروي ، ووجه الى المعتصـم يطلب ثلجا ، وكان قد عز وجوده في ذلك الوقت فأمر ان تصرف وظائف الثلج كلها اليه فلما مات ركب المعتصم وصلى عليه وكبر خمسا وانصرف قبل ان يدلى في قبره وتقدم الى هارون الواثق ان يتولى ذلك . ويقف الى ان يجن ففعل كارها وانصرف .

وهكذا يطوي التاريخ صفحة من صفحات شخص قد ابدع في الغناء فاحكم اصوله وضبطه ضبطا علميا كما جود في الشعر بشتى ضروبه ودبج المراسلات وتولى شؤون الادب اضافة لامور الخلافة ودفن بسر من رأى ولكن الذي يحز في النفس ويجرعها غصص الامر هو ان قبره غير معروف نظـرا لضياع معالمها للادوار القاسية الظالمة التي مرت عليها . ومزقتها شر ممزق . وقد شرحت هذه الادوار القاسية في كتاب تاريخ سامراء قديما وحديثا(+) وفصلت الوقائع والحوادث تفصيلا مستنبطا فلتراجع هناك .

(+) هذا الكتاب مازال مخطوطا وهو من الدراسات الواسعة جدا عن مدينـة سامراء من مختلف جوانبها الادبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية ...

احمد بن عبيد بن ناصح بن بلنجر أبو جعفر
النحوي

عندما كانت مدينة « سر من رأى » مركز ثقل الخلافة العباسية فقدأمها وقصدها رجال العلم والادب على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم وكل جاء اليها لحاجة في نفس يعقوب . وان من بين القاصدين اليها المتصدرين في محافلها احمد بن عبيد النحوي . وقد اشتهر بهذا اللقب لكثرة جولاته النحوية في المجالس التي كان يعقدها لطلاب هذا العلم او تعقد له للمناقشة والنقد .

واما من الان حديقة تعبق فيها اربع رياحين فتعطر ترجمته وهذه الرياحين هي كتاب انباه الرواة على انباه النحاه والفهرست ، وتاريخ بغداد ومعجم الادباء .

فانباه الرواة يقول انه مولي بني هاشم ويعرف بأبي عصيده وهو ديلمي الاصل . كان نحويا متصدرا للاقراء « بسر من رأى » وهو معدود في نحاة الكوفة .

---

(١) انباة الرواة على انباه النحاه ج : ١ ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ط : ١٩٥٠ م : دار الكتب المصرية .

اما تاريخ بغداد (٢) ، فانه يؤيد كتاب انباه الرواة على انباه النحاة ويقول احمد بن عبيدة بن ناصح بن بلنجر ابو جعفر النحوي مولى بني هاشم ويعرف بابي عصيدة وهو ديلمي الاصل •

ويؤيد صاحب الفهرست (٣) ، اللقب كصاحبيه فيقول : اخبار ابي عصيده ، ولم يسمه بالاسم الذي سماه به انباه الرواة وتاريخ بغداد • ويظهر من كلام صاحب الفهرست ان شهرته بهذا اللقب اكثر شيوعا من اسمه الحقيقي وهذا ما يشاهد كثيرا بالنسبة لغيره حتى في زماننا هذا •

شيوخه وطلابه :

حدث عن الوافدي والاصمعي وابي داود الطيالسي ، وزيد بن هارون وغيرهم • هذا ما قاله معجم الادباء (٤) •

اما شيوخه الذين يذكرهم الخطيب البغدادي(٥) فهم الواقدي والاصمعي والحسين بن علوان الكلبي وعلي بن عاصم وابو داود الطيالسي وعبد الله بن بكر السهمي ويزيد بن هارون وابي عامر العقدي ومحمد بن زبار الزباري ومحمد بن مصعب القرقساني •

وطلابه الذين رووا عنه فهم كما يذكرهم معجم الادباء القاسم بن محمد بن بشار الانباري واحمد بن حسن بن شهير •

ويذكر الخطيب هؤلاء الذين ذكر معجم الادباء ويزيد عليهم علي بن

---

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج : ٣ ص ٢٥٨ ط : ١٣٤٩ م : السعادة مصر •
(٣) الفهرست لابن النديم ص ١٠٨ م : الرحمانية .
(٤) معجم الادباء ج : ٣ ص ٢٢٨ .
(٥) نفس المصدر السابق .

محمد المصري ومحمد بن جعفر الادمي القاري وعبد الله بن اسحاق بن الخراساني •

ويذكر الخطيب ما روى عنه فقال : حدثنا ابو جعفر احمد بن عبيد ابن ناصح النحوي « بسر من رأى » حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا حميد عن انس بن مالك قال : اني رجل النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة فقال (متى الساعة) يا رسول الله ؟ قال : « ما اعددت لها ؟ » قال : والله يا رسول الله ما اعددت لها كثير عمل من صوم ولا صلاة ، غير اني احب الله ورسوله ، فقال صلي الله عليه وسلم (المرء مع من احب) قال لما رأيت المسلمين فرحوا بشيء فرحهم بها •

ويروي له الخطيب البغدادي احاديث اخرى ينكرها عليه ويعلل فيها سبب انكاره ويعضد حكمه هذا بما كتبه فقال : قرأت في كتاب ابن سعيد الماليني اخبرنا عبد الله بن عدى الحافظ • قال : احمد بن عبيد ابو عصيده النحوي كان بسر من رأى يحدث عن الاصمعي ومحمد بن مصعب بمناكير •

وقال : اخبر لي احمد ابن علي اليزدي نقلا عن الحافظ النيسابوري ابي احمد قال : احمد بن عبيد بن ناصح الهاشمي مولاهم ، لا يتابع في جل حديثه ويؤيد الخطيب في هذا الانكار عليه معجم الادباء فقد قال : وكان ضعيفا فيما يرويه •

تاديبة أولاد المتوكل :

تجمع التراجم على هذه القصة التي اقدمها اليك ايها القاريء العزيز وانها وان اختلفت الفاظها فان مآلها واحد وقد وردت هذه القصة في المصادر التي قدمتها لك عدا الخطيب البغدادي •

واني انقلها اليك من كتاب انباه الرواة على انباه النحاة فقد قال :

ولما اراد المتوكل ان يامر باتخاذ المؤدبين لولديه المنتصر والمعتز جعل ذلك الى ايتاخ فأمر ايتاخ كاتبه بتولي ذلك فبعث الى الاحمر والطوال وابن قاوم • واحمد بن عبيد وغيرهم من الادباء فاحضرهم مجلسه فجاء احمد بن عبيد فقعد في اخر الناس ، فقال من قرب منه لو ارتفعت ، فقال : حيث انتهى بي المجلس • فلما اجتمعوا فقال لهم الكاتب لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم •

فالقى لهم بيت ابن غلفاء وهو :

ذريني انما خطئي وصـــــــــــوبي
على وان ما انفقت مـــــــــــــال

وقال : ارتفع (مال) بماذا ؟ فقيل ارتفع « مال » بما اذ كانت موضع الذي ثم سكتوا • فقال احمد بن عبيد : هذا الاعراب فما المعنى ؟ فاحجم القوم فقيل له : ما المعنى عندك ؟ فقال : اراد ما لومك اياي انما انفقت مالا ولم انفق عرضا والمال لا الام عليه في انفاقه • فجاء خادم من صدر المجلس فأخذ بيده حتى تخطى به الى اعلى المجلس وقال : ليس هذا موضعك فقال : لان اكون في مجلس ارفع منه الى اعلاه احب الى من ان اكون في مجلس ارتفع منه الى اخره ثم احط عنه • واختير واخر معه ، وهو ابن قادم •

درس عملي مع المعتز ابن المتوكل :

يحدثنا معجم الادباء في ثنايا ترجمته عن هذا الموضوع فيقول : حدثنا القاسم عبيد الله ابن محمد جعفر الازدي قال : سمعت احمد بن عبيد بن ناصح يقول : لما اراد المتوكل ان يعقد للمعتز ولاية العهد حططته عن مرتبته قليلا ، وأخرت عذاء • عن وفته فلما كان وقت الانصراف قلت للخادم احمله، فضربته من غير ذنب ، فكتب بذلك للمتوكل : فانا في الطريق منصرفا ، اذ لحقني صاحب رسالة فقال : امير المؤمنين يدعـوك ، فدخلت على المتوكل

وهو جالس على كرسي والغضب يبين في وجهه ، والفتح قائم بين يديه متكئا على السيف ، فقال : ما هذا الذي فعلته يا ابا عبد الله ، قلت : اقول يا امير المؤمنين ؟ فقال : قل ، انما سألتك لتقول ، قلت : بلغني ما عـزم عليه امير المؤمنين ـ اطال الله بقاءه ـ فدعوت ولي عهده وحططت منزلته ليعرف هذا المقدار فلا يعجل بزوال نعمة احد ، واخرت غداءه ليعرف هذا المقدار مـن الجوع ، فاذا شكى اليه الجوع عرف ذلك ، وضربته من غير ذنب ليعرف مقدار الظلم فلا يعجل على احد قال : فقال احسنت وامر لي بعشرة الاف درهم ثم لحقني رسول قبيحه بعشرة الاف اخرى فانصرفت بعشرين الف .

المعتز يسأل استاذه ابا عصيده :

وحدث صاحب معجم الادباء عن احمد بن ناصح قال : قال لي المعتز يوما بامؤدبي ، تصلي جالســا ؟ وتضــربني قائما ؟ فقلت له : وضربك من الفروض ولا اؤدي فرض الا قائما .

خطاب ووداع :

ومن انشاد احمد بن عبيد كما جاء في ترجمته في كتاب معجم الادباء قوله :

ضعفت عن التسليم يوم فراقنـــــــــا
فودعتها بالطرف والعين تدمـــــــــــع
وامسكت عن رد السلام فمـــــــــن رأى
محبا بطرف العين قبلي يـــــــــــودع
رأيت سيوف البين عند فراقنـــــــــا
بأيدي جنود الشوق بالموت تلمـــــــع
عليك سلام الله من مضـــــــــاعفا
الى ان تغيب الشمس من حيث تطلـــــــع

مؤلفاته :

ذكر صاحب الفهرست وانباه الرواة على انباه النحاة ومعجم الادباء بان له من الكتب كتاب المقصور والمحدود وكتاب المـذكر والمؤنث وكتاب الزيادات من معاني الشعر ليعقوب واصلاحه وكتاب عيون الاخبار والاشعار •

هذا ولم تذكر كتب التراجم شيئا عن ولادته ولا عن وفاته ومكانها ويلوح لي من الحوادث التي سايرت قتل المتوكل ان ذكر هذا الاديب قد درس كما درس ذكر غيره ممن كانوا يلتفون حول بلاط المتوكل وقبيحه وهكذا يسدل التاريخ ستارا كثيفا عن وقائع كثيره منها ما فعله المتلاعبون بمقدرات الدولة العباسية ومنها الحرق والغزو والاتلاف الذي حصل ابان الحروب المدمرة والتي اشدها وقعا حروب هولاكو • وتلاعب ابن عبد الحق صاحب مراصد الاطلاع واصحابه في المخلفات العلمية والادبية • وعسى الايام تكشف لنا صفحات جديدة عن هذا الاديب •

ابن حماد

واسمه محمد بن حماد وقد ورد ذكره في مروج الذهب للمسعودي (١) والذي يفهم من كلامه انه كان من الرجال المشرفين على الاعمال الخاصة بالخليفة أو ما نسمية اليوم رئيس التشريفات . وهذا هو قوله : وكان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة عجيب الحديث فيه سلامة اهل السواد فقال المعتصم يوما « لمحمد بن حماد » اذهب بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملني فأتاه فقال : ان امير المؤمنين يأمرك ان تزامله فتهيأ لشروط مزاملة الخلفاء ومعاولتهم فقال علي بن الجنيد : وكيف اتهيأ ؟ اهيء لي رأسا غير رأسي ؟ أأشتري لحية غير لحيتي ؟ أأزيد في قامتي ؟ انا متهيء وفضله ، قال لست تدري بعد ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم ؟ فقال علي بن الجنيد وما هي ؟ هات يا من تدري . قال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا وكان يرسم الحجاب : شرط المعادله الامتاع بالحديث والمذاكره والمناوله وان لا يبزق ، ولا يسعل ولا يتخنح ولا يمخط . وان لا يتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل ، وان يتقدمه في النزول ، فمتى لم يفعل المعادل هذا كان والمتقله الرصاص التي تعدل بها القبه سراء ، وليس له ان ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه

---

(١) مروج الذهب ج ٤ ص ٤٨ ، ٤٩ .

وما هو راكبه ، لانهما اذا قاما جميعا فمال جانب لا يشعر بميله كان في ذلك ما لاخفاء به ، وعلي بن الجنيد ينظر اليه ، فلما اكثر عليه في هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول اهل السواد : آه حرها اذهب له فقل له : ما يزاملك الا من امه زانية وهو كشخان فرجع ابن حماد فقال المعتصم ما قال ، فضحك المعتصم وقال جئني به فجاءه فقال : يا علي ابعث اليك تزاملني فلا تفعل ؟ فقال : ان رسولك هذا الجاهل الازعر جاءني بشروط حسان الشاشي وخالويه المحاكي فقال : لا تبزق ، ولا تفعل كذا ، وافعل كذا ، وجعل يمطط في كلامه ، ويفرفع في صاداته ، ويشير بيديه ، ولا تعطس ولا تسعل ، وهذا لا يقوم لي ولا اقدر عليه ، فان رضيت ان ازاملك فان جاءني الفساء فسوت عليك وخرطت واذا جاءك انت فأده فافسو واخرط والا فايس بيني وبينك عمل ، فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وذهب به الضحك كل مذهب وقال : نعم زاملني على هذه الشريطه قال : نعم وكرامه ، فزامله في قبة على بغل ، فسارا ساعة وتوسطا البر ، فقال علي يا امير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى ؟ قال : ذلك اليك اذا شئت ، قال : تحضر ابن حماد ، فأمر المعتصم باحضاره فقال له علي : تعال حتى أسارك ، فلما دنا منه فسا وناوله كمه وقال : اجد دبيب شيء في كمي فانظر ما هو ، فأدخل رأسه ، فشم رائحة الكنيف ، فقال : ما ارى شيئا ولكني لم اعلم ان في جوف ثيابك كنيفا ، والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ، ثم جعل يفسو فساء متصلا ، ثم قال لابن حماد ، قلت لي لا تسعل ولا تبزق ولا تمخط فلم افعل ولكني اخري عليك ، قال : فاتصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية ، ثم قال للمعتصم قد نضجت القدر واريد اخرى ، فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه : ويلك يا غلام الارض الساعة ا موت .

هذا ما عثرنا عليه من ترجمته . حيث ان المسعودي وحدة قد انفرد بهذه الحكاية عن بقية المراجع التي بأيدينا .

الحسن بن عليل

هو الحسن بن عليل بن الحسين بن علي بن جيشى ابن سعد ابو علي العنزي • نسبة الى قبيلة (عنزه) وهي احدى القبائل العربية المشهورة •

ويذكر كتاب انباه الرواة على انباه النحاة (١) أنــه الاديب اللغــوي الاخباري صاحب النوادر عن العرب وكان صدوقا واسم ابيه علي ولقبــه عبيل (بالتصغير) وهو الغالب عليه •

ويورد كتاب تاريخ بغداد نفس الترجمة عنه فيقول : وكان صاحب ادب واخبار وكان صدوقا واسم ابيه علي ولقبه عليل وهو الغالب عليه •

من روى عنهم وروى عنه :

فقد روى عن يحيى بن معين ، وهدبه بن خالد ، وابي خيثمه زهير بن حرب وعبد الله بن مروان بن معاويه ، وقعنب بن المحرز الباهلي ، وابي الفضل الرباشي (٢) •

اما الذين رووا عنه فهم قاسم بن محمد الانباري • والحسين (٣) بن

---

(١) ج : ١ ص ٣١٧ ط : ١٣٦٩ م : دار الكتب المصرية .
(٢) نفس المصدر • الســابق
(٣) تاريخ بغداد ج : ٧ ص ٣٩٨ .

القاسم الكوكبي واحمـد بن محمد الجوهـري • وعبد الله بن اسـحاق الخراساني وعبد الباقي بن قانع •

الاقوال المروية عنه :

يحدثنا بذلك تاريخ بغداد (٤) فيقول : قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تباع صبرة الطعام بصبرة الطعام ، لا يدري ما كيل هذا ولا كيل هذا •

وقال في رواية حديث نبوي اخر : مجالسة الثقيل حمى الروح •

شعره :

لم ترد لنا كتب الادب الا نزرا من شعره وقد وردت الابيات التالية في مصدرين هما انباه الرواة على انباه النحاة وتاريخ بغداد •

قال :

كل المحبين قد ذموا السهاد وقـــــــــد
قالوا باجمعهم طوبي لمن رقــــــــــدا
وقلت يارب لا اهوى الرقـــــــاد ولا
الهوبشـيء ســوى ذكـرى لــه ابـــدا
ان نمت نام فؤادي عن تذكـــــــــره
وان سهرت شكا قلبي الذي وجـــــدا

وفاته :

لقد اختلف اصحاب التراجم والسير اختلافا بسيطا في شهر وسنة وفاته

---

(٤) نفس المصدر السابق •

فذكر انباه الرواة على انباه النحاة (انه مات ـ رحمه الله في سلخ المحـرم أو صفر سنة تسعين ومائتين « بسر من رأى ») .

وذكر تاريخ بغداد انه (مات سلخ المحرم أو غرة صفر ـ سنة تسعين ومائتين ـ قلت وبسر من رأى كانت وفاته .

لقد انفرد انباه الرواة على انباه النحاة بذكر ما له من المؤلفات فقال : فما رأيته من تصنيفه ـ وهو بخطه ، وملكته ولله الحمد ـ كتاب النوادر ـ .

احمد بن ابراهيم بن حمدون

ويلقب بالنديم لانه كان ينادم الخلفاء ولم يكن هو لوحده من الذين قد اشتهروا بالنديم فأن احمد بن ابراهيم الذي اكتسب هذا اللقب قد كان نديما للمعتصم (١)، وابو العبيس بن ابي عبد الله بن حمدون وابنه ابراهيم بن ابي العبيس فكلي واحد منهم معروف بالنديم وقد نادموا الخلفاء .

ويؤيد هذا ما ذكره معجم الادباء بقوله « وكان ابوه ابراهيم واظن انه الملقب بحمدون ينادم المعتصم ثم الواثق بعده ، وكان يعاتب المتوكل في ايام اخيه الواثق وجاء مرة بحية واخرج رأسها من كمه تعريضا بانه شجاع(٢) وكان ذلك يعجب الواثق . ولما مات الواثق نادم حمدون المتوكل فلما كان في بعض الايام أمر المتوكل باحضار فريدة جارية اخيه الواثـق فاحضرت مكرهة ودفع اليها عود فغنت غناء كالندبة فغضب المتوكل وامرها ان تغني غناء فغنت بتحزن وشجتى فزاد ذاك في طيب غنائها فوجم حمدون للرقه التي تداخلته ، فغضب المتوكل ورأى انه فعل ذلك بسبب اخيه الواثق حزنا عليه وكان يبغض كل من مال اليه فأمر بنفيه الى السند وضربه ثلثمائة سـوط

---

(١) معجم الادباء ج : ص ٢٠٩ ، ٢١٠ وكذا وردت الرواية في الشـابتى في كتاب الديارات .

(٢) شجاع : اسم ام المتوكل

فسأل ان يكون الضرب من فوق الثياب لضعفه عن ذلك فاجيب الى ذلك اقام منفيا ثلاث سنين .

حمدون يحدث عن المعتصم :

قال (٣) ، دعاني المعتصم يوما فدخلت اليه وهو في بعض مجالسه والى جنبه باب صغير فحادثته مليا الى ان رأيت الباب قد حرك وخرجت منه جارية بيضاء مقدودة حسنة الوجه وبيدها رطل وعلى عنقها منديل فأخذ الرطل من يدها فشربه ثم قال : أخرج يا حمدون فخرجت فكنت في دهليز الحجرة فلم البث ان دعاني فدخلت وهو على حالة ، فحادثته مليا ثم حرك الباب فخرجت جارية كأحسن ما يكون من النساء سمراء رقيقة اللون بيدها رطل فأخذه وشربه ، وقال : ارجع الى مكانك فخرجت فلبثت ساعة هناك ثم دعاني فاتيته وحادثته ساعة وحرك الباب فخرجت أحسن الثلاث بيدها رطل ومعها منديل فأخذ الرطل فشربه وقال : ارجع الى مكانك فخرجت فلبثت ساعة ثم دعاني فدخلت « فقال لي : اتعرف هؤلاء » ؟ قلت : معاذ الله ان اعرف احدا ممن هو داخل دار امير المؤمنين ، فقال : احداهن ابنة بابك الحزمي ، والاخرى ابنة المازيار أو « المازمان » والثالثة ابنة بطريق عمورية ، افترعتهن الساعة وهذه نهاية الملك يا حمدون .

عود على بدء :

ذكرنا فيما تقدم ان ابناء حمدون من الذين اشتهروا في المنادمة . ونذكر الان النص الادبي الذي يؤيد ذلك فقد قال معجم الادباء (٤) ، واما ابو محمد بن حمدون فذكر حجظة ان مولده في سنة سبع وثلاثين ومائتين

---

(٣) معجم الادباء نفس المصدر .

(٤) معجم الادباء نفس المصدر السابق .

وتوفي ببغداد في رمضان سنة تسع وثلاثمائة ونادم المعتمد وخص به وكان من ثقاته المتقدمين عنده وله معه اخبار .

واما ابو العبيس بن ابي عبد الله بن حمدون احد المشهورين بجودة الغناء والصنعة فيه وابنه ابراهيم بن ابي العبيس ايضا من المجيدين في الغناء وشجاء الصوت فهؤلاء المعروفون بمنادمة الخلفاء من بني حمدون .

من هو ابن النديم :

ذكر الاستاذ كوركيس عواد في حاشية الديارات (٥) ، انه « اديب لغوي من اهل المائة الثالثة للهجرة . كان استاذ ابي العباس ثعلب وخصيصا بالمتوكل ونديما له .

وذكر معجم الادباء انه « النديم ابو عبد الله ذكره ابو جعفر الطوس في مصنفي الامامية وقال ، هو شيخ اهل اللغة ووجههم واستاذ ابي العباس ثعلب ، قرأ عليه قبل ابن الاعرابي وتخرج من يده وكان خصيصا بأبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام ، وابي الحسن قبله وله معه مسائل واخبار .

لماذا نفاه المتوكل الى تكريت ؟

امامي الان مصدران يذكران السبب معجم الادباء والديارات للشابشتي ولما كانت رواية الديارات اقدم فاننا سنعول عليها في النقل قال : وكان سبب نفي المتوكل له ان الفتح بن خاقان كان يعشق شاهك خادم المتوكل واشتهر الامر فيه حتى بلغه وله فيه اشعار منها .

اشاهك ليلي مذهجرت طويـــــل ... وعيني دما بعد الدموع تسيل
وبي منك والرحمن مالا اطيقـــه ... وليس الى شكوي اليك سبيل
اشاهك لو يجزي المحب بـــوده ... جزيت ولكن الوفاء قليـــل

---

(٥) كتاب الديارات ص ٤ ط : ١٩٥٠ ، تحقيق كوركيس عواد .

وكان ابو عبد الله يسعى فيما يحبه الفتح فعرف المتوكل الخبر فاستدعي ابا عبد الله وقال له : انما اردتك وادنيتك لتنادمني ليس لتقود علي غلماني فانكر ذلك وحلف يمينا حنث فيها فطاق من كانت حرة من نسائه واعتق من كانت مملوكه ولزمه حج ثلاثين سنة فكان يحج كل عام .

قال : فأمر المتوكل بنفيه الى تكريت فأقام بها اياما ثم جاءه زرافة (٦)، في الليل على البريد فبلغه ذلك فظن انه يعني المتوكل لما شرب بالليل وسكر أمر بقتله فاستسلم لامر الله فلما دخل عليه قال : جئت في شيء ما كنت احب ان اجيء بمثله في مثاه ! قال : وما هو ؟ قال : امر امير المؤمنين بقطع اذنك! وقال : قل له : لست اعاملك الا كما يعمل الفتيان ! فرأى ذلك اسهل مما ظنه من القتل فقطع غضروف اذنه من خارج ولم يستقصه وجعله في كافور معه وانصرف . وبقى منفيا ثم حرر ابو عبد الله الى بغداد الى منزله فأقام به مدة .

العودة الى منادمة المتوكل :

لم تذكر المصادر سبب اعادته بل ذكرت كما قال الشابشتي في الدبارات « واعاده المتوكل الى خدمته وكان اذا دعا به قال على جهة المزاح يابا عبيد . ولما رضى عنه قال له : هل لك في جارية اهبها لك ؟ فأكبر ذلك وانكره فوهب له جارية يقال لها « صاحب » .

من هي صاحب ؟

لازلنا مسايرين لركب الدبارات للشابشتي (٧) ، وصاحب هي جارية

---

(٦) زرافة من اصحاب دولة المتوكل وكان هو الجلاد .
(٧) نفس المصدر السابق .

من « جواريه حسنة كاملة الادب الا ان بعض الخدم رد السبطانه (٨) ، على فمها وقد ارادت ان ترميه فصدع احدى ثنيتها فاسودت فشأنها ذلك عنده وحمل معها كل ما كان لها وكان شيئا عظيما كثيرا . فلما مات ابو عبد الله تزوجت صاحب بعض العلويين قال علي بن يحيى المنجم فرأيته في النـــوم وهو يقول لي :

ابا علـــي مـــا تـــرى العجائبـــا اصبح جسمي في التراب غائبـــا

واســتبدلت صـــاحب بعــدي صـــاحبا

ابن النديم ونجاح بن سلمه :

سيأتي شرح حياة نجاح بن سلمه في بابــه وانــه من كتاب الدولــة العباسية ويظهر من القصة التالية ان ابن النديم لا يروق له ان ينال احــد منزلته اللائقة فيه ويحب ان يظهر على الغير بأي طريق . فينقض هذا ويخمش وجه هذا . ويغمز على ذاك . ويهزأ بذلك .

ويحدثنا بهذه المنافسة كتاب الديارات للشــابشتي تحقيق الاســتاذ كوركيس عواد قال : واتصل بنجاح بن سلمه ان ابا عبد الله بن حمــدون يذكره ويتنادر به بين يدى المتوكل فلقيه نجاح يوما فقال له : يا أبا عبد الله قد بلغني ذكرك لي بحضرة امير المؤمنين بغير الجميل ولم يخف على قولك اتحب ان انهي اليه قولك اذا خلوت به : « اتراني احبه وقد فعل بي ما فعل ؟ والله ما وضعت يدي على اذني الا تجددت له بغضــه في قلبي » فقال ابن حمدون : الطلاق له لازم ان كان قال هذا قط وامرأته طالق ان ذكرتك بغير

---

(٨) الة من خشب مستطيلة كالرمح مجوفة الداخل يجعل فيها الصائد بندقة من طين صغيرة في فيه وتنفخ منها فيها فتخرج منها بحده فتصيب الطير : من حاشية الديارات للشابشتي ـ مصدر سابق .

ما تحب ابدا : ولا اريد ان اعلق باكثر من ان ابن النديم رجـل مطلاق ، وابغض شيء من الحلال الى الله الطلاق .

ابن النديم واسحاق الموصلي :

ان القرن الثالث الهجري كان حافلا برجالات الأدب الذين قد كملوا معرفة ودراية . وهذا شاعر من شعراء العصر العباسي الثالث يتحـدث الى اديب مشهور ومغني معروف وان خير من يحفظ لنا هذا الحديث الادبي هو كتاب الديارات الشابشتي (٩) ، فقد ذكر : ان ابا عبد الله انحدر الى بغداد الى منزله فاقام به مدة قال ابو عبد الله : فلقيت اسحق بن ابراهيم الموصلي بعد ما كف بصره . فسألني عن اخبار الناس والسلطان . فأخبرته ثم شكوت اليه غمي بقطع اذني . فجعل يسيلني ويعزيني ، ثم قال لي : من المتقدم اليوم عند امير المؤمنين والخاص من ندمائه ؟ فقلت له : محمد بن عمر البازيار . فقال لي : ومن هذا الرجل ؟ وما مقدار علمه وادبه ؟ فقلت : اما أدبه فلا ادري ولكني اخبرك بما سمعت منه منذ قريب : حضرنا الدار يوم عقد المتوكل لاولادة الثلاثة فدخل مروان بن ابي الجنوب بن ابي حفصه فانشده قصيدته التي يقول فيها :

بيضاء في وجناتهـــــــا ورد فكيف لنا بشـــــمه

فسر المتوكل بذلك سرورا شديدا وأمر فنثر عليه بدرة دنانير وان تلقط وتطرح في حجره وامره بالجلوس وعقد له على الجامة والبحرين ، فقال : يا أمير المؤمنين ما رأيت كاليوم قط ولا ارى ابقاك الله ما دامت السـموات والارض ! فقال محمد بن عمر : هذا بعد عمر طويل ان شاء الله ! وقبل ، قال له : فما تقوله في ادبه ؟ فقال : أأكثر من ان يقول للخليفة : ابقاك الله

---

(٩) الديارات نفس المصدر السابق .

يا أمير المؤمنين الى يوم القيامة وبعد القيامة بشيء كثيرا . فقال لي اسحق : ويلك اجزعت على اذنك وغمك قطعها ؟ ولم ؟ حتى تسمع مثل هذا الكلام ؟ ثم قال لي : ويلك لو ان لك مكوك آذان ، ايش كان ينفعك مع هؤلاء ؟

لعبة نرد :

يظهر من القصة التي سأسردها تحت هذا العنوان ان اوقات الفراغ كانت تقضي بالملاهي كما في عصرنا الحاضر . ويحدثنا بهذا الحديث كتاب الديارات للشابشتي (١٠) ، قال : كان ابراهيم بن محمد بن مدبر يلاعب ابا عبد الله بالنرد فاذا غلبه شيئا ، دفعه الى كردية المغنية جارية محمد بن رجا . فغلبه يوما عشرين دينارا فأخذها منه ودفعها اليها فكتب اليه ابو عبد الله بعد ذلك :

تقضي الحقوق بمالي وانت تعرف حالي
ان دام هذا عتابي افقرتني وعيالي

يوم النيروز :

وقد اخذ به المسلمون وتطور حتى ان الخلفاء اخذوا يحتفلون به رسميا وقد اكثر الشعراء من ذكره وذكر الهدايا فيه ولسنا في بحثنا هذا نريد الاستقصاء بما كتب عن « النيروز » ولكن لما كان فيه حادثه لمترجمنا نريد النديم فانا نذكر هذا الحديث كما يحدثنا ابو عبد الله بن النديم في كتاب الديارات للشابشتي قال : « قال ابو عبد الله بن حمدون : كنا عند المتوكل في يوم نوروز والهدايا تعرض عليه وفيها تماثيل من عنبر ، وكان شفيع الخادم واقفا وعليه اقبية مورده ورداء مورد وهو فيها من احسن الناس وجها فجعل المتوكل يدفع الى شفيع قطعة قطعة من ذلك العنبر ويقول ادفعها الى

(١٠) نفس المصدر السابق تحقيق كوركيس عواد .

حسين ، واغمز يده فيفعل ذلك وكان آخر ما دفع اليه وردة حمراء حياه بها فأنشدا يقول :

وكالوردة البيضاء حيا بحمـــــرة من الورد يسعى في غلائل كالـــورد
له عبثات عند كل تحيـــــــــة بكفيه تستدعى الخلى الى الوجـــد
تمنيت ان أسعى بكفيه شـــــربة تذكرني ما قد نسيت من العهـــد
سقى الله دهرا لم ابت فيـــه ليلـــة من الدهر الا من جيب علي وعـــد

فأمره المتوكل ان يسقيه وقال : قد اعطيناك امنيتك .

مجلس نوادر مع الواثق :

حدثنا كتاب معجم الادباء (١١) ، عن هذا المجلس الذي قـد تحلل جلاسه من تهيب الخلافة والادب والاحتشام او ما نسميه اليوم (أتيكيت البلاط) فقال ، حدث احمد بن ابي طاهر : ان ابن حمدون النديم حدثه : ان الواثق بالله بسط جلاسه وامرهم الا ينقبضوا في مجلسه وان يجـروا الندره على ما اتفقت عليه غير محتشمين ، وان اتفق وقوعها عليه احتمل قال : فعبرنا على ذلك مدة ، وكان على احدى عيني الواثق نكثة بياض فلما كان في بعض الايام انشد الواثق ابيات ابي حية النميري :

نظرت كأني من وراء زجاجـــــة الى الدار من ماء الصبابة انظـــر

فقلت : والى غير الدار يا أمير المؤمنين فتبسم ثم قال لوزيره : قـد قابلني هذا الرجل بما لا اطيق ان انظر اليه بعدها . فانظر كم مبلغ جارية وجرايته وارزاقه وصلاته فاجمعها واقطعه بها اقطاعا بالاهواز واخرجه اليها ليبعد عن ناظري ففعل ..

(١١) نفس المصدر السابق ص ٢١٣ .

قال : واخرجت اليها وتبيغ (١٢) ، بي الدم ، فالتمست حجاما كان في خدمتي فقيل : لم يخرج في الصحبه لعلة لحقته ، فقلت : التمسوا حجاما نظيفا حاذقا وتقدموا اليه بقلة الكلام وترك الانبساط فأتوني بشيخ حسن على غاية النظافة وطيب الربح فجلس بين يدي واخذ الغلام المرآة فلما اخذ في اصلاح وجهي قلت له : اترك في هذا الموضع واحذف في هذا الموضع وعدل هذه الشعرات وسرح هذا المكان واطلت الكلام وهو ساكت فلما قعد للحجامه قلت له : اشرط في الجانب الايمن اثنتى عشرة شرطة وفي الجانب الايسر اربع عشرة شرطة فان الدم في الرانب الايسر اقل منه في الايمن لان الكبد في الايمن والحرارة هناك اوفر والدم اغزر فاذا زدت في شرط الايمن اعتدل خروج الدم من الجانبين ففعل وهو مع ذلك ساكت فعجبت من صمته وقلت للغلام ادفع اليه دينارا فدفعه اليه فرده فقلت : استقله ولعمري ان العيون الى مثلي ممتده والطمع مستحكم في نديم الخليفه وصاحب اقطاعه اعطه دينارا آخر ففعل فردهما وابى ان يأخذهما فاغتظت وقلت : ـ قبحك الله ـ انت حجام سواد واكثر من يجلس بين يديك يدفع لك نصف درهم وانت تستقل ما دفعت اليى ؟ فقال : وحقك ما رددتها استقلالا ولكن نحن اهل صناعة واحدة وانت احذق مني وما كان الله ليراني وانا آخذ من أهل صناعتي أجرة ابدا ، فاخجلني وانصرف ولم يأخذ شيئا .

ماذا في العام القابل ؟

قال : فلما كان في العام القابل خرجت لمثل ما خرجت اليه في العام الماضي واحتجت الى نقص الدم فقلت لغلامي . اذهب فجئنا بذلك الحجام فقد

---

(١٢) تبينع به الدم ها ج : ١ هـ حاشية معجم الادباء ص ٢١٣ .

عرف الخدمة وقد انصرف تلك الدفعة ولم يأخذ شيئا ولعله قد نسيها فيقع برنا منه على حاجة منه اليه ، قال : فلما جلس بين يدي واصلح وجهي الاصلاح الذي كنت اوقفته عليه وحجمني احسن حجامه فلما فرغ قلت : سبحان الله انت صانع سواد فمن اين لك هذا الحذق بهذه الصنعه ؟ فقال : وحقك ما كنت احسن من هذا شيئا ولكن حجام الخليفة اجتاز بنا بهذا الموضع في العام الماضي ، فتعلمت منه هذا فضحكت منه وامرت له بثلاثين دينارا مع ما تم له من معاريض كلامه في الدفعتين جميعا .

المال الذي حصله ابن النديم من المتوكل والمستعين

حدثنا عن هذه الثروة كتاب معجم الادباء قال : وتحدث جحظه في اماليه قال : قال لي ابو عبد الله ابن حمدون : حسبت ما وصلني به المتوكل في مدة خلافته وهي اربع عشرة سنة وشهور فوجدته ستين الفا وثلاثمائه الف دينار ونظرت فيما وصلني به المستعين في مدة خلافته وهي ثلاث سنين ونيف وكان اكثر مما وصلني به المتوكل .

نتف من شعره :

لم تحفظ لنا كتب الادب جميع اشعاره بل اكثرها على ما يظهر قد فقد حيث لم نجد في فهارس الكتب الخطية والمطبوعة كتابا يجمع اشعاره ومع هذا فان ما احتفظت به كتب الادب تدلنا دلالة واضحة على انه كان اديبا لغويا وان ادبه ومعرفته الواسعة للغه جعلته وأهلته لان يكون استاذا لثعلب وثعلب هو احد اركان رجال اللغة والادب وكتابه الموسوم بأمالي ثعلب يغنيه عن التعريف به . فمن يكون استاذا لثعلب لحرى ان تكون له صولات ادبيه وشعريه واسعة . ومع هذا فانا قدمنا عرضا في مطاوي وثنايا البحث عنه قسما من اشعارة والان نقدم ما تيسر لنا من اشعاره . فقد جاء في كتاب الديارات

للشابشتي عند ذكر (دير درمالس) اربعة ابيات يذكر انها لابي عبد الله بن حمدون النديم قالها في هذا الدير وهي :

يا دير درمالس ما احسـنك ... ويا غزال الدير ما افتنـك
لئن سكنت الدير يا سـيدي ... فان في جوف الحشا مسـكنك
ويحك يا قلب اما تنتـهي ... عن شدة الوجد بمن احزنـك
ارفق به بالله يا سـيدي ... فانه من حينه مكنـك

وكان من خبر هذا الشعر ما ذكره احمد بن خالد الصريفيني قال (١٣)، كنا عند ابي عبد الله بن حمدون في الوقت الذي نفاه فيه المتوكل فتذاكرنا الديارات وطيبها وحسنها في الاعياد واجتمـاع الناس بها فقال : قد والله شهيتني لحضور هذه المواضع والتفرج فيها والتسلي بها فأي دير منها قد حضره عبده ؟ قلت : دير درمالس وغدا عيده قال فعلى بركة الله فاعددت جميع ما يحتاج اليه ويصلح لمثله وبكرنا الى الدير ونظرنا الى اجتماع الناس وتعبيدهم وانصرف من انصرف واقمت معه في الدير ذلك اليـوم ومن غـده وجلسنا منه مجلسا يشرف على تلك البساتين والمزارع فشرب وطابت نفسه وطرب وحضره من احداث الموضع من كان يقض لنا الحاجة ويجيئنا بالطرفة والتحية فشغف بهم واستطاب وقته معهم وقال الابيات المتقدمه .

وله ايضا :

قال الشابشتي في الديارات ولابي عبد الله شعر جيد ومن شعره يعاتب علي بن يحيى :

من عذ يرى من ابي حسـن ... حين يجفوني ويصـرمني
كان لي خلا وكنت لـه ... كامتزاج الروح بالبـدن

(١٣) نفس المصدر ص ٤ تحقيق كوركيس عواد .

فوشى واش فغـــــيره وعليه كان يحســـــدني
انما يزداد معرفــــــة بودادي حين يفقـــــدني

جحظه يرثي ابن حمدون :

كل نفس ذائقة الموت . وهكذا حكم هذا السلطان على اديب شاعر لغوي كما قضى على من قبله ومن بعده :

لو كانت الدنيا تدوم لواحـــــد لكان رسول الله فيها مخلـــــدا

وهنا بعد وفاته يظهر اصدقاءوه المخلصون فيرثونه باشعارهم واقوالهم التي خلدها الدهر ومن بين هؤلاء الاصدقاء الاوفياء جحظـة الذي سيأتي عنه في محله ان شاء الله .

ويحتفظ لنا بحفظ هذا الوفاء كتاب معجم الادباء حيث قال : وانشـد جحظة في امالية لنفسه يرثي حمدون النديم كذا قال ولم يعينه :

ايعذب من بعد ابن حمدون مشرب لقد كدرت بعد الصفاء المشـــارب
أصبنا به فاستأسد الضبع بعـــده ودب الينا من اناس عقـــارب
وقطب وجه الدهر بعد وفاتـــه فمن أي وجه جئته فهو قاطـــب
بمن الج الباب الشديد حجابـــه اذا ازدحمت يوما عليه المواكـــب
بمن ابلغ الغايات ام من بجاهـــه انال واحوى كل ما انا طالـــب
فاصبحت خلف البيت خلف جدارة وبالامر مني يستعيذ النجائـــب

استمرار على الوفاء :

وقد ورد ايضا في نفس المصدر السابق ذكر جحظة لابن النـديم فانه قال : وقال جحظة في ابى جعفر بن حمدون ولا اعرفه الا انه كذا اورده في اماليه :

ابا جعفر لا تنال العـــــــلا بتيهك في المجلس الحاشـــــــد
ولا بغلام كبدر التمــــــــا م ركب في غضن مائـــــــد
ولا بازيار اذا ما انســــــــ ـاك يخطر بالذر والصـــــائد
فكيف ومالك من شـــــاكر وكيف مالك من حامـــــــد
اتذكر اذ أنت تحت الزمـــــا ن وحيد بلا درهم واحـــــد

قد قدمنا عن ابن النديم انه يكنى بأبي عبد الله وهنا في هذا الخبر الذي اورده معجم الادباء يكنيه بأبي جعفر • فهل ان ابا جعفر هو نفسه ابو عبد الله ولماذا كنى بأبي عبد الله ومرة اخرى كنى بأبي جعفر • ويظهر من تعداد الكنيه هنا ان له ولدين احدهما عبد الله وثانيهما جعفر ، أو يظهر انه كان له ولد كبير اسمه عبد الله وانه قد توفى وخلفه اخ اخر اسمه جعفر • وعلى كل لا تضير الكناية بالنسبة للمكني ولان تعددت ولكن اجبت الاشارة الى ذلك لئلا يقع اللبس أو الاعتراض •

مؤلفاته :

يظهر لنا من القائمة التي سنذكرها عن مؤلفاته بأنه رجل اديب عالم لغوي حاق علمه في عالم التأليف لطول باعه فيه وله من الكتب كما قال كتاب معجم الادباء : (كتاب اسماء الجبال والمياه والاودية) اقول ويظهر من هذا الكتاب بأن ابن النديم كان رحالة ومن رواد علم الجغرافيا (وكتاب بني مره بن عوف ، كتاب بني عز بن قاسط ، كتاب بني عقيل كتاب بني عبد الله بن غطفان ، كتاب طي) وهذه الكتب تدل على معرفته الواسعة بانساب العرب والقبائل •

(وكتاب شعر العجير السلولي وصنعته ، كتاب شعر ثابت بن قطنه) اقول وهذه الكتب تهدينا الى سعة افقه الفكري في الشعر والشعراء •

ابن ابن فنن

واسمه احمد بن ابي فنن وكنيته ابو عبد الله الشاعر واحمد بن ابي فنن كما يقول الخطيب البغدادي (١) : مولى بني هاشم واسم ابي فنن صالح ويكن احمد ابا عبد الله وهو شاعر مجود نقي اللفظ ، اكثر المدح للفتح بن خاقان وكان احمد اسود اللون وهو القائل :

لئن حسبت سواد الليل غـــيرني فان قلبي في حسن ابيَ دلـــــف
عاش بني فصار مثلــــــــــي يلبس ما قد خلعت عنـــــــي
فسرني ما رأيت منـــــــه وساءني ما رآه منـــــــي

ويقول صاحب فوات الوفيات (٢) هو : احمد بن ابي فنن ومن شعره : ولم يزد على هذا القول شيئا .

ويقول الاستاذ كوركيس عواد في حاشيته بكتاب الديارات للشابشتي: شاعر عراقي مجود نقي اللفظ عاش في المائة الثالثة للهجره اكثر المدح للفتح بن خاقان ومن انشاد أحمد بن ابي فنن كما ذكر الخطيب البغدادي قوله :

صحيح الود لو يمسى عليــــلا لتكتب او نرى منكم رســــولا

---

(١) تاريخ بغداد ج : ٦ ص ٢٠٢ ط : ١٣٤٩ م : السعادة .
(٢) ج : ١ ص ٨٣ م : السعاده .

اراك تسومه الهجران حتـــــى | اذا ما اعتل كنت له وصــــــولا
فروضـــني الحياة بوصـــل يـــوم | يكون على رضاك له دليــــــلا
هما موتان مــوت ضنى وهجـــر | وموت الهجر شرهما ســــــبيلا

ولاحمد بن ابي فنن كما في الخطيب البغدادي :

صب بحب متيم صـــــــــــب | حبيه فوق نهاية الحــــــــب
ادميت باللحظات وجنتـــــه | فاقتص ناظره من القلــــــب

وله ايضا في رواية ثانية :

صب بحب متيم صـــــــــب | حبيه فوق نهاية الحـــــــب
أشكو اليه صنيع جنونـــــه | فيقول : مت بتأثر الخطـــــب
واذا نظرت الى محاســــــنه | اخرجته عطلا من الذنــــــب
ادميت باللحظات وجنتــــه | فاقتص ناظره من القلـــــب

ويذكر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ان هذا البيت الأخير من هذه الابيات هو عينها واخذه ابن ابي فنن مما انشده ابراهيم بن المهدي :

يا من لقلب صيغ من صـــــخرة | في جسد من لؤلؤ رطـــــــب
جرحت خديه بلحظى فمــــــا | برحت حتى اقتص من قلبـــــي

اما ما ذكره الشابشتي المتوفى ٣٨٨ في كتاب الديارات فقد قال : كان ابن ابي فنن ويكنى ابا عبد الرحمن شاعرا مطبوعا وكانت له ضيعة في قطيعة محمد بن عبد الله بن طاهر فكان الحاشر بعير اليه فيؤذيه وربما اشخصه فكتب الى محمد يشكو الحاشر وما يلقي منه من الاعنات :

ابني حسين انـــــــــي | اصبحت في كنف الامــــــير
ولنا معايش في قطيعتـــــــه | على الماء النمـــــــير

وبنيت بيتا وسطه ... سميته بيت السرور
فاذا جلست ازاءه ... وشربت من حلب العصير
قلت العت لما روبت ... على الخورنق والسدير
لولا تردد حاشر ... كالكلب في يوم مطير
غاد علي ورائح ... يصل الرواح الى البكور
فاذا بدا لي وجهه ... اخرجت صفرا من سروري
فهل الامير بجوده ... من قبح طلعته مجيري

فلما قرأ محمد الابيات : وقع تحتها : قد اجرناك ابا عبد الرحمن وامرنا باحتمال خراجك وكان مبلغه ثمانية الاف درهم ، ووجه اليه بألف دينار وحلف عليه ان يقبلها وكان ابن ابي فنن لا يقبل من احد شيئا وكان حسن الحال مستقلا •

اي الكنيتين اصح ؟

قدمنا فيما نقلناه عن تاريخ بغداد للخطيب البغدادي انه يكنى بأبي عبد الله وذكر الشابشتي انه يكنى بأبي عبد الرحمن • فهل ان له كنيتين ام أن ما كناه به الخطيب البغدادي هو الصحيح ام ما كناه الشابشتي هو المعول عليه ام له ابنان كبيرهما عبد الله والاخر عبد الحمن ؟ هذا ما عسى ان يكشف عنه تاريخ الادب •

أحمد بن محمد السهيلي

لقد تتبعت مظان الكتب فلم أعثر له على ترجمة ولولا ان معجم الادباء لياقوت الحموي يحفظ لنا ترجمته لضاعت ككثير غيرها من تراجم الرجال الذين قدموا عصارة افكارهم لهذا العالم الذي لم يحفظ لهم هذا الجميل • وان الحسرة والالم لتعصر الانسان المتتبع الى التراث العربي الخالد وذلك عندما يستملى فهارس الكتب فلا يجد اكثرها بل ان الدهر قد اكل عليها وشرب واصبحت كأن لم تكن •

وهذا ما يقوله عنه معجم الادباء(١) ، هو : احمد بن محمد ابو الحسين السهيلي الخوارزمي : قال محمود بن عشرة الاسلامي في تاريخ خوارزم انه مات « بسر من رأى » في سنة ثماني عشرة واربعمائة على ما يذكره • قال : وهو من أجلة خوارزم وبيته بيت رياسه ووزاره ، وكرم ومرؤة ، قال الثعالبي وهو وزير ابن وزير :

ورث الوزارة كابرا عن كابـــــــــــــــــر
موصولة الاسناد بالاســـــــــــــــــناد

قال : وكان يجمع بين الاث الرياسه ، وادوات الوزارة ويضرب في العلوم

---

(١) معجم الادباء ج : ٥ ص ٣١ ، تحقيق احمد رفاعي .

والآداب بالسهام الفائزة ، ويأخذ من الكرم وحسن الشيم بالحظوظ الوافرة :

كيف جاء السهيلي الى سر من رأى ؟

خرج السهيلي من خوارزم في سنة اربع واربعمائة الى بغداد وتوطنها وترك وزارة خوارزم شاه ابي العباس مأمون خوفا من شره ولما قدم بغـداد اكرمه فخر الملك ابو غالب محمد بن خلف وهو والى العراق يومئذ وتلقاه بالجميل ، فلما مات فخر الملك خرج من بغداد هاربا ايضا ، حتى لحق بغريب بن مقنى ، خوفا على ماله ، وكان غريب صاحب البلاد العليا ، تكريت ودجيل وما لاصقها فاقام عنده الى أن مات ، وخلف عشرين الف دينار سلمها غريب الى ورثته (٢) .

مصنفاته :

يظهر جليا من مصنفاته التي سنوردها انه كان على جانب عظيم من العلم والمعرفة باللغة العربية والشعر والبيان والبديع والمعاني .

فمن كتبه « كتاب الروضة السهيلية » في الاوصـاف والتشـبيهات . وبأمره والتماسه صنف الحسن بن الحارث الحسوني في المذهب كتاب السيهلي يذكر فيه المذهبين : مذهب الشافعي والحنفي .

شاعريته :

لقد كان ذا اخيلة واسعة لم يسبق اليها وتبتدي هذه الاخيلية الواسعة الافاق جلية في هذه الابيات :

الا سقنا الصهباء صرفا فانهـــــــــــــا
اعز علينا من عتاق الترحـــــــــــــل

(٢) معجم الادباء ج ٥ ص ٣٣ و٣٤ : تحقيق احمد رفاعي . مصدر سابق .

واني لاقلي النقل حبا لطعمهـــــــــا
لئلا يزول الطعم عند التنقـــــــــل

وله في النجوم :

فالشهب تلمع في الظلام كأنهـــــــــا
شرر تطاير من دخان النـــــــــار
فكأنها فوق السماء بنادق الـــــــكا
فور فوق صلاية العطـــــــــار

وله في النجوم اشعار منها في شعاع القمر على الماء :
كأنما البدر فوق الماء مطلعـــــــــا
ونحن بالشط في لهو وفي طـــــــرب
ملك رآنا فأهوى للعبور فلـــــــم
يقدر فمد له جسر من الذهـــــــب

وهكذا تختم حياة شاعر اديب مؤلف دون ان يسطر له التاريخ شيئا الا ما حفظه لنا معجم الادباء . ولم نعرف التفاصيل التي جعلته يفر من الوزاره حيث ان ما ذكرناه من انه تركها خشية شر ابي العباس المأمون غير كاف في تاريخ السياسة . اللهم الا اذا قدرنا ان هناك مشاده عنيفة هدرت دمه فخاف على نفسه فسار على ما قدمناه لك .

أبو العيناء

هو محمد بن ابي القاسم اليمامي ، اشتهر بكنيته وكان على ما ذكـر الشابشتي (١) ، المتوفى ٣٨٨ هـ حن الشعر الجيد العارضة ، مليح الكتابـة والترسل ، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم ، وكان المتوكل يعجب بكلامه وسرعة جوابه ونوادره ٠ وعمي على رأس اربعين سنة من عمره ٠ ومما يدل على ذلك قول ابي علي البصير فيه :

قد كنت خفت يد الزمـــــــــــا
ن عليك اذ ذهب البصـــــــــــــر
لم ادر انك بالعمـــــــــــى
تغنى ويفتقر البشـــــــــــــر

ولما اشتهر به من الخفة وسرعة البديهة والادب الجم انبرى الصاحب بن

---

(١) الديارات ص ٥٢ تحقيق كوركيس عواد .

عاد فألف فيه كتابا وسمه بكتاب « اخبار ابن العيناء » وقد ضاع كما ذكر ذلك معجم الادباء(٢) .

وترجم له معجم الادباء(٣) ، بقوله : محمد بن القاسم وقبل ابن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء ابو عبد الله المعروف بأبي العيناء الاخباري الاديب الشاعر روى عن ابن عاصم النبيل وسمع من الاصمعي وابي عبيده وابي زيد الانصاري والعتبي وغيرهم وحدث عنه الصولي وابن نجيح واحمد بن كامل وآخرون ، وكان فصيحا بليغا من ظرفاء العالم آية في الذكاء واللسن وسرعة الجواب .

لماذا ترك مدينة البصرة : ؟

يحدثنا معجم الادباء عن ابي العيناء سبب ذلك واليك سرد قصته « قال : سبب تحولي من البصرة اني رأيت غلاما ينادي عليه بثلاثين دينارا يساوي ثلاثمائة دينار فاشتريته وكنت ابني دارا فاعطيته عشرين لينفقها على الصناع فانفق عشرة واشترى بعشرة ملبوسات له فقلت ما هذا ؟ فقال لا تعجل فان ارباب المروءات لا يعتبون على غلمانهم هذا فقلت في نفسي : انا اشتريت الاصمعي ولم ادر ، ثم اردت ان اتزوج امرأة سرا من بنت عمي فاستكتمته ودفعت اليه دينارا يشتري به حوائج وسمكا هازبا فاشترى غيره فغاظني فقال : رأيت بقراط يذم الهازبا فقلت : يا ابن الفاعله لم اعلم اني اشتريت جالينوس ، فضربته عشر مقارع ، فأخذني وضربني سبقا وقال : يا مولاي ، الادب ثلاث ، وانما ضربتك سبعا قصاصا . قال : فرميته فشججته ، فذهب الى بيت عمي وقال « الدين النصيحة » ومن « غشنا فليس منا » ان مولاي

(٢) معجم الادباء ج : ٢ ص ٣١٦ .
(٣) معجم الادباء ج : ١٨ ص ٢٧٦ .

قد تزوج واستكتمني فقات : لابد من تعريف مولاتي الخبر فضربني وشجني، فمنعتني بنت عمي دخول الدار ، وحالت ما بيني وبين ما فيها ، وما زالت كذلك حتى طلقت المرأة ، وسمته بنت عمي الغلام الناصح فلم يمكنني ان أكلمه فقلت: اعتق هذا واستريح ، فلما اعتقته لزمني وقال : الآن وجب حقك علي ، ثم انه اراد الحج فزودته فغاب عشرين يوما ورجع وقال : قطع الطريق ورأيت حقك قد وجب . ثم اراد الغزو فجهزته ، فلما غاب بعت مالي بالبصرة وخرجت منها خوفا أن يرجع .

هل ان البصرة موطنة الاصلي ومسقط رأسه ؟

لم تكن البصرة ومسقط رأسه بل هي الاهواز ويؤيد هذا قول معجم الادباء (٤) ، حيث قال : ولد ابو العيناء بالاهواز سنة احدى وتسعين ومائه وتوفى ببغداد في جمادي الاخره سنة ثلاث وثمانين ومائتين . على اصح الروايات اذ ان هناك روايات قائلة بأنه توفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين وقال ابنه ابو جعفر : مات ابي لعشر ليال خلون من جمادي الاولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين (٥) .

روايتان في سبب فقدان بصره :

امامي الان كتاب معجم الادباء وكتاب المنتظم لابن الجوزي وكلاهما يوردان رواية سبب فقدان بصره واننا اذ ننقلهما فانا لا نعلق عليهما شيئا بل نترك حقيقة ذلك للتاريخ نفسه .

فرواية معجم الادباء هي : وكان جد ابي العيناء الاكبر يلقى على بن ابي طالب رضي الله عنه فأساء المخاطبة بينه وبينه فدعا عليه بالعمى له ولولده من بعده

---

(٤) معجم الادباء ج : ١٨ ص ٣٠٢ .
(٥) معجم الادباء ج : ١٨ ص ٢٠٢ .

فكل من عمى من ولد ابي العيناء فهو صحيح النسب فيهم اما رواية كتاب المنتظم (٦) ، لعبد الرحمن الجوزي المتوفى سنة خمسمائة وسبع وتسعون فانها قد وردت على شكلين :

الاول : قال : ويعرف بأبي العيناء وسبب ذلك انه قال لابي زيد كيف تصغر عينا فقال عيينا يا ابا العيناء .

وقد وردت هذه الرواية بوجه آخر في كتاب تاريخ بغداد قال : كيف تصغر عيناء فقال عييناء كحمراء وحميراء واما عين فتصغيرها عيينه .

اما الشكل الثاني من سبب تسميته بأبي العيناء كما ورد في المنتظم فقد قال : حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد ابو العيناء قال دعا المنصور جدي خلادا وكان مولاه فقال له اريدك لامر قد اهمني وقد اخترتك له وانت عندي كما قال ابو ذؤيب :

الكنى اليها وخير الرسو
ل اعلمهم بنواحي الخبر

فقال له ارجو ان ابلغ رضا امير المؤمنين فقال : مر الى المدينة على انك من شيعة عبد الله بن حسن وابذل له الاموال واكتب الى بانفاسه واخبار ولده فأرضاه . ثم علم عبد الله بن حسن انه أتى من قبله فدعا عليه وعلى نسله بالعمى قال فنحن نتوارث ذلك الى الساعة .

وهنا يظهر لك جليا الاختلاف بين رواية معجم الادباء وبين هذه الرواية لذا فاننا نوفي بما قطعناه على انفسنا وتترك صحة الخبر الحقيقي للتاريخ .

لماذا ذم ابو العيناء البصرة ؟

ننقل اليك ايها القارئ قول ابي العيناء في ذمه البصرة وبعدئذ نبين

(٦) المنتظم القسم الثاني من الجزء الخامس لابن الجوزي ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

السبب كما يظهر لنا فقد ذكر معجم الادباء ان المتوكل قال له : فمن اين أنت؟ قال : من البصرة ، قال فما تقول فيها ؟ قال : ماؤها أجاج ، وحرها عذاب . وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم . هذا ما قاله ابو العيناء عن مدينة البصرة التي حدبت عليه وترعرع فيها وأكل خيراتها واستفاد من علمائها حتى اصبح رجلا فذا يعكف الادباء والعلماء على تدوين اخباره وعلمه وادبه ويخصصون ميمة شبابهم لافراد التأليف عنه فقط . ثم نرى بعد ذلك يعق هذه المدينة فيصفهم بما وصفها ولو ان ذلك واقعي بالنسبة للبصرة فبأمكانه ان يتلطف في الجواب .

والذي يلوح لي ان الاهواز قد اثرت على اخلاقة كما اثرت على ابي نواس وهنا يتجلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كتب الى حكيم من حكماء عصره انا عرب قد فتح الله علينا الامصار والاقطار فصفها لي وصف تأثيرا هويتها وتربها على اخلاق اهلها .

اول من يظهر العقوق بالبصرة :

حدثنا معجم الادباء ، بهذه الحادثة فقال : قال ابو العيناء : انا أول من اظهر العقوق بالبصرة . قال لي ابي يا بني : ان الله قرن طاعته بطاعتي فقال : « اشكر لي ولوالديك » فقلت له : يا ابت ان الله ائتمنني عليك ولم يأتمنك على ، فقال تعالى « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » .

ابو العيناء يسرق حملا في سر من رأى :

حدثنا بذلك معجم الادباء (٧) ، قال : وقال ابو العيناء : مررت يوما في درب « بسر من رأى » فقال لي غلام : يا مولاي ، في الدرب حمل سمين

---

(٧) معجم الادباء نفس المصدر السابق .

والدرب خال فأمرته ان يأخذه وغطيته بطيلسان وصرت به الى منزلي ، فلما كان من الغد جاءتني رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها ، جعلت فداك ضاع لنا بالامس حمل فأخبرني دربنا انك انت اخذته فأمر برده متفضلا ، فكتبت اليه : يا سبحان الله ما اعجب هذا الامر ، مشايخ دربنا يزعمون انك بغاء واكذبهم انا ولا اصدقهم وتصدق انت صبيان دربك أني اخذت الحمل ؟ قال : فسكت ولم يعاودني .

حديث فدك(٨) :

كأن ابا العيناء قد ابى الا ان ينطبق عليه قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار . وهذا معجم الادباء يقص علينا ما اختلقه ابو العيناء قال : سمعت ابا العيناء يقول : انا والحافظ وضعنا « حديث فدك » وادخلناه على الشيوخ في بغداد فقبلوه الا أبن شيبه العلوي قال : لا يشبه اخر هذا الحديث اوله فأبي ان يقبله ، وكان ابو العيناء يحدث بهذا بعد ما كان .

نوادره :

وسنسير في التقاط هذه النوادر في قافلة الديارات للشابشتي اعتمادا على قول الاستاذ كوركيس عواد في الحاشية رقم « ٦ » قال : ارود الشابشتي في هذا الفصل ثلاثا وثلاثين نادره وقد تتبعنا نوادره الاخرى في المراجع التي بيدنا فاذا بها لا يزيد كلها على نصف ما في الديارات .

واننا اذ نسير في هذا الركب فليس معناه الاقتصار عليه بل سنأخذ من كل حديقة زهرة ونقطفها لتعبق في فكر القاريء .

---

(٨) فدك قرية بخيبر .

ونبديء بما قاله الشابشتي في الديارات (٩) :

١ ـ قال المتوكل لابي العيناء : ما اشد شيء مرّ عليك في ذهاب بصرك ؟ قال : فوات رؤيتك يا امير المؤمنين مع اجماع الناس على جمالك .

٢ ـ وقال له يوما : يا محمد الى كم تمدح الناس وتذمهم ؟ قال : ما اساءوا واحسنوا .

٣ ـ وقال له عبيد الله بن سليمان : قد امرنا بشيء في هذا الوقت ، فخذه واعذر . قال : لا افعل ايها الوزير اذا كنت في النكبة تعتذر وفي الدولة تعتذر فمتى لا تعتذر ؟ .

٤ ـ وسأل صاعد بن مخلد كتابا يكتبه الى مصر . فجعل يقول : الى مصر يا ابا العيناء الى مصر ؟ فقال : وما استبعادك ، اعزك الله ، لي مصر ؟ والله .. لما في صناديقك ابعد على مما في مصر .

٥ ـ ودخل الى ابي الصقر فقرب مجلسه وادناه فقال : ايها الوزير ! تقريب الولي وحرمان العدو !

٦ ـ ودخل عليه يوما فقال ما اخرك عنا ابا عبد الله؟ قال : سرق حماري ! قال وكيف سرق ؟ قال : لم اكن مع اللص ، فاعرف كيف سرقه ! ثم جاء بعد مدة فقال : ما اخرك عنا ابا عبد الله ؟ فقال : من العواري وذلة المكاري : فأمر له بخمسين دينارا .

٧ ـ قال : دخل ابو العيناء يوما الى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلم يرفع طرفه اليه ، ولا كلمه ! فقال : ان من حق نعمة الله عليك ، لما اهلك له في الحال التي انت عليها ان تجعل البسطة لاهل الحاجة اليك خلقا فأن من لو حسن انقبض عن المسألة وبكثرة السؤال مع النجح يدوم

(٩) الديارات ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ : تحقيق كوركيس عواد .

السرور ، وبقضاء الحاجات تدوم النعمة . فقال له محمد : اني اعرفك فضوليا كثير الكلام ، ترى ان طول لسانك يمنع من تأديبك اذا زللت ؟ وأمر به الى الحبس ! فكتب اليه ابو العيناء من الحبس : قد علمت أن الحبس لم يكن لذنب تقدم اليك ، ولكن احببت ان تريني قدرتك على، لأن كل جديد يستلذ . ولا بأس ان ترينا من عفوك ما اريتنا من قدرتك! فأمر باطلاقه فلقيه بعد مدة طويلة على الطريق ، فحبس محمد دابته وقال : ما اراك ابا عبد الله تواصلنا بحسب انجائنا لك ! فقال ابو العيناء : اما المعرفة بعنايتك فمتأكدة ولكني احسب الذي جدد استبطاءك لي فراغ حبسك فمن فيه ، فأردت ان تعمره بي .

٨ ـ قال : ودخل يوما على رجل قد عزل عن عمل كان يتولاه . فقال لئن فتحت عليك النعمة لقد حسنت بك النقمة قال : ولم ذاك ؟ قال : لاني سألتك احقر من قدرك ، فرددتني باقبح من وجهك ، ثم قال :

قل لزيد بن صـــــــــــاعد
جاءك العزل في لطـــــــــــف
فاجرع الهم واصـــــــطبر
فعلى زيك الخلـــــــــف
انت ايضا اذا ولـــــــــ
يت فلا تكثر الصلـــــــف

٩ ـ قال : اجتازابن بدر بأبي العيناء وهو على بابه جالس . فقال : هذا منزلك ابا عبد الله ؟ قال : نعم ! فأن شئت ان ترى سوء اترك فيه فانزل .

١٠ ـ قال : ومر بدار عبد الله بن منصور يوما وهو مريض وقد صح ، فقال لغلامه : أي شيء خبر ابي محمد ؟ قال : كما تحب ! قال : فمالي

لا اسمع الصراخ في الدار ؟

١١ ـ قال : وذكر ابو العيناء ميمون بن ابراهيم ، فقال : لو تأمل رجل فعاله فاجتنبها ، لاستغنى عن الاداب ان يطلبها .

١٢ ـ قال ابو العينـــاء : قال لي محمد بن مكرم : اما تعرفني ؟ قلت : بلى ولكن معرفة أرثى لك منها .

١٣ ـ وقال له محمد بن مكرم يوما : يا ابا عبد الله كل شيء لك من الناس حتى اولادك .

١٤ ـ وقال ابو العيناء : رأيت ابن مكرم ، فرأيت بطنه بطن حبلى ، ونفسه نفس ولهي ، ومخاطة مخاط ثكلى ، وفي اسنه الداهية العظمى !

١٥ ـ وقال له ابن مكرم يوما : يا ابا عبد الله ، هو ذا تصوم معنا في هــذا الشهر شيئا وكان شهر رمضان . فقال : وتدعنا العجوز نصوم ؟

١٦ ـ قال رجل لعبيد الله بن سليمن : ان رايت اعزك الله ان تخــرج لي رزقا . فقال : ممن الرجل ليخرج الرزق على قدر ذاك . قال من ولد آدم ! قال ابو العيناء : احتفظ ، اعزك الله ، بهذا النسب ، فقد انقطع اصله !

١٧ ـ قال : اجتمع الجاحظ وابو العيناء عند الحسن بن وهب ، فقال لــه الجاحظ : علمت ان محمد بن عبد الله احسن بن عمــرو بحر ، وابا عبد الله أحسن بن ابي عثمان ولكن الجاحظ احسن من ابي العيناء . فقال ابو العيناء : هيهات ! جئت الى ما يخفي من امورنا ، ففصلتني عليك فيه ، والى ما يعرف ، ففضلت نفسك فيه . ان ابا العيناء يدل على كنية ، والجاحظ يدل على عاهة ، والكنية وان سمجت ، اصــلح من العاهة وان ملحت !

١٨ ـ قال ابو العيناء : عشقتني امرأة بالبصرة من غير ان تراني ، وانما كانت تسمع عذوبة كلامي فلما رأتني استقبحتني ، وقالت : قبحه الله اهذا هو ؟ فكتبت اليها :

ونبئتها لما رأتني تنكـــــــــرت
وقالت : دميم ، احول ، ما له جســـــــم

فان تنكري مني احـــولالا فأننـــي
اديب اريب لا عيي ولا فـــــدم

فوقعت في الرقعة : يا عاض بظر امه ، لديوان الرسائل اردتك ؟

١٩ ـ ولابي العيناء في علي بن الجهم :

اراد علـــي ان يقـــول قصـــيدة
بمدح أمير المؤمنين فأذنـــــــا

فقلت له : لا تعجلن باقامـــــــه
فلست على طهر ، فقال : ولا انـــــا

٢٠ ـ قال ابو العيناء : اتيت عبد الله بن داود الخريبي ، فسألته ان يحدثني ، فاستصغرني وقال : اذهب فتحفظ القرآن . قلت : قد حفظته : قال : اقرأ من رأس ستين من يونس ، فقرأت العشر ، فقال : احسنت ، اذهب فتعلم الفرائض . قلت : قد حفظتها ، قال : فايها اقرب اليك : عمك أو ابن اخيك ؟ قلت ابن اخي . قال ولم ذاك ؟ قلت : لان هذا من ولد ابي وهذا من ولد جدي . قال : احسنت . اذهب فتعلم العربيـة . قلت : قد فعلت وتعلمت منها ما فيه كفاية . قال : فلـم قال عمـر بن الخطاب يعني حـين طعن : يا لله يا للمسـلمين . قلـت : لان الاول استغاثة والثاني نداء . فقال : لو كنت محدثا احدا في سنك لحدثتك!

٢١ ـ قال ابو العيناء : دخلت على ابي احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان يوما صائما ، وقوم بين يديه يلعبون بالشطرنج • فقال : يا ابا عبد الله انا نلعب في ندب الى ان يدرك طعامنا ، ففي أي الحزبين تحب ان تكون ؟ قلت : في حزب الامير ايده الله ، فأنه اعلى وابهى ، فغلبنا ! فقال ابو احمد : يا ابا عبد الله ، قد غلبنا ! وقد اصابك بقسطك عشرون رطلا ثلجا • فقلت أحضره ايها الامير • ووثبت ، فصرت الى ابي العباس بن ثوابه ، فأقرأته السلام من ابي احمد ، وقلت له : انه يتشوفك ، واراد ان يكتب اليك رقعة فخاف مراوغتك ، فوجهني رسولا ، وحملني رسالة ، ولسنا نفترق الا بحضرته فركب معي ، وجئنا • فلما وقفت بين يديه ، قلت : ايها الامير ، قد جئتك بجبل همذان ثلجا فاقتض منه ما قمرنا ، والعب مع اصحابك في الباقي! فضحك حتى استلقى ! وسأل ابن ثوابه عن القصة ، فعرف الخبر ، فلما وقف عليه شتمني وانصرف !

٢٢ ـ قال ابو العيناء : دخلت على المتوكل ، ودعوت له ، وكلمته فاستحسن خطابي وقال لي : بلغني ان فيك شرا فقلت : يا امير المؤمنين ، ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه ، والمسيء بأساءته ، فقد زكى الله جل وعز وذم • فقال في التزكية « نعم العبد انه اواب » وقال في الذم « هماز مشاء بنميم • مناع للخير معتد أثيم • عتل بعد ذلك زنيم » فذمه تعالى اسمه • وقد قال الشاعر :

اذا انا بالمعروف لم اثن دائبـــــا
ولم اشتم الجبس اللئيم المـــذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه
وشق لي الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا يتميز فقد صان الله عبدك عن ذلك .

٢٣ ـ قال : دخلت على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست واربعين ومئتين فقال : كيف داري هذه ؟ فقلت : رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا ، وانت جعلت الدنيا في دارك فاستحسن كلامه .

٢٤ ـ فقال : ما تقول في صاحب البريد ميمون بن ابراهيم ؟ وكان عرف اني وجدت عليه في تقصير وقع بي منه ، فقلت : يا امير المؤمنين : يد تسرق واست تفرط ! هو مثل يهودي قد سرق نصف جزينه فله اقدام بما ادى ، ومعه احجام لما بقى اساءته طبيعة ، واحسانه تكليف .

٢٥ ـ فقال لي : ما تقول في عبيد الله بن يحيى ؟ فقلت : العبد لله ولك ، منقسم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح رعيتك على كل لذه .

٢٦ ـ فقال اني اريدك لمجالستي . فقلت : لا اطيق ذاك ولا اقوى عليه . وما اقول هذا جهلا بما لي في هذا المجلس من الشرف ، ولكني رجل محجوب تختلف اشارته ويخفي عليه ايماؤه ، ويجوز على ان اتكلم بكلام غضبان ووجهك راضي ، وبكلام راضي ووجهك غضبان ، ومتى لم اميز بين هذين هلكت فاختار العافية على التعرض للبلاء . قال : صدقت ! ولكن تلزمنا . قلت : لزوم الفرض الواجب فوصلني بعشرة الاف درهم .

٢٧ ـ وقال لي يوما وقد دخلت اليه : يا محمد ما بقى في المجلس احد الا اغتابك عندي فقلت :

اذا رضيت عني كرام عشيرتي
فلا زال غضبانا على لئامها

٢٨ ـ وقال المتوكل : اشتهي اتادم ابا العيناء لولا انه ضرير : فبلغ ذلك ابا العيناء ، فقال : ان اعفاني امير المؤمنين من رؤية الاهل ونظم اللآلي واليواقيت وقراءة نقوش الخواتم فاني اصلح له •

٢٩ ـ وحجب محمد بن مكرم ابا العيناء ، ثم كتب يعتذر منه • فكتب اليه ابو العيناء تحجبني مشافهة وتعتذر الي مكاتبة •

٣٠ ـ وكتب ابن مكرم الى ابي العيناء : عندي سكباج ترعب المجنون ، وحديث يطرب المحزون واخوانك المحازون ، فلا تعلو على واتون • فاجابه ابو العيناء : « اخسئوا فيها ولا تكلمون » •

هذا ما اورده الشابشتي في كتاب الديارات والان نقتطف لك براعم معجم الادباء (١٠) لتقطر بها • فيعبق ريحها على مجلسك وجلاسك • وينفتح ذهنك وتبدو اساريرك قال فمن لطائفه :

٣١ ـ انه شكا تأخر ارزاقه الى عبيد الله بن سليمان فقال له : الم نكن كتبنا لك الى ابن المدبر فما فعل في امرك ؟ قال جرني على شوك المطل وحرمني ثمرة الوعد فقال : انت اخذته • فقال : وما علي « وقد اختار موسى قومه سبعين رجلا » فما كان منهم رشيد « فأخذتهم الرجفه » واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن ابي سرح كاتبا فلحق بالمشركين مرتدا ، واختار علي بن ابي طالب ابا موسى الاشعري حكما فحكم عليه •

٣٢ ـ وقال : اخجلني ابن صغير لعبد الرحمن بن خاقان قلت له : وددت ان لي ابنا مثلك قال : هذا بيدك : قلت : كيف ذلك ؟ قال : تحمل ابي على امرأتك فتلد لك ابنا مثلي •

٣٣ ـ وحمله بعض الوزراء على دابة فانتظر علفها فلما ابطأ عليه قال : ايها الوزير هذه الدابة حملتني عليها أو حملتها علي •

---

(١٠) معجم الادباء ج : ١٨ ص ٢٨٧ : تحقيق احمد رفاعي • مصدر سابق •

٣٤ ـ وقال له يوما ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال : « ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » .

٣٥ ـ وقال له ابن ثوابة يوما : كتمت انفاس الرجال فقال : حيث كانوا وراء ظهرك .

٣٦ ـ وقال له جناح بن سلمة يوما : ما ظهورك وقد خرج توقيع أمير المؤمنين في الزندقة ؟ فقال له : استدفع الله عنك وعن اصهارك .

٣٧ ـ وقال له ابن مكرم يوما يعرض به : كم عدد المكدين بالبصرة ؟ فقال له : مثل عدد البغابئن ببغداد .

٣٨ ـ وقال له ابن مكرم ذات يوم : هممت ان امر غلامي ان يدوس بطنك فقال : الذي تخلفه على عيالك اذا ركبت او الذي تحمله على ظهرك اذا انزلت ؟؟

٣٩ ـ وقال ابن مكرم يوما : مذهبي الجمع بين الصلاتين فقال له : صدقت تجمع بينهما بالترك .

٤٠ ـ وقيل له : ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم ؟ فقال : هما الخمر والميسر اثمهما اكبر من نفعهما .

٤١ ـ وبات ليلة عند ابي مكرم فجعل ابن مكرم يفسو عليه فقام ابو العيناء وصعد السرير فارتفع اليه فساؤه فصعد الى السطح فبلغته رائحته فقال : يا ابن الفاعله ، ما فساؤك الا دعوة مظلوم .

٤٣ ـ وقدم اليه ابن مكرم يوما جنب شواء فلما جسه قال : ليس هذا جنبا هذا شريحة قصب .

٤٤ ـ ووعده ابن المدبر بدابة فلما طالبه قال : اخاف ان احملك عليها فتقطعني ولا اراك ، فقال : عدني ان تضم اليها حمارا لاواظب مقتضياه

٤٤ ـ ووعده يوما ان يعطيه بغلا ، فلقيه في الطريق فقال : كيف اصبحت يا ابا العيناء ؟ فقال : اصبحت بلا بغل فضحك منه وبعث به اليه .

٤٥ ـ وقالت له قينة : هب لي خاتمك واذكرك به ، فقال لها : اذكري انك طلبته مني ومنعتك .

٤٦ ـ ولما استوزر صاعد عقب اسلامه صار ابو العيناء الى بابه فقيل لـه يصلي ، فعاد فقيل يصلي فقال : معذور ، لكل جديد لذه .

٤٧ ـ وحضره يوما ابن مكرم واخذ يؤذيه ثم قال : الساعة والله انصرف ، فقال ابو العيناء : ما رأيت من يتهدد بالعافية غيرك .

٤٩ ـ وقال له ابن الجماز المغني : هل تذكر سـالف معاشرتنا ؟ فقال : اذ تغنينا ونحن نستعفيك .

٤٩ ـ ودخل على ابن ثوابة عقب كلام جرى بينه وبين الوزير ابي الصقر بن بلبل وكان ابن ثوابة تطاول على الوزير فقال له ابو العيـنـاء : بلغني ما جرى بينك وبين الوزير ، وما منعة من استقصاء الجواب الا انـه لم يجد فيك عزا فيضعه ، ولا مجدا فينتقصه ، وبعد : فانه عاف لحمك ان يأكله ، واستقل دمك ان يسفكه . فقـال ابن ثوابـة : وما انت والدخول بيني وبين هؤلاء يا مكدي ؟ فقال : لا تنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه ان يعول على اخوانه فيأخذ من اموالهم، ولكني اشد من هذا من يستزل الماء من اصلاب الرجال فيستفرغه في جوفه ، فيقطع نسلهم ويعظم اوزارهم . فقال ابن ثوابة : ما تسـاب اثنان الا غلب الامهما . فقال ابو العيناء : وبذا غلبت ابا الصـقر بالامس فافحمه .

٥١ ـ وخاصم يوما علويا فقال له العلوي : تخاصمني وقد أمرت ان تقول : اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد فقال : لكني اقـول الطيبـين الطاهرين فتخرج أنت .

٥١ ـ وقال له ابن الجهم يوما : يا مخنث . فقال : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه » .

٥٢ ـ ولما وكل موسى بن عبد الملك الاصبهاني بنجاح بن سلمه ليستأديه ما عليه من الاموال عاقبه موسى فهلك ابن سلمه في المطالبة والعقاب ، فلقى بعض الرؤساء ابا العيناء وقال له : ما عندي من خبر نجاح بن سلمه ؟ فقال ابو العيناء : « فوكزه موسى فقضى عليه » فبلغت كلمته موسى فلقيه وقال له : أبي تولع ؟ والله لاقومنك ، فقال له ابو العيناء: « اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس » ؟ .

٥٣ ـ وقال له العباس بن رستم يوما : انا اكفر منك فقال له : لانك تكفر ومعك خفير مثل عبيد الله بن يحيى وابن ابي داود ، وانا اكفر بلا خفاره .

٥٤ ـ وقال له رجل من بني هاشم : بلغني انك بغاء فقال : وما انكرت من ذلك مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قولي القوم منهم » فقال الهاشمي : انك دعى فينا . قال : بغائي صحح نسبي فيكم .

٥٥ ـ ولقيه بعض الكتاب في السحر فقال متعجبا من بكورة : يا ابا عبد الله، اتبكر في مثل هذا الوقت ؟ فقال له ابو العيناء : اتشاركني في الفعل وتنفرد بالتعجب ؟

٥٦ ـ ودعا ابو العيناء سائلا ليعشيه فلم يدع شيئا الا أكله فقال له : يا هذا دعوتك رحمة فاتركني رحمة .

٥٧ ـ ووقف عليه رجل من العامه فلما احس به قال : من هذا ؟ قال : رجل من بني آدم ، قال ابو العيناء : مرحبا بك ـ اطال الله بقاءك ـ كنت اظن ان هذا النسل قد انقطع .

٥٨ ـ وغداه ابن مكرم يودا فقدم اليه عراقا فلما جسه قال : قدركم هذه لمبخت بالشطرنج •

٥٩ ـ وقدم يوما اليه قدرا فوجدها كثيرة العظام فقال له : هذه قدر أم قبر ؟

٦٠ ـ وأكل عنده يوما فسقى على المائدة ثلاث شربات بارده ثم استقى فسقى شربة حارة فقال : لعل مزملتكم تعتريها حمى الربع •

٦١ ـ ودخل يوما على المتوكل فقدم اليه طعام فغمس ابو العيناء لقمته في خل كان حاضرا واكلها فتأذى بالحموضة وفطن المتوكل له فجعل يضحك ، فقال لا تلمني يا امير المؤمنين ، فقد محت حلاوة الايمان من قلبي •

٦٢ ـ وأكل يوما عند بعض اصحابه طعاما وغسل يده عشر مرات فلم تنق فقال : كادت هذه القدر ان تكون الا نسبا وصهرا •

٦٣ ـ وقال له رجل من ولد سعيد بن مسلم : ان ابي يبغضك فقال : يا بني لي أسوة بآل محمد صلى الله عليه وسلم •

٦٤ ـ واعترضه يوما احمد بن سعيد فسلم عليه فقال له ابو العيناء : من انت ؟ قال : انا احمد بن سعيد ، فقال : اني بك لعارف ، ولكن عهدي بصوتك يرتفع الى من اسفل ، فما له ينحدر على من علو ؟ قال : لاني راكب فقال : عهدي بك وانت في طمرين لو اقسمت على الله في رغيف لاعضك بما يكره •

٦٥ ـ ودق انسان عليه الباب فقال : من هذا ؟ فقال انا ، فقال انا والدق سواء •

٦٦ ـ وذكر يوما ولد موسى بن عيسى فقال : كأن انوفهم قبور نصبت على غير قبلة •

٦٧ ــ وقيل له : لم اتخذت خادمين اسودين ؟ قال : اما اسودان فلئلا اتهم بهما واما خادمان فلئلا يتهما بي •

٦٨ ــ وقال يوما لابن ثوبة : اذا شهدت على الناس السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون ، شهد عليك اتتن عضو فيك •

٦٩ ــ وقال له ابن ثوابة يوما : انا والله احبك بكل جوارحي ، فقال ابو العيناء : الا بعضو واحد ــ ايدك الله ــ فبلغ ذلك ابن ابي داود فقال : قد وفق في التحديد عليه •

هذا آخر ما تيسر لنا جمعه من نوادره التي وردت في كتب الادب والتاريخ •

بعض رسائله :

ــ وكتب الى بعض الرؤساء وقد وعدة بشيء فلم ينجزه : ثقتي بك تمنعني من استبطائك ، وعلمي بشغلك يدعوني الى تذكرك ، ولست آمن ــ مع استخدم ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك ــ اخترام الاجل ، فان الاجال افات الامال ــ فسح الله في اجلك ــ وبلغك منتهى املك والسلام (١١) •

صور رائعة من شعره :

في ثنايا الموضوع قد مرت بعض الابيات الشعرية التي انشدها لنفسه الشاعر الاديب ذرب اللسان ابو العيناء وتحت هذا الموضوع سنورد مقاطيع شعريه له تغنينا عن التعليق اذ هو نفسه يعاق على شاعريته وقوة تفكيره فمن شعره :

---

(١١) معجم الادباء ج : ١٨ ص ٢٩٧ : تحقيق احمد رفاعي . مصدر سابق .

ان يأخذ الله من عيني نورهمـــــــــــا
فقي لساني وسمعي منهما نــــــــــور
قلب ذكي وعقل غير ذي خطـــــــــــل
وفي فمي صارم كالسيف مأثـــــــــــور
حمدا لك يا الهي :
حمدت الهي اذ بلاني بحبهـــــــــــا
على حول يغني عن النظر الشـــــــــزر
نظرت اليها والرقيب يظننـــــــــــي
نظرت اليه فاسترحت من العـــــــــذر

جيل من الانعام :

ومن شعره الذي يهجوا اسد بن جوهر :
تعس الزمان لقد أتى بعجـــــــــــاب
ومحا رســـــوم الظـــرف والآداب
وافى بكتاب لو انبسطت يـــــــــدي
فيهم رددتهم الى الكتـــــــــاب
جيل من الانعام الا انهـــــــــــم
من بينها خلقوا بلا أذنـــــــــاب
لا يعرفون اذ الجريدة جـــــــــردت
ما بين عياب الى عتـــــــــــاب
او ما ترى اسد بن جوهر قد غـــــــدا
متشبها بأجلة الكتـــــــــــاب

فاذا أتاه سـائل في حاجـــــــه
رد الجواب له بغير جـــــواب

وسمعت من غث الكلام ورثـــــــه
وقبيحـــه باللحـــن والاعـــــراب

ثكلتك امك هبك من بقر الفـــــلا
ما كنت تغلط مرة بصـــــواب

ابو العيناء واحمد بن الخطيب :

ومن شعره في هجاء احمد بن الخطيب ولم يفتقر هجاؤه على احمد بن الخطيب بالشعر فقط بل وضع عنه كتابا كما ذكر ذلك معجم الادباء بقوله : ووضع ابو العيناء كتابا في ذم احمد بن الخطيب حكى فيه : أن جماعـة من الفضلاء اجتمعوا في مجلس وكل يكره ابن الخطيب لما كان فيه من الفدامه والجهاله والتغفل ، فتجاذبوا اطراف الملح في ذمه فقال احدهم : كان جهلـه غامرا لعقله ، وسفهه قاهرا لحلمه ، وقال اخر : لو كان دابة لتقاعس في عنانه ، وحرن في ميدانه . وقال اخر : كنت اذا وقع لفظه في سمعي احسست النقصان

وقال بعض كتابه : كنت ارى قلم ابن الخصيب يكتب بمالا يصيب ، ولو نطق لنطق بنوك عجيب . وقال ابراهيم بن المدبر : كنت يوما عنده فقدم الطعام وفيه هليون فاكب عليه فقلت له : اراك راغبا في الهليون ؟ فقال : انه يزيد في الباه . وقال اخر : لو غابت عنه العافية لنسيها . وقال ابو العيناء في اخر هذا التصنيف : كان ابن الخصيب اذا ناظر شقب ، وربما رفس من ناظرة اذا عجز عن الجواب ، وخفي عليه الصواب ، واستولت عليه البلاده ، وعرى كلامـه عن الافاده ، وكان اذا دنوت منه غرك ، وان بعدت عنه ضرك ، فحياته لا تنفع، وموته لا يضر أ ه .

وعن شعره في هجاء الوزير احمد بن الخصيب :

قل للخليفة يا من بن عم محمــــــــــــد
اشكل وزيرك انه ركـــــــــــال

قد احجم المتظلمون مخافـــــــــــة
منه وقالوا ما نروم محـــــــــــال

ما دام مطلقة علينا رجلـــــــــــه
أو دام للنزق الجهول مقـــــــــــال

قد نال من اعراضنا بلســــــــــانه
ولرجله بين الصدور مجـــــــــــال

امنعه من ركل الرجال وان تـــــــــرد
مالا فعند وزيرك الامـــــــــــوال

فرس وغلام وحرس :

ومن شعره :

الحمد لله ليس لي فـــــــــــرس
ولا على باب منزلي حـــــــــــرس

ولا غلام اذا هتفت بـــــــــــه
ابني غلامي وزوجتي أمتـــــــــــي

ملكنيها الملاك رالعـــــــــــرس
غيت باليأس واعتصمت بـــــــــــه

عن كل فرد بوجهه عبـــــــــــس
فما يراني ببابه ابـــــــــــدا

طلق المحيا سمح ولا شـــــــــــــــرس

المال المال :

وقال :

من كان يملك درهمين تعلمـــــــــــــــت
شفتاه انواع الكلام فقـــــــــــــــــالا

وتقدم الفصحاء فاستمعوا لـــــــــــــــه
ورأيته بين الورى مختـــــــــــــــالا

لولا دراهمه التي في كيســـــــــــــــه
لرأيته شر البرية حـــــــــــــــالا

ان الغني اذا تكلم كاذبـــــــــــــــا
قالوا صدقت وما نطقت محـــــــــــــالا

واذا الفقير اصاب قالوا لم يصـــــــــــــب
وكذبت يا هذا وقلت ضـــــــــــــــلالا

ان الدراهم في المواطن كلهـــــــــــــا
تكسو الرجال مهابة وجـــــــــــــــلالا

فهي اللسان لمن اراد فصـــــــــــــــاحة
وهي السلاح لمن اراد قتـــــــــــــــالا

بمن اثـــق ؟

ومن شعره :

تولت بهجة الدنيـــــــــــــــا
فكل جديدها خلـــــــــــــــق

وخان الناس كلهـــــــــــم
فما ادري بمن اثـــــــــــق

رأيت معالم الخـــــــــيرات
سدت دونها طـــــــــــــرق

فلا حســـــــــــب ولا أدب
ولا دين ولا خلـــــــــــق

الكرام قليل :

وقال :

الم تعلمي يا عمرك الله انـنـــــــــي
كريم على حين الكرام قليـــــــــــل

واني لا اخزي اذا قيل مقتـــــــــــر
جواد واخزى ان يقال بخيـــــــــــل

والا يكن عظمي طويلا فأنـنـــــــــي
له بالخصال الصالحات وصـــــــــول

اذا كنت في القوم الطوال فضلتهـــــــم
بطولي لهم حتى يقال طويـــــــــــل

ولا خير في حسن الجسوم وطولهـــــــا
اذا لم يزن طول الجسوم عقـــــــــول

وكائن رأينا من جسوم طويلـــــــــة
تموت اذا لم تحيهن اصـــــــــــول

ولم ار كالمعروف أما مذاقـــــــــه
فحلو واما وجهه فجميـــــــــــل

وقال :

يا ويح هذي الارض ما تصـــــــــنع
اكل حـــي فوقهـــا تصـــرع

تزرعهم حتى اذا ما أتـــــــوا
اشدهم تحصد ما تـــــــزرع

ومن شعره المجوني الذي انشده عندما نزل (دير باشهرا) الواقع على شاطيء دجلة بين سامراء وبغداد وهو دير حسن عامر نزه كثـير البســاتين والكروم وهو احد المواضع المقصوده والديارات المشهوره والمنحدرون من « سر من رأى » والمصعدون اليها ينزلونه فمن جعله طريقا بات فيـه واقام ان طاب له ومن قصده اقام الايام في الذ عيش واطيبـة ، واحسن مـكان وانزهه (١٢) ، وكان ابو العيناء قد نزله واقام به اياما ، واستطابه وقال فيه :

نزلنا دير باشـــــــهرا
علـــى قسيســـه ظهـــــرا

على دين ايســـــوع
فما أفتى وما اســـــرا

فاولـــى مـــن جميـــل الفعـــل
مـــا يســـتعبد الحـــرا

وسقانا وروانـــــا
من الصافية العـــذرا

وطاب الوقت في الديـــــر
فرابطنا به عشـــــرا

---

(١٢) الديارات للشابشتي ص ٥٢ تحقيق الاستاذ كوركيس عواد .

وسقيتا به الشمس
وأخدمنا به البدرا

واحيت لذة الكأس
ولكن قتلت سكرا

ونلنا كل ما نهوا
ه من لذاتنا جهرا

تصابينا وغنينا
وارغمنا به الدهرا

فتكنا وتهتكنا
وعقلي هتك السترا

وقد ساعدنا ربع
طوعا منه لا جبرا

جزاه الله عن خيرا

فقد اوسعته شرا
كما اوسعنا برا (١٣)

ذكر محمد بن يحيى الصولي قال دخلت على ابي العيناء في آخر عمره وقد كف بصره فسمع صرير قلمي على الدفتر قال من هذا ؟ قلت عبدك وابن عبدك محمد بن يحيى الصولي ! قال بل ولدي وابن اخي ما كتب ؟ فقلت جعلني الله فداك شيئا من النحو والتصريف ، فقال النحو في الكلام كالملح

(١٣) الديارات للشابشتي ص ٥٣ : تحقيق كوركيس عواد . مصدر سابق .

في الطعام ، فاذا اكثرت منه صار القدر زعاقا ، يا بني اذا اردت ان تكون صدرا في المجالس فعليك بالفقه ومعاني القرآن ، واذا اردت ان تكون منادما للخلفاء وذوي المروءة والادباء فعليك بنتف الاشعار وملح الاخبار (١٤) .

قد اختلفت كتب التاريخ الادبي عن محل وفاته فقد ذكر معجم الادباء « توفي ببغداد في جمادي الاخره سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائتين وقال ابنه ابو جعفر : مات ابي لعشر ليال خلون من جمادي الاولي سنة ثلاث وثمانين ومائتين » .

وقال ابن الجوزي في كتاب المنتظم : اقام ابو العيناء ببغداد مدة طويلة ثم خرج يريد البصرة فركب في سفينة فيها ثمانون نفسا فغرقت فلم يسلم منهم غيره فلما وصل الى البصرة مات .

---

(١٤) المنتظم لابن الجوزي ج : ٥ ص ١٦٠ .

محمد بن زياد الاعرابي

هو ابو عبد الله محمد بن زياد بن الاعرابي الكوفي صاحب اللغة ، وهو من موالي بني هاشم ، وكان ابوه عبدا من السند .. وكان راوية لاشعار القبائل ناسبا ، وكان احد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها(١) .

ويقول الاستاذ كوركيس عواد(٢) : انه نحوي لغوي شاعر حفاظه ، مات بسر من رأى سنة ٢٣١ هـ .

ويقول ابن النديم في فهرسته (٣) هو : ابو عبد الله محمد بن زياد الاعرابي .

اما معجم الادباء (٤) فيقول : محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي

---

١ وفيات الاعيان ج : ٣ ص ٤٣٣ ط . س ١٩٤٨ — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد م . ط . النهضة المصرية .

(٢) حاشية الديارات للشابشتي ص ١٠ عدد ٥ المطبوع في مطبعة المعارف

(٢) حاشية الديارات للشابشتي ص ١٠ عدد ٥ المطبوع في مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٥١ .

(٣) الفهرست ص ١٠٢ المطبعة الرحمانية بمصر المطبوع سنة ١٣٤٨ هـ .

(٤) معجم الادباء : ١٨ ص ١٨٩ — ١٩٠ مطبوعات دار المأمون .

ابي عبد الله كان مولي لبني هاشم لانه من موالي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطاب وكان ابوه زياد عبدا سنديا ، وكان من اكابر ائمة اللغة المشار اليهم في معرفتها نحويا •

موطنه الاصلي :

لقد كان موطنه الاصلي مدينة الكوفة والتي كانت مركز الثقل للتحقيقات اللغوية والادبية • وبعد ان نال ما نال من المعرفة التامة والتي لا يجارية فيها احد انتقل الى سامراء التي كانت يومذاك دست الخلافة العباسية وقبلة الرواد من كل الجهات • فهذا النحوي اللغوي الشاعر الحفاظة يعيش في سامراء بنثر درره الثمينة على طلاب العلم ويموت في سر من رأى • ولكن الذي يحز في القلب ان قبره قد جهل كما جهلت قبور كثيره من الخلفاء والادباء والشعراء والحكماء والقواد والزهاد والعباد •

اساتذته وطلابه وطريقته في البحث :

مصدران مهمان من مصادر التاريخ يعينان بذلك تنقلها اليك ايها القاريء وان كانا ينفقان في اكثر ايراد الخبر الا انهما يختلفان بعض الشيء بالتفصيل فهذا معجم الادباء (٥) يقول : وكان ربيبا للمضل الضبي ، سمع منه الدواوين وصححها ، واخذ عن الكسائي كتاب النوادر ، واخذ عن ابي معادية الضرير والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن مسعود القاضي واخذ عنه ابراهيم الحربي ، وابو عكرمه الضبي وبو العباس احمد بن يحيى ثعلب ، وابن السكيت وكانت طريقته طريقة الفقهاء والعلماء ، وكان احفظ الناس للغات والايام والانساب ا هـ •

---

(٥) نفس المصدر اعلاه .

اما ما ذكره كتاب وفيات الاعيـان (٦) لابن خلكان المتوفي ٦٨١ من الهجره • فيقول : وهو ربيب المفضل بن محمد الضبي صاحب المفضليات ، كانت امه تحته ، واخذ الادب عن ابي معاوية الضرير والمفضل الضبي والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الذي ولاه المهدي القضاء والكسائي ، واخذ عنه ابراهيم الحربي وابو العباس ثعلب ، وابن السكيت وغيرهم ، وناقش العلماء ، واستدرك عليهم وخطأ كثيرا من نقلة اللغة ، وكان راسا في الكلام الغريب ، وكان يزعم ان ابا عبيده والاصـمعي لا يحسنان شيئا ا هـ •

شهادات علمية ادبية :

ثلاثة كتب من المراجع المهمة قد اوردت هذه الشهادات وهي الفهرست لابـن النديم ووفيات الاعيان لابن خلكان ومعجم الادباء للحموي ولكنا سنأخذ بما جاء في معجم الادباء لانها اكثر تفصيلا واكثرا استشهادا واليك ذلك حيث يقول : قال ابو العباس ثعلب : قال لي ابن الاعرابي امليت قبـل ان تجيء يا احمد حمل جمل • وقال ثعلب انتهى علم اللغة والحفظ الى ابن الاعرابي •

وقال ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول في كلمة رواها الاصمعي : سمعت من الف اعرابي خلاف ما قاله الاصمعي •

وقال : شاهدت ابن الاعرابي وكان يحضر مجلسه زهاء مائة انســان كله يسأله أو يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب •

قال : ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت في يده كتابا قط ، وما اشك في انه املى على الناس ما يحمل على اجمال ، ولم ير احد في علم الشعر واللغـة اغزر منه •

---

(٦) نفس المصدر اعلاه .

وقال محمد بن الفضل الشعراني : كان الناس رؤساء ، كان سفيان الثوري رأسا في الحديث ، وابو حنيفة رأسا في القياس ، والكسائي رأسا في القرآن ، فلم يبن الان رأس في فن من الفنون اكبر من ابن الاعرابي فأنه رأس في كلام العرب ، وكان ممن وسم بالتعليم ، فكان يأخذ كل شهر درهم فينفقها على اهله واخوانه .

تحقيقات ادبية :

وكان يقول : جائز في كلام العرب ان يعاقبوا بين الضاد والضاء فلا يخطيء من يجعل هذه في موضع هذه وينشر من الطويل :

الى الله اشكو من خليـــل أوده
ثلاث خلال كلها لي غائـــض

بالضاد ، ويقول : هكذا سمعته من فصحاء العرب (٧) .

ويحكي أنه اجتمع ابو عبد الله بن الاعرابي وابو زياد الكلابي على الجسر ببغداد فسأل ابو زياد ابن الاعرابي عن قول النابغة :

على ظهر منبتاة

فقال : النطع بفتح النون وسكون الطاء ، فقال ابو زياد : النطع بكسر النون وفتح الطاء . فقال ابو عبد الله نعم . وانما انكر ابو زياد النطع بفتح النون وسكون الطاء لانها لم تكن لغته .

وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : اجتمع عندنا ابو نصر احمد بن حاتم وابن الاعرابي فتجاذبا الحديث الى ان حكى ابو نصر ان ابا الاسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثه فكساه ثيابا جددا من غير ان يعرض له بسؤال فخرج وهو يقول :

---

(٧) وفيات الاعيان ج : ٣ ص ٤٣٣ .

كساك ولم تستكسه فاحمدنـــــــــــــــــــه

أخ لك يعطيك الجزيل وناصـــــــــــــــــر

فان احق الناس ان كنت مادحـــــــــــيـــا

بمدحك من اعطاك والعرض وافـــــــــــر

فأنشد ابو نصر قافية البيت الاول ، ويا صر بالياء يريد ويعطف ، فقال له ابن الاعرابي وناصر بالنون ، فقال دعني يا هذا وياصري وعليك بناصرك .

وحدث الصولي قال : غني في مجلس الواثق بشعر الاخطل :

وشارب مربح بالكأس نادمنـــــــــــــــــــي

لا بالحصور ولا فيها بســـــــــــــــــوار

فقيل بسوار وبسئار ، فوجه الى ابن الاعرابي وهو يومئذ « بسر من رأى » فسأل عن ذلك فقال : بسوار يريد بوثاب اي لا يثب على ندمائــه ، وبسئار : اي لا يفضل في القدح سؤره وقد رويا جميعا فأمر له الواثق بعشرة الاف درهم .

وحكى عن ابن الاعرابي انه روى قول الشاعر :

ولا عيب فينا غير عرق لمعشـــــــــــــــــر

كرام وانا لا نحط على النمـــــــــــــــــل

نحط بحاء مهملة وقال معناه : انا لا نحط على بيـــوت النمل لنصـــيب ما جمعوه وهذا تصحيف ، وانما الرواية لا نخط على النمل واحدثها نمله ، وهي قرحة تخرج بالجنب تزعم المجوس أن ولد الرجل اذا كان من أخته ثم خط على النمله شـفي صاحبهـا ، ومعنى البيت : انا لسـنا بمجوس ننكح الاخوات .

أموات واحياء :

وعن ابن عمران قال : كنت عند ابن ايوب احمد ابن محمد بن شجاع فبعث غلامه الى ابي عبد الله بن الاعرابي يسأله المجيء اليه فعاد اليه الغلام فقال : قد سألته ذلك فقال لي : عندي قوم من الاعراب ، فاذا قضيت أربي معهم أتيت . قال الغلام : وما رأيت عنده احدا الا اني رأيت بين يديه كتبا ينظر فيها ، فينظر في هذا مرة ، وفي هذا مرة ، ثم ما شعرنا حتى جاء فقال له ايوب : انه ما رأى عندك احدا وقد قلت له انا مع قوم من الاعراب ، فاذا قضيت اربي معهم اتيت فانشد :

لنا جلساء ما نمل حديثهم
الباء مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى
وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا

فلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة
ولا تتقي منهم لسانا ولا يدا

فان قلت اموات فما انت كاذب
وان قلت احياء فلست مفندا (٨)

كلمة لا نصف العلم :

قال محمد بن حبيب : سألت ابا عبد الله بن الاعرابي في مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح يقول في كلها لا ادري ولم اسمع ، افأحدث لك برأيي ؟

---

(٨) معجم الادباء ج : ١٨ ص ١٩٤ – ١٩٥ تحقيق احمد رفاعي بك .

وقال ابو العباس ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول : من لا قبول عليه فلا حياة لادبه •

وقال : ما رأيت قوما اكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق (٩) •

من اخلاقه :

واغتاب رجل عنده بعض العلماء فقال له : لو لم تقل فينا ما قلت عندنا فلا تجلسن الينا (١٠) •

حسبكِ يا غلام :

حدثنا الشابشتي في كتاب الديارات (١١) بهذه الطريقة فقد قال : وذكر ميمون بن حماد ، قال : دخل على يوما ابو عبد الله بن الاعرابي ، فقلت : يا ابا عبد الله سمعت من شعر هذا الغليم شيئا ؟ قال : من هو ؟ قلت : خالد بن يزيد قال •• لا ، واني لاحب ذلك فصح به • فجاء حتى وقف • فقلت : انشد ابا عبد الله شيئا من شعرك • فقال : انما اقول في شجون نفسي ، لا امدح ولا اهجو • فقلت : انشده ، فانشده :

اقول للسقم عد الى بدني
حبا لشيء يكون من سببك

فقال ابن الاعرابي : حسبك يا غلام • فقد خيل الى ان الرقة قد جمعت لك في هذا البيت •

---

(٩) معجم الادباء ج : ١٨ ص ١٩٥ – ١٩٦ تحقيق احمد رفاعي بك •
(١٠) معجم الادباء ج : ١٨ ص •
(١١) الديارات للشابشتي ص ١٠ – ١١ تحقيق كوركيس عواد •

رفيقان :

رأى ابن الاعرابي في مجلسه يوما رجلين يتحدثان فقال لاحدهما : من أين انت ؟ فقال من أسفيجاب ، وقال للاخر من أين انت ؟ فقال من الاندلس فعجب من ذلك وانشد :

رفيقان شتى الف الدهر بيننـــــــــــــا
وقد يلتقي الشتى فيأتلفـــــــــــــــان

ثم املى على من حضر مجلسه بقية الابيات الآتية :

نزلنا على قيسية يمنيـــــــــــــــــة
لها نسب في الصالحين هجـــــــــــــان
فقالت وارخت جانب الستر بيننـــــــــــا
لاية ارض ام من الرجـــــــــــــلان
فقلت لها : اما رفيقي فقومـــــــــــــه
تميم واما اسرتي فيمانـــــــــــــــي
رفيقان شتى الف الدهر بيننـــــــــــا
وقد يلتقي الشتى فيأتلفـــــــــــان (١٢)

واني واياهم :

حدثنا ابن خلكان في وفيات الاعيان(١٣) ، ان : « من اماليـــه ما رواه ابو العباس ثعلب قال : انشدنا ابن الاعرابي محمد بن زياد والمذكور (مــن الطويل) » :

---

(١٢) معجم الادباء ج : ١٨ ص ١٩٢ .
(١٣) ج : ٣ ص ٤٣٤ ، المصدر السابق .

سقى الله حيا دون بطنان دارهـــــــــم
وبورك في مرد هناك وشـــــــــيب

واني واياهم على بعد دارهـــــــــم
كخمر بماء في الزجاج مشـــــــــوب

مؤلفاته :

تجمع كتب الادب وتاريخ الادب على الكتب التي سنذكرها لك فقد جاء في معجم الادباء ان له من التصانيف :

١ ـ كتاب النوادر وهو كبير
٢ ـ كتاب الانواء
٣ ـ كتاب صفة النخل
٤ ـ كتاب صفة الزرع
٥ ـ كتاب الخيل
٦ ـ كتاب النبت والبقل
٧ ـ كتاب نسب الخيل
٨ ـ كتاب تاريخ القبائل
٩ ـ كتاب تفسير الامثال
١٠ ـ كتاب النبات
١١ ـ كتاب معاني الشعر
١٢ ـ كتاب صفة الدرع
١٣ ـ كتاب الالفاظ
١٤ ـ كتاب نوادر الزبيريين
١٥ ـ كتاب نوادر بني فقعس
١٦ ـ كتاب الذباب وغير ذلك

هذا وزاد ابن خلكان قوله : واخباره ونوادره واماليه كثيره •

وذكر الاستاذ كوركيس عواد في حاشية الديارات زيادات للكتب التي صنفها وهي « كتاب اسماء البئر وصفاتها واسماء خيل العرب وفرسانها » وقد طبعا هذا ما وقفنا عليه من مصنفاته وهي تغني بحد ذاتها عن غزارة علمه وسعة اطلاعه •

ولادته :

قال ابو العباس ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول : ولدت في الليلـــة

التي مات فيها ابو حنيفه (١٤) .

وزاد ابن خلكان بعد ان اورد نفس القول الذي ذكره معجم الادباء قوله : وذلك في رجب سنة خمسين ومائه على الصحيح .

وفاته :

ذكر ابن خلكان انه (توفى لاربع عشرة ليلة خلت من شعبان ، وقال الطبري في تاريخه : توفى يوم الاربعاء ثالث عشر الشهر المذكور سنة احدى وثلاثين ومائتين « بسر من رأى » وقيل سنة ثلاثين ومائتين والاول اصح وصلى عليه القاض احمد بن داود الايادي .

اما معجم الادباء فيلوح من تعبيره انه مات سنة ثلاثين ومائتين فقد قال : توفى ابن الاعرابي سنة ثلاثين ومائتين وقيل سنة احدى وثلاثين وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

وقد بلغ من العمر احدى وثمانين سنة واربعة اشهر وثلاثة ايام وكانت وفاته في خلافة الواثق بن المعتصم .

وقد انفرد صاحب معجم الادباء بسنة وفاته بانها سنة ثلاثين ومائتين لان ابن النديم في كتابه الفهرست قد ذكر بأنه مات سنة احدى وثلاثين .

كما ان الاستاذ كوركيس عواد في حاشية الديارات قد ذكر ان وفاته كانت سنة (٢٣١)هـ (٨٥٤) م .

وهكذا الموت يطفيء مصباحا وقادا من مصابيح اللغة والادب . ولقد صدق من قال :

هو الموت لا يحنو ولن يتوجعا
وما هاب شيخا أو تقبل شافعا

---

(١٤) معجم الادباء ج : ١٨ المصدر السابق .

احمد بن جعفر ابو الحسن النديم الملقب بجحظه

تزخر كتب الادب(١) في ترجمته وايراد نوادره وجميعها تتفق على ان اسمه احمد بن جعفر ابو الحسن النديم جحظه البرمكي .

فالوفيات تقول : كان فاضلا صاحب فنون واخبار ونجوم ونوادر ومنادمة وقد جمع ابو نصر ابن المرزبان اخباره واشعارة . وكان من ظرفاء عصره وهو من ذرية البرامكة وله الاشعار الرائعة .

اقول : لم يكن ابو النصر ابن المرزبان هو الذي جمع اخباره واشعاره فقد ورد في كتاب اسماء المؤلفين واثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادي في ترجمة ابي الفرج الاصبهاني ان من جملة مؤلفاته اخبار جحظه البرمكي . فقد جمع اخباره ونوادره واشعاره .

وتاريخ بغداد يقول : احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ابو الحسن النديم المعروف بجحظه . كان حسن الادب ، كثير الرواية للاخبار ، متصرفا في فنون جمه ، عارفا من العلوم بصناعة النجوم حافظا لاطراف

---

(١) الفهرست (١٤٥ ــ ١٤٦) تاريخ بغداد (٤ ــ ٦٥ ــ ٦٩) المنتظم لابن الجوزي (٦ ــ ٢٨٣ ــ ٢٨٦) الوفيات (١ ــ ١١٥) معجم الادباء (١ ــ ٣٨٣ ــ ٤٠٥) الديرات للشابشتي (٨ ، ٩ ، ١١ ، ٧٥ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ٢١٦) .

من النحو واللغة ، مليح الشعر ، مقبول الالفاظ ، حاضر النادره ، واما صنعته في الغناء فلم يلحقه فيها احد ، روى عنه شيئا من اخباره وبعض شعره ابو الفرج على بن الحسين الاصبهاني ، وابو عمر بن حيوية ، والمعافي بن زكريا وابو الحسن الجندي وغيرهم •

والاستاذ كوركيس عواد في حاشيته على الديارات يقول : شاعر مغن طنبوري مجيد ، حسن الادب والمنادمة ، كثير الرواية للاخبار ، ظريف حاضر النادره •

ومعجم الادباء يقول عنه : هو ابو الحسن احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم • كان حسن الادب كثير الرواية للاخبار متصرفا في فنون من العلم ، كالنحو واللغة والنجوم ، مليح الشعر ، مقبول الالفاظ ، حاضر النادره ، وكان طنبوريا حاذقا فيه فائقا •

فهذه مصادر الادب تتفق على حسن ادبه وكثرة حفظة وتصرفة في فنون العلم وجمال شعره وقوة منطقة وخفة نفسه وانه مغن حاذق وقل ما تجد شخصا قد اجتمعت فيه هذه الصفات التي يتفق عليها رجال الادب هذه الصفات التي حببته الى النفوس وجذبتها اليه على الرغم مما كان يتصف به كما يقول معجم الادباء من الوساخة والقذارة ودناءة النفس واستهتاره بالدين• عدا قبح منظر • وتتوء عينيه البارز المقزز الى النفوس •

لماذا لقب بجحظه : ؟

ذكر معجم الادباء نقلا عن ابي عبد الله الحسن بن علي بن مقله قال : سألت جحظه عمن لقبه بهذا اللقب ، فقال : ابن المعتز بعثني يوما فقال لي : ما حيوان اذا قلب صار آلة للبحرية ؟؟ فقلت : علق اذا عكس صار قلما ــ فقال : احسنت يا جحظه فلزمني هذا اللقب ، وهو من في عينيه تتوجدا وكان

قبيح المنظر ؛ وكان له لقب آخر ، يلقبه به المعتمد ، وهو خنياكير وما ادري أي شيء معناه ؟

اقول : ان خنياكير كلمة فارسية معناها المغن .

ذنبك الى الزمان الكمال :

حدث الخطيب البغدادي قال : قال جحظه : انشدت عبيد الله ابن طاهر قولي :

قد نادت الدنيا على نفسـها
لو كان في العالم من يسـمع
كم واثق بالعمر واثقتـه
وجامع بددت ما يجمـع

فقال لي : ذنبك الى الزمان الكمال .

لم تكن الرقاع تجر نفعا :

قال جحظه : صك لي بعض الملوك بصك فدافعني الجهبذ به حتى ضجرت فكتبت اليه (٢) :

اذا كانت صلاتكم رقاعـا
تخطط بالانامل والاكـف
ولم تكن الرقاع تجر نفعـا
فها حظي خذوه بالف الـف

---

(٢) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٢٤ .

بلا عنوان :

حدث غرس النعمه في كتاب الهنوات قال (٣) : كان جحظه لما اسن يفسو في مجالسه ، فيلتقي من يعاشره منه جهدا . قال الحسين بن العباس : وكنت احب غناءه ، والكتابة عنه ، لما عنده من الاداب ، وكان يستطيب عشرتي ، وكنت اذا جلست عنده اخذته غلبة الريح ، فجئته يوما في مجلس الادب ، والناس عنده ، وهو يملي ، فلما خفوا ، قال لي ولاخر معي : اجلسا عندي حتى اقعدكما على اسود ، واطعمكما طباهجة بكبود ، واسقيكما من معتقة اليهود ، وابخركما بعنبر وعود ، اطيب من الندود ، واغنيكما غناء المشدود ، فقلت : هذا موضع السجود ، وجلسنا وصديقي لا يعرف خلقه في الفساء ، وانا قد اخذت الريح فوقي فوفى لنا بجميع ما ذكره ، وقال لنا وقد غنى وشربنا : نحن بالغداة علماء وفي العشاء بصورة المخنكرين ، فلما اخذ النبيذ منه ، اخذ يفسو، وصديقي يغمزني ويتعجب ، فأقول له : ان ذلك عادته وخلقه ، وان سبيله ان يحتمل الى ان غنى صوتا من الشعر ، والصنعة له فيه وكان يجيده .

ان بالحيرة قسا قد مجـــــــــــن
فتن الرهبان فيها وافتتـــــــــــن
ترك الانجيل حينا للصـــــــــــبا
ورأى الدنيا مجونا فركـــــــــــن

قال : فطرب عليه صديقي طربا شديدا واستحسنه كثيرا ، واراد ان يقول له : احسنت والله يا ابا الحسن . فقال له ما في نفسه بتردد من امر الفساء : افس على يا ابا الحسن كيف شئت ، فخجل جحظه ، وخجل الفن ، وانصرفنا .

لم يبق غير الحصير :

وحدث الخطيب ، عن ابي فرج الاصبهاني قال حدثني جحظه قال :

---

(٣) نفس المصدر السابق .

انصلت على اضاقة ، انفقت فيها كل ما املكه ، حتى بقيت ليس في داري سوى البواري فاصبحت يوما وانا افلس من طنبور بلا وتر ، كما في المثل ، ففكرت كيف اعمل ، فوقع لى ان اكتب الى محبره بن ابي عباد الكاتب ، وكنت اجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنتين ، وحالفه النقرس ، فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف الا محمولا على الايدي أو في محفه ، وكان مع ذلك على غاية الظرف ، وكبر النفس ، وبظم الهمه ، ومواصلة الشرب والقصف ، فأردت ان اتطايب عليه ليدعوني ، فأخذ منه ما انفقه مدة ، فكتبت اليه :

ماذا ترى في جـــــــدي
وفي عقار بـــــــــوارد
وقهوة ذات لـــــــــون
يحكي خدود الخرائـــــــــد
ومسمع يتغنـــــــــى
من آل يحيى بن خالـــــــــد
ان المضيع لهـــــــــذا
نزر المرؤة بـــــــــارد

فما شعرت الا بمحفه محبرة يحملها غلمانه الى داري ، وانا جالس على بابي فقلت له : لم جئت ؟ ومن دعاك ؟ فقال : انت ، فقلت : انما قلت لك : ماذا ترى في هذا ؟ وعنيت في بيتك ، وما قلت لك : انه في بيتي وبيتي والله افرغ من فؤاد ام موسى ، فقال : الان قد جئت ولا ارجع ، ولكن ادخل اليك، واستدعى من داري ما اريد ، قلت : ذاك اليك ، فدخل فلم ير في بيتي الا باريه، فقال : يا ابا الحسن ، هذا والله فقر مطيح ، هذا ضر مدقع ، ما هذا ؟ قلت : هو والله ما ترى ، فانفذ الى داره ، فاستدعى فرشا وآلة وقماشا وغلمانا ،

وجاء فراشوه ففرشوا ذلك ، وجاء وافر الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج اليه ، وجاء طباخه بما كان في مطبخه ، وهو شيء كثير ، بالات ذلك ، وجاء شرابية بالاواني والمخروط والفاكهة وآلة التبخير والبخور والوان الانبذه وجلس يومه ذلك وليلته عندي ، يشرب على غنائي وغناء مغنية احضرها كنت القنها ، فلما كان من الغد سلم الى غلامه كيسا فيه الف درهم ورزمة ثياب صحاح ، ومقطوعة من فاخر الثياب ، واستدعى محفة فجلس فيها ، وشيعته ، فلما بلغ اخر الصحن ، قال : مكانك يا ابا الحسن ، احفظ بابك ، فكل ما في دارك لك ، فلا تدع احدا يحمل منه شيئا ، وقال للغلمان : اخرجوا ، فخرجوا بين يديه ، واغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة (٤) .

حسبنا الله ونعم الوكيل :

وحدث جحظه قال : دخلت وانا في بقايا علة على كاتب ، قال ابن بشران (على هارون ابن عريب الخالي) فقدم الينا مضـــبرة عصيان ، فامتنعت منها فقال : ــ جعلت فداك ــ انت علية ، وبدنك نحيل ، والعصب ثقيل ، واللبن يستحيل ، فقلت له : والعظيم الجليل ، المفضل المنيل ، لا تركت منها كثيرا ولا قليلا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فغضب على فضربني عشرين مقرعة فقلت :

ولي صاحب لا قدس الله روحــــــــــــــــه
وكان من الخيرات غير قريـــــــــــــــــب
اكلت عصيدا عنده في مضـــــــــــــــيرة
فيالك من يوم على عصـــــــــــــــــيب

اللوزنيج الحامض :

قال ودخلت اليه يوما آخر ، فقدم الى لوزينجا لها ايام وقد حمضت

---

(٤) معجم الادباء ج ٢ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ - ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

فاخذت امعن في اكلها فقال لي : ان اللوزينج اذا كان بالجوز ابشم واذا كان باللوز اتخم فقلت : نعم يا سيدي اذا كانت لوزينجا ، واما اذا كانت مصوصا فلا (٥) .

عربده :

وحدث عبد الله بن المعتز ، قال : عربد ابن ابي العلاء علي جحظه بحضر لي ، فأمرت بتنحية جحظه الى ان رضى احمد ، فكتب الى جحظه :

اليس من العجائب ان مثلـــــــــــي
يقام لاحمد بن ابي العــــــــــلاء

ولي نفس ابت الا ارتفاعــــــــــا
فاضحت كالسماء على الســــــماء

لقد غضب الزمان على انـــــــــاس
فابلاهم بأولاد الزنـــــــــاء (٦)

جحظه ـ والصديق ـ والقطائف :

في تاريخ دمشق قال جحظه : سلمت على بعض الرؤساء وكان مبخلا ، فلما اردت الانصراف قال لي . يا ابا الحسن ، ايش يقول في قطائف تأثيه ؟ ولم يكن له بذلك عاده ؟ فقلت : ما آبي ذلك ، فاحضر لي جامتا فيه قطائف قد خمت فأرجفت فيها ، وصادفت مني سغبة ، وهو ينظر الى شزرا ، فقال لي : يا ابا الحسن ان القطائف ان كانت بجوز اتخمتك ، واذا كانت بلوز ابشمتك ، قال : فقلت : هذا اذا كانت قطائف اما اذا كانت مصوصا فلا .

---

(٥) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .
(٦) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٢ .

وعملت لوقتي هذه الابيات :

دعاني صديق لي لاكل القطائف
فامعنت فيها آمنا غير خائف
فقال ، وقد اوجعت بالاكل قلبه
رويدك مهلا فهي احدى المتالف
فقلت له : ما ان سمعنا بهالك
ينادي عليه : يا قتيل القطائف (٧)

موعد اللقاء :

قال عبد الله بن المعتز : كتب الى جحظه في يوم مطير : انصرفت من عندك ــ جعلني الله فداك ــ وقد كنا عقدنا موعدا للقاء ، ومنعني من المطير اليك ما نحن فيه من انقطاع شريان الغمام ، فتفضل ببسط العذر لعبدك ان شاء الله (٨) .

قد حفظوا القرآن الاسورة المائده :

حدث ابو الفرج الاصبهاني قال : دعاني محمد بن الشار يوما ، ودعا جحظه ، واطال حبس الطعام جدا ، وجاع جحظه ، فأخذ دواة وبياضا وكتب :

مالي وللشار وأولاده
لا قدس الوالد والوالده
قد حفظوا القرآن واستعملوا
ما فيه الاسورة المائده

ورمى بها الى ، فقراتها ، ودفعها الى ابن الشار فقرأها ، ووثب مسرعا ،

---

(٧) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٢ .
(٨) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٣ .

فقدم المائدة ، فقاطعة جحظه ، فكان يجهد جهده ان يجيئه فلا يفعل فاذا عاتبناه قال : والله حتى يحفظ تلك السورة (٩) .

أفت لبنات وردان :

حدث ابو القاسم الحسين بن علي البغدادي قال : كان جحظه خسيف الدين ، وكان لا يصوم شهر رمضان ، وكان يأكل سرا ، فكان عند ابي يوما في شهر رمضان مسلما ، فاجلسته ، فلما كان نصف النهار سرق من الدار رغيفا ودخل المستراح ، وجلس على المقعده ، واتفق ان دخل ابي فرآه فاستعظم ذلك وقال : ما هذا يا ابا الحسن ؟ فقال : أفت لبنات وردان ما يأكلون فقد رحمتهم من الجوع (١٠) .

في مجلس المغنية عريب المأمونية :

حدث جحظه في اماليه : دخلت الى عريب المأمونية مع شروين المغني ، وابي العبيس المغني ، وانا يومئذ غلام على قباء ومنطقه ، وافكرتني ، وسألت عني ، فاخبرها شروين ، وقال لها : هذا فتى من اهلك ، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ، وهو يغني بالطنبور ، فأدنتني ، وقربت مجلسي ، ودعت بطنبور ، وامرتني ان اغني ، فغنيت اصواتا ، فقالت : احسنت يا بني ، ولتكونن مغنيا ، ولكن اذا حضرت بين هذين الاسدين ضعت انت وطنبورك ، تعني بين عوديهما ، وامرت لي بمائة دينار (١١) .

الحظ يدور مع جحظه :

كان الحسن بن مخلد اكرم الناس في بذل المال ، وابخلهم بطعامه ، فكان

---

(٩) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٤ .
(١٠) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ بتصرف .
(١١) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

يحضر ندماؤه على مائدته ، فلا يستجرىء احد منهم ان يشعب شيئاً البتة ، وينزهون انفسهم عند رفع المائده بمسح ايديهم بلحاهم ، وله في ذلك قصص عجيبه .

قال جحظه : ربحت بأكلة افتديتها مع الحسن ابن مخلد خمسمائة دينار وخمسمائة درهم ، وخمسة اثواب فاخره ، وعتيدة طيبة شربة ، فقيل له : كيف كان ذلك ؟ فقال : كان الحسن بن مخلد بخيلا على الطعام ، سمحا بالمال، وكان يأخذ ندماءه بغتة ، فيسقيهم النبيذ ، ويؤاكلهم فمن اكل قتله قتلا ، ومن شرب معه على الخسف حظي عنده ، قال : فكنت عنده يوما ، فقال لي : يا ابا الحسن ، قد عملت غدا على الصبوح الجاشري فبت عندي ، فقلت : لا يمكنني، ولكن اباكرك قبل الوقت ، فعلي أي شيء عملت ان تصطبح ؟ فقال : قد اعد لنا كذا وكذا ، ووصف ما تقدم به الى الطباخ بعمله ، فعقدنا الرأي ان اباكره، وقمت وجئت الى منزلي ، ودعوت طباخي فتقدمت اليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه ، ويفرغ منه وقت العتمه ، ففعل ، ونمت ، وقمت وقد مضى نصف الليل، فأكلت ما اصلح ، وغسلت يدي وأسرج لي وانا عامل على المضي اليه ، اذ طرقتني رسله ، فجيئته ، فقال . بحياتي أكلت ؟ قلت . اعيذك بالله ، انصرفت من عندك قبل الغروب ، وهذا نصف الليل ، فأي وقت اصلح لي شيء ؟ أو أي وقت اكلت شيئا ؟ سل غلمانك على أي حال وجدوني ، فقالوا وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه ، وهو ينتظر ان يفرغ له من اسراج بغلته ليركبها ، فسر بذلك سرورا شديدا وقدم الطعام ، فما كان في فضل اشمه ، فامسكت عن تشميه ضرورة ، وهو يستدعي اكلي ، ولو اكلت احل دمي ، قال : وكذا كانت عادته، فأقول : هو ذا اكل يا سيدي افي الدنيا احد يأكل اكثر من هذا ؟ وانقضى الاكل ، وجلسنا على الشرب ، فجعلت اشرب بارطال وهو يفرح ، وعنده اني اشرب على الريق ، أو على ذلك الاكل الذي جلست معه ، ثم أمرني بالفناء ، فغنيت ، فاستطاب ذلك ، وطرب ، وشرب ارطالا ، فلما رأيت النبيذ قد عمل

فيه ، قلت : يا سيدي تطرب انت على غنائي ، فانا على أي شيء اطرب ؟ فقال : يا غلام هات دواة ، فاحضرها ، فكتب لي رقعة ورمى بها الى ، واذا هي على صيرفي يعامله بخمسمائة دينار ، فأخذتها وشكرته ، ثم غنيته وطـرب وزاد سكره ، فطلب منه ثيابا ، فخلع على خمسة اثواب ، ثم أمر ان يبخر كل ما بين يديه ، فأحضرت عتيدة حسنه سريه فيها طيب كثير ، فأخذ الغلمان يبخرون منها للناس ، فلما انتهوا الى ، قلت : يا سيدي : وانا ارضى ان اتبخر فحسب ؟ فقال لي : ما تريد ؟ قلت : اريد نصيبي من العتيدة ، قال : قد وهبتها لك ، فأخذتها ، وشرب بعد ذلك رطلا ، واتكأ على مسورته ، وكذا كانت عادته ، اذا سكر ، فقام الناس من مجلسه ، وقمت وقد طلع الفجر واضاء ، وهو وقت يبكر الناس في حوائجهم ، فخرجت كأني لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامي الثياب والعتيدة كلها ، فصرت الى منزلي ونمت نومة ، ثم ركبت الى درب عون أريد الصيرفي ، فأوصلت اليه الرقعة ، فقال : يا سيدي انت الرجل المسمى في التوقيع ؟ قلت : نعم ، قال : انت تعلم ان مثلنا يعاملون للفائدة ، قلت : أجل ، قال : ورسمنا ان نعطي في مثل هذا ما يكسر في كل دينار درهما ، فقلت له : ليس اضايقك في هذا القدر ، فقال : ما قلت هذا الا لاربح عليك الكبير ايما احب اليك : ان تأخذ كما يأخذ الناس ، وهو ما قد عرفتك ، أو تجلس مكانك الى الظهر ، حتى افرغ من شغلي ، ثم تركب معي الى داري ، فتقيم عندي اليوم والليله تشرب ، فقد والله سـمعت بك ، وكنت اتمنى ان اسمعك ، ووقعت الان لي رخيصا ، فاذا فعلت هذا ، دفعت اليك الدنانير من غير خسران ، فقلت : أقيم عندك ، فجعل الرقعة في كمه ، واقبل على شـغله فلما دنا الظهر ، جاء غلامه ببغلة فارهة ، فركب وركبت معه ، وصرنا الى دار سريه حسنة ، بفاخر الفرش والالات ، ليس فيها الا جواد روم للخدمة مـن غير فحل فتركني في مجلسه ودخل ، ثم خرج بثياب اولاد الخلفاء من حمام داره وتبخر وبخرني بيده بند عتيق جيد ، واكلنا اسرى الطعام وانظفه ، وقمنا الى

مجلس سري للشرب ، فيه فواكه والات بمال ، وشربنا ليلتنا ، فكانت ليلتي عنده اطيب من اختها عند الحسن بن مخلس فلما اصبحنا ، اخرج كيسين ، في احدهما دنانير ، وفي الاخرى دراهم ، فوزن خمسمائه دينار ، وخمسمائة درهم ، وقال : يا سيدي تلك ما أمرت به ، وهذه الدراهم هدية مني اليك ، فأخذتها ، وصار الصيرفي صديقي ، وداره لي (١٢) .

منكر ونكير :

ليست هذه القصة في دار الاخره بل هي في دار الدنيا ويحدثنا عنها جحظه في اماليه ويحفظها لنا معجم الادباء (١٣) ، الذي يقول : (وحدث جحظه في اماليه قال : كنت اشرب عند بعض اخواني بباب حرب في ناعورة ثابت في يوم مطر ومعنا شيخ خقيب حسن البزة متصدر فتجارينا ذكر المطر ، وما جاء فيه من الخبر ، فقال الشيخ : حدثوا يا سيدي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه ابا بكر وابا حفص وعلى النبيين السريين منكر ونكير وعلى عمرو بن العاص قاتل الكفار يوم غدير خم وصاحب راية النبي يوم (القطائف) يريد (يوم الطائف) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من قطرة تنزل من السماء الا ومحا ملك يتبحا حتى يضحا في موضحا ثم يصعد ويدحا فقلت : يا شيخ فالقطر يقع في الكنيف ، والملك ينزل معه قال : نعم يا سيدي فيهم ما في الناس من الدناءة والخسه) .

احاجيك :

قال جحظه في اماليه : استهديت من بعض اخواني دواة فأخرها عني ، ثم اجتمعنا في مجلس ابي العباس ثعلب ، فقلت لابي العباس : ما اراد الشاعر بقوله :

---

(١٢) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٩ — ٢٧٤ .
(١٣) ج : ٢ ص ٢٧٩ .

أحاجيك : ما قبر عديم ترابـــــــــه
به معشر موتى وان لم يكفنـــــــــوا
سلوت عن التبيان مدة قبرهـــــــم
فان نبشوا يوما من الدهر بينـــــــوا

فسكت ساعة ، ثم قال : الدواة ، فلما انصرفت الى منزلي اذا الدواة قد سبقتني اليه (١٤) .

اعذروني ان تخلفت عنكم :

قال جحظه دعوت فضيلا الاعرج ، وكان عندنا جماعة فكتب الينا :

انا في منزلي وقد رزق اللـــــــــه
نديما ومسمعا وعقـــــــــارا
فاعذروني بان تخلفت عنكـــــــم
شغل الحلى اهله ان يعـــــــارا

تعدني ان تعدني :

قال جحظه : وسألت الحسن بن مخلد حاجة ، فقال : اذا كان بعد ثلاث عرفتك ، فقلت : يا سيدي تعدني ان تعدني (١٥) .

قد فني الدقيق :

قال جحظه في اماليه : كنت جالسا عند صديق لي ، فجاءه رقعة من منزله، فلما نظر فيها ضرط ، فحادثته ساعة واغتفلته واخذتها واذا فيها : قدمتى الدقيق وغدا الخبزة .

---

(١٤) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٨٠ .
(١٥) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٨١ .

عقرب لا تقرب :

لم تكن عقرب من تلك العقارب ذات الابره المسمومه بل هي استعارة للقصة التي يحدثنا عنها الشابشتي في الديارات (١٦) ، قال : دعا ابراهيم جماعة من المغنين فيهم جحظه وقاسم بن زرزر ، وكان فيها عمه ابو محمد بن حمدون . فجعل ابراهيم يحاكي واحدا واحدا من المغنين . فقال له عمه : لا تحك جحظه ، ولا يكن بينك وبينه عمل فلم يقبل ، وحاكاة . فلم يزل جحظه يحتال في شيء يكتب فيه الى ان وجد رقعة فكتب فيها :

حصلت على حكاية من يغنـــي
فحاك لنا العجوز اذا تغنـــت
وحاك لنا لبيبا اذ أتاهـــا
فاعطاها القمد كما تمنـــت

فقال له عمه الم اقل لك « عقرب لا تقرب » .

لو لم يمت لقتلته :

وحكى جحظه عن ابراهيم بن القسم زرزر ان لا كهكيفي كان حسن الغناء مجيدا ، وكان يحسد ابراهيم بن العبيس على غنائه وشجا صوته . فلما مات ابراهيم وكانت وفاته في ايام المكتفي ، دخلت على لاكهكيفي والدموع في عيني . فقال : مالك ؟ قلت : مات ابراهيم ! قال سلام ! والله ، لو لم يمت لقتلته (١٧) .

---

(١٦) . ٨ . تحقيق كوركيس عواد .

(١٧) الديارات ص ٩ تحقيق كوركيس عواد

عشية حياني بورد :

قال جحظه : حدثني خالد الكاتب قال كنت بدير سمالو (١٨) ، فلم اشعر الا ورسول ابراهيم بن المهدي قد وافاني • فدخلت اليه ، فاذا برجل اسود مسفراني قد غاص في الفرش ، فاستجلسني ، فجلست • فقال : انشدني شيئا من شعرك ، فقلت : ايها الامير ، انا غلام اقول في شجون نفسي ، لا اكاد امدح ولا اهجو • فقال : ذلك اشد لدواعي البلاء ، فانشدته :

رأت منه عيني منظرين كمـــــــا رأت
من البدر والشمس المضـــــــيئة بالارض
عشية حياني بورد كأنـــــــــــه
خدود اضيفت بعضهن الى بعـــــــض
وناولني كأسا كأن رضـــــــابها
دموعي لما صد عن مقلتي غمـــــــض
وولي وفعل السكر في حركاتـــــــه
من الراح فعل الريح بالغصن الغـــــض

فزحف حتى صار في ثلثي المصلى • ثم قال : يا بني شبه الناس الخد بالورد وشبهت انت الورد بالخدود ، زدني ، فأنشدته :

عاتبت نفسي في هـــــــــــوا
ك فلم اجدها تقبـــــــــــل
واجبت داعيها اليـــــــــــ
ك ولم اطع من يعـــــــذل
لا والذي جعل الوجــــــــو
• لحسن وجهك تمثـــــــــل

---

(١٨) راجع الديار[illegible] ص ٩

لا قلت ان الصبر عنـــــــك

لك من التصابي احمـــــــل

فزحف ، حتى صار خارج المصلى ، ثم قال : زدني فأنشدته :

عش فحبيك سريعا قاتلـــــــي

والضنى ان لم تصلني واصـــــــلي

ظفر الحب بقلب دنـــــــف

بك والسقم بجسم ناحـــــــل

فهما بين اكتئاب وضـــــــنى

تركاني كالقضيب الذابـــــــل

وبكى العاذل لي من رحمتـــــــي

فبكائي لبكاء العـــــــاذل

فصاح وقال : يا بليق : كم لي معك من العين ؟ قال : ستمائة وخمسون دينارا قال : اقسمها بيني وبينه ، واجعل الكسر كاملا للغلام (١٩) •

جحظه وشروين :

قال جحظه : كنت اعشق جارية في القيان ، يقال لها شروين • فسكرت عندي ليلة ، فخرئت في سطلي وحميديتي وانصرفت • فكتب الى الهداهدى :

قد زارني خل اسر بـــــــه

حلو الشمائل راجح العقـــــــل

فبحق شروين التي خرئـــــــت

في الطست والابريق والســـــــطل

---

(١٩) الديارات للشابشتي ص ١١ ــ ١٢ تحقيق كوركيس عواد .

الا أتيت مبادرا عجـــــــلا
وارحت من نكد ومن مطـــــل
حتى اراك اذا سكرت وقـــــد
شاركتها في ذلك الفعـــــل (٢٠)

نعلى .. نعلى :

قال جحظه : كنت يوما عند عبد الله بن المعتز ، فطلبت نعلى ، فلم اجده. فجعلت اقول :

يا قوم من لي بنعـــــل
أو في مصحف نعـــــلي

فسار هذا البيت حتى رواه الصبيان (٢١) .

دعوة عبد الله ابن المعتز لجحظه :

قال : ودعاني عبد الله يوما فأبطأت عنه فكتب الى :

لا تهجر الامراء من بعدوا علـــــى
فرس الى .... قـــــيراط

فكتب اليه جحظه :

من كان خادم مثلكم فجـــــواده
فرس الحفاء ودينة طســـــوج

(٢٠) الديارات للشابشتى ص ١٤ تحقيق كوركيس عواد .
(٢١) الديارات للشابشتي ص ١٤ تحقيق كوركيس عواد .

جحظه وابن طرخان :

ولجحظه الى ابن طرخان يدعوه :

لنا يا اخي زلة وافـــــــــــــــره
وقدر معجلة حاضـــــــــــــــره
وما شئت من خبر طيـــــــــــــب
ونادرة بعدها نـــــــــــــادره
وراح تريك اذا صـــــــــــــفقت
سنا البرق في الليلة الماطـــــــــره
ومحسنه لم يخنها الصـــــــــــواب
وزامرة ايما زامـــــــــــــــره

انا والله عليل :

قبل ايراد القصة يجدر بنا ان نذكر مقدمة لها ليعرف اولها من آخرها . فقد كان جحظه يعاشر صديقا له يقال له ابن دهقانه الهاشمي وكان شاعرا . وابن دهقانه هذا من ولد ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ويعرف بأبي جعفر محمد بن عمر وله شعر مليح ، وذكر جحظه ، انه كان والي البصرة في ايام الزنج ، وانه اخذ من الناجم بها ثلاثين الف دينار ، وسلم اليه البصره . وكان جحظه يكثر عنده ولا يغبه . هذه هي المقدمة والآن لننظر نهاية القصة كما يرويها لنا جحظه :

قال : فتأخرت عنه في وقت من الاوقات لعارض عرض لي ، فوجه الى يدعوني فكتبت اليه : انا والله عليل .

وليس بتزويق اللسان وصـــــــــــوغه
ولكنه قد خالط اللحم والدمـــــــــــا

فوجه الى بخمسين دينارا وخلعة ، وقال : هذا يزيل العلة ، فبحياتي الا جئتني فمضيت اليه (٢٢) •

قال جحظه : دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهـــر يوما ، فجاءه مشيخة ، فأمرهم بالجلوس عن يمينه • وجاءه كهول ، فأمرهم بالجلوس عـــن شماله • ودخل احداث فوقفوا بين يديه ولم يأمرهم بالجلوس • فسألته عنهم، فقال : هؤلاء بني ، وأومأ الى الشيوخ ، وهؤلاء بنوهم وأومأ الى الكهول ، وهؤلاء بنوهم وأومأ الى الاحداث • قلت : بنون لام أو لامهات شتى ؟ قال: أم جميعهم شاجي ، وانشد :

زرعت وشاجي بيتنا في شـــــــــبيبتي
غراس الهوى فاعتم بالتمر العـــــــذب
فشاب بنو شاجي لظهري وادركـــــــوا
وشاب بنوهم وهي مالكة قلبـــــــي

قال : وهي معي مذ سبعون سنة • وكان بعض المنجمين حكم بموتـه قبلها ، فماتت قبله فقال :

فياعجبا من وممن رعيتـــــــــه
بأوكد اسباب الهوى ورعـــــــاني
وكنت ارجى أن اكون فـــــــداءه
فلما أتى وقت الحمام فـــــــداني (٢٣)

دير العلث وجحظه :

والعلث قرية على شاطيء دجلة في الجانب الشرقي منها وموقعها الآن على

(٢٢) الديارات للشابشتي ص ١٧ تحقيق كوركيس عواد بتصرف .
(٢٣) الديارات للشابشتي ص ٧٢ تحقيق كوركيس عواد .

بعد سبعة كيلو مترات من شمال غربي « مدينة بلد » احدى نواحي سامراء وهي تعرف الى اليوم باسم العلث كما ان سكان هذه المنطقة لازالوا يعرفون بالعلثاويين . وقد اوفينا عليها الكلام في مخطوطنا تاريخ سامراء قديما وحديثا .

وهذا الدير راكب دجله (٢٤) . وهو من احسن الديارات موقعا وانزهها موضعا ، يقصد من كل بلد ويطرقه كل احد . ولجحظه فيه :

ايها الملاحان بالله جـــدا
واصلحا لي الشراع والسكانا
بلغاني هديتما البردانـــا
وانزلا بي من الدنان دنانـــا

واعدلا بي الى القبيصة الزهـــ
ـداء على أفرج الاحزانـــا
واذا ما اقمت حولا تمامـــا
فاقصدا بي الى كروم أوانـــا

وانزلاني الى شراب عتيـــق
عتقته يهوده ازمانـــا
واحطا لي الشراع بالدير بالعلثـ
ـت لعلي اعاشر الرهبانـــا

وظباء يتلون سفرا من الانـــ
ـجيل باكرن سحرة قربانـــا
لابسات من المسوح ثيابـــا
جعل الله تحتها اغصانـــا

(٢٤) الديارات للشابشتي ص ٦٢ ـ ٦٣ تحقيق كوركيس عواد .

خفرات حتى اذا دارت الـــــــكا
س كشفن النحور والصلبانـــــا
رق حتى حسبته خد من أبـــــــخ
دلني من وصاله هجرانــــــا

بالرحب والسعه :

قال جحظه : خرجت في عيد من اعياد اشموني (٢٥) الى قطربل ، فلما وصلت الى الشط مددت عيني لانظر موضعا خاليا اصعد اليه ، او قوما ظرافا انزل عليهم ، فرأيت فتيين من احسن الناس وجوها وانظفهم لباسا واطرفهم آلة . فقدمت سميرتي نحوهما ، وقلت اتأذنون في الصعود اليكم ؟ فقالوا : بالرحب والسعه . فصعدت وقلت : يا غلام ، طنبوري ونبيذي . فقـالا اما الطنبور فنعم ، واما النبيذ فلا . فجلست مع احسن الناس اخلاقا واملحهم عشرة . واخذنا في امرنا . ثم تناولت الطنبور ، وغنيت بشعر لي :

سقيا لاشموني ولذاتهـــــا
والعيش فيما بين جناتهـــا
سقيا لايام مضت لي بهـــا
ما بين شطيها وحاناتهـــا
اذ اصطباحي في بساتينهـــا
واذ غبوني في دياراتهـــا

فغر القوم ، وشربوا بالارطال وشربت ، وطاب لنا الوقت الى آخر النهار ثم قلت لاحدهما : جعلت فداك ، ما ارى في هذا الجمع ارق منكما طبعا ، ولا ارق نبيذا . فقال لي مجيبا :

---

(٢٥) اشموني دير من اديرة النصاري راجـع الديـارات للشابشتي ص ٣٠ تحقيق كوركيس عواد .

شراب رقيق كما قد رأيـــــــــــت
ودبسهم بذباب يســـــــــــــاط

واشار الى القوم ، ثم قال :

فكيف اكون نظيرا لهـــــــــــــم
ابن لي بعقلك ام ذا خـــــــــــراط

ثم قال : ازيدك ؟ قلت : لا . ومر لنا اطيب يوم واحسنه .

دير تدور به الاقداح مترعة :

قال الشابشتي حكى عبد الواحد بن طرخان قال : خرجت الى دير الزند ورد في بعض اعياده متطربا ومتنزها ، ومعنا جحظه في جماعة من اخواني نزلنا موضعا حسنا ووافقنا هناك جماعة من ظراف بغداد ، لجميعهم معشوقات حسان الوجوه والغناء . فاقمنا به اياما في أطيب عيش . وقال جحظه فيه شعرا ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معنا وغنى فيه لحنا حسنا وهو :

سقيا ورعبا لدير الزندرود ومـــــــــا
يحوى ويجمع من راح وريحـــــــــان
دير ندور به الاقداح مترعـــــــــــة
من كف ساق مريض الطرف وســـــــنان
والعود يتبعه ناي يوافقـــــــــــه
والشدو يحكمه غصن من البـــــــــان
والقوم فوضى ترى هذا يقبـــــــــل ذا
وذاك انسان سوء فوق انســــــــــان
هذا ودجلة للرائين معرضـــــــــــة
والطير يدعو هديلا بين اغصـــــــــان

بر وبحر فصيد البر مقتـــــــــــــــرب
والبحر يسبح شطاه بحيتـــــــــــــــان

ثم صنع لحنا وغنى فيه بشعر له • منه :

خليلي الصبوح دنا الصـــــــــــباح
فان شفاء ما تجـــــــــــــــدان راح
فنبه فتية جبهوا قديمـــــــــــــــا
عواذلهم بزجر فاســـــــــــــراحوا
رأيت الغانيات صددن عنـــــــــــي
واعرضت المبتلة الـــــــــــــرداح
وقلن : مضت بشرتك الليالـــــــــي
فقلت : نعم وقد رث الســـــــــلاح

شهادة ادبية :

ان من جملة الادباء الذين ترجم لهم الحموي في معجم الادباء (٢٦) ، هو محمد بن احمد بن عبد الله بن عبد الصمد الهاشمي المتوفى سنة خمسين ومائتين في خلافة المستعين هذا الاديب يشهد له جحظه بسعة الاطلاع والحفظ والرواية وجودة الشعر فيقول : لم أر قط احفظ منه لكل عين ولا اجود شعرا ولم يكن في الدنيا صناعة الا وهو يعملها بيده حتى لقد رأيته يعجن ويخبز وكان ابوه احمد يلقب بالحامض •

العنوان على القاريء :

قال جحظه : اجتمعت انا وجماعة من اخواننا مع ابي العبر في براح اراد أن يبنيه دارا فاقبلنا نقدر البيوت واين مواقعها ؟ فبينا نحن كذلك اذ خرط

---

(٢٦) ج : ١٧ ص ١٢٢ •

بعض من كان معنا فقال ابو العبر : مهما شككنا فيه فما نشك ان هذا الموضع الكنيف (٢٧) •

جحظه ينشد شعر غيره :

قال معجم الادباء وانشد جحظه لابي العنبس الصيميري :

لئن كنت عن ارض تقلك نازحـــــــــــا
فلم يحكن غير السليم المســــــــــــــهد
وعلمت مذ جرعتني صاب بينكــــــــــــم
غريب البكا عين الحمام المغــــــــــــرد

جحظه يرثى اديبا :

ابن دريد علما من اعلام اللغة والكلام وهو الذي انتهت اليه لغة البصريين وكان احفظ الناس وأوسعهم علما واقدرهم على شعر وما ازدحم العلم والشعر في صدر احد ازدحامها في صور ابن دريد وكان يقال ابن دريد اشعر العلماء واعلم الشعراء • هذا الاديب يقضي عليه الموت الذي هو مورد كل حي فينبري جحظه ذلك الظريف فيرثيه رثاء مرا تقديرا للعلم والشعر والادب فيقول :

فقدت بابن دريد كل منفعـــــــــــــــة
لما غدا ثالث الاحجار والتــــــــــــرب
وكنت ابكي لفقد الجود مجتهـــــــــــدا
فصرت ابكي لفقد الجـــــــــود والادب

---

(٢٧) معجم الادباء ج : ١٨ ص ١٣٦ .

وليمة ادبية :

حدث ابو علي بن الاعرابي الشاعر قال : كنت في دعوة جحظه فأكلت ، وجلسنا نشرب ، وهو يغني ، اذ دخل رجل فقدم اليه جحظه زلة كان زلها من طعامه ونحن نأكل ، وكان بخيلا على الطعام ، قال : وكأن الرجل كان طاوبا ، طاوي تسع ، فأتى على الزلة ، ورفع الطيفوربة فارغة ، وجحظه يرمقه ونحن نلح جحظه ونضحك ، فلما فرغ ، قال له جحظه : تلعب معي النرد قال : نعم ، فوضعاه بينهما ، ولعبا ، فتوالي اللعب على جحظه من الرجل بأن تجيء الفصوص على ما يريد من الاعداد ويكره جحظه ، فأخرج جحظه رأسه من قبة الخيش رافعا له الى السماء ، وقال كأنه يخاطب الله جل وعز : لعمري اني استحق هذا ، لاني اشبع من اجعته .

جحظه وكتاب الاغاني :

اختلف الادباء ورجال السير عن كتاب الاغاني هل انه من تأليف ابي فرج الاصبهاني ام من وضع غيره . وكتب التراجم حافلة بهذا الاختلاف فلكل طرف ادلة وبراهين وحجج .

وهنا في هذا الخبر يبدو جحظه برأى يذب فيه ان كتاب الاغاني ليس من وضع ابي فرج الاصبهاني وهذا معجم الادباء (٢٨) ، يورد الخبر فيقول : واخبرني جحظه انه يعرف الوراق الذي وضعه وكان اسمى سندي بن علي ، وحانوته في طاق الزبل ، وكان يورق لاسحاق ، فاتفق هو وشريك له على وضعه .

حديث امالي جحظه :

حدث جحظه في اماليه ، قال : حضرت مجلس ابي العباس ثعلب ، وعنده

(٢٨) معجم الادباء ج : ٦ ص ٥٧ ـ ٥٨ .

جماعة من اصحابه ، وحضر احمد بن علي المادرائي ، فسأله عن ابي العباس بن ثوابه ، وقال له ، متى عهدك به ؟ فقال : لا عهد ولا عقد ، ولا وفاق ولا ميثاق ، فقال له ثعلب : عهدي بك اذا غضبت هجوت ، فهل من شيء ؟ فانشد :

بني ثوابة انتم أثقل الامـــــــم
جمعتم ثقل الاوزار والتخـــــم
اهاض حين اراكم من بشـــامتكم
على القلوب وان لم أوث من بشـــم
كما قائل حين غاظته كتابتكـــم
لو شئت بارت ما علمت بالقلـــم

فقال ثعلب : احسنت والله في شعرك ، وأسأت الى القوم (٢٩) .

عتاب واعتذار :

قال ابو الفرج الاصبهاني (٣٠) : بلغ ابا الحسن أن مدرك بن محمد الشيباني الشاعر ذكر بـ... في مجلس كنت حاضره وكتب الي :

ابا فرج أهجي لديك ويعتـــدي
على فلا تحمي لذاك وتغضـــب
لعمرك ما انصفتني في مودتـــي
فكن معتبا ان الاكارم تعتـــب

قال ابو الفرج : فكتبت اليه :

عجبت لما بلغت عني باطـــلا
وظنك بي فيه لعمرك اعجـــب

(٢٩) معجم الادباء ج : ٤ ص ١٥٤ ــ ١٥٥ .
(٣٠) معجم الادباء ج : ١٣ ص ١٢٢ ــ

ثكلت اذا تفسي وعزي وأســـــــرتي
بفقدي ولا ادركت ما كنت اطلـــــب

فكيف بمن لاحظ لي في لقائـــــه
وسيان عندي وصله والتجنـــب

فثق بأخ اصفاك محض مـــــودة
تشاكل منها ما بدا والتغيـــب

اظهار سرقة شعرية :

قال جحظه : كان ابن بسام يفخر بقوله في :

يا من هجوناه فغنانـــــا
انت وحق الله اهجانـــــا

فقلت : هذا معن لم يسبق اليه خاطر ابن بسام وان كان قــد أتى به مطبوعا ، وانما اخذه من قول ابن الرومي في هجائه شنطف :

وفي قبحها كاف لنا من كيادهـــــا
ولكنها في فعلها لم تـــــردد
ولو علمت ما كايدتنا لقبحهـــــا
بانفاسها والوجه والطبل واليـــــد

نماذج شعرية :

لم نظفر بمصدر من مصادر التاريخ يذكر لنا فيه ان لجحظه ديوان شعر قد جمع ولكن وجدنا له قطعا شعريا منتشرة هنا وهناك وانا نقدمها مجموعة في هذا الباب • واليك ذلك :

١ ـ لست ادري اين الفؤاد مقيمـــا
يا مكان الفؤاد اين الفـــؤاد
دفعته الاحشاء عما يليهـــا
فأذابته حرقة واتقـــاد (٣١)

٢ ـ نأيت فلم ينأ عنه الضـــنا
وعدت فعاد الى نكســـه
وفارقه الصبر في يومـــه
لما فاته منك في امســـه
ومستوحش آنس بالبـــكاء
على قلبه وعلى انســـه
يرق هواه لاحشـــاءه
ويرثى له الشوق من نفســـه

٣ ـ اذا ما ظمئت الى ريقـــه
جعلت المدامة منه بديـــلا
واين المدامة من ريقـــه ؟
ولكن اعلل قلبا غليـــلا

٤ ـ لي صديق مغري بقربي وشـــدوي
وله عند ذاك وجه صـــفيق
قوله ـ ان شدوت ـ احسنت زدنـــي
وباحسنت لا يباع الدقيـــق

٥ ـ اقول لها والصبح قد لاح ضـــوءه
كما لاح ضوء البارق المتألـــق

---

(٣١) كتاب الديارات للشابشتي ص ١٥ تحقيق كوركيس عواد .

شبيهك قد وافى ولاح افتراقنـــــــــــا
فهل لك في صوت وكأس مـــــــــــروق

فقالت شفائي في الذي قد ذكرتـــــــــه
وان كنت قد نغصته بالتفـــــــــــرق

٦ ـ طرقنا بزوغي (٣٢) حين اينع زهرهـــــــــا
وفيها لعمر الله للعين منظـــــــــــر
وكم من بهار يبهر العين حســــــــنه
ومن جدول بالبارد العذب يزخـــــــــر
ومن مستحث بالمدام كأنـــــــــــه
وان كان ذميا أمير مؤمـــــــــــر
وفي كفه اليمن شراب مـــــــــــورد
وفي كفه اليسرى بنات معصـــــــــفر
شقائق تندى بالندى فكأنهـــــــــــا
خدود عليهن المدامع تقطـــــــــــر
وكم ساقط سكرا يلوك لســـــــــانه
وكم قائل هجرا وما كان يهجـــــــــر
وكم منشد بيتا وفيه بقيـــــــــــة
من العقل الا أنه متحـــــــــــير
فكان مجن دون من كنت اتقـــــــــي
ثلاث شخوص كاعبان ومعصـــــــــر
وكم من حسان جس اوتار عـــــــــوده
فالهب نارا في الحشاء تتســـــــــعر

(٣٢) اسم مكان راجع كتابنا تاريخ سامراء قديما وحديثا « المخطوط » .

يغني وأسباب الصواب تمـــــــــــــده
بصوت جليل ذكر حين يذكـــــــــــــر
احن حنين الواله الطرب الـــــــــــذي
ثني شجوه بعد الغداء التذكـــــــــــر
« اجحظه » ان تجزع على فقد معشـــــــــر
فقدت بهم من كان لكسر يجبـــــــــر
واصبحت في قوم كأن عظامهـــــــــم
اذا جئتهم في حاجة تتكســـــــــــر
فصبرا جميلا ان في الصبر مقنعـــــــا
على ما جناه الدهر والله اكبـــــــــر
٧ ــ يا من بعدت عن الكرى ببعـــــــــاده
الصبر ــ مذ غيبت ــ عني غائـــــــــب
اصبحت اجحد أنني لك عاشـــــــــق
والعين مخبرة بأنـــــــــــي كاذب
٨ ــ قد قال الادمان اكلي فمـــــــــا
اطعم زادا فيس أبهـــــــــــام
فالحمد لله وشكر! لــــــــــــه
قد صرت من بائد اقـــــــــــوام
قوم ترى اولادهم بينهـــــــــم
لاجوع في حلية أينـــــــــــام
٩ ــ ارى الايام تضمن لي بخـــــــــير
ولكن بعد ايام طـــــــــــوال

فمن ذا ضامن لدوام عمـــــــــــــرمي
الى دهر يغير سؤ حــــــــــــالي

هي التسعون قد عطفت قنـــــــــــــاتي
ونفرت الغواني عن وصـــــــــــالي

وفيها ـ لو عرفت الحق ـ شـــــــغل
عن الامر الذي اضحى اشـــــــتغالي

كأني بالنوادب فـ ئـــــــــــــلات
وجسمي فوق اعناق الرجـــــــــــال

الا سقيا لجسدك كيف يبـــــــــــلي
وذكرك في المجالس غير بـــــــــــالي

١٠ ـ وانشد ايضا لنفسه :

انفق ولا تخش اقلالا فقد قســـــــــــمت
بين العباد مع الآجــــــــــال ارزاق

لا ينفع البخل مع دنيا موليــــــــــــة
ولا يضر مع الاقبال انفــــــــــاق

١١ ـ وانشد ايضا لنفسه :

تعجبت اذ رأتني فوق مكســـــــــــور
من الحمير عقير الظهر مضـــــــــرور

من بعد كل امين الرســـــــــغ معترض
في السير تحسبه احدى التصـــــــاوير

فقات لا تعجبي مني ومن زمـــــــــن
انحني على بتضييق وتقتـــــــــير

بل فاعجبني من كلاب قد خدمتهم
تسعين عاما باشعاري وطنبوري
ولم يكن في تناهي حالهم بهم
حر يعود على حالي بتغيير

١٢ ـ وقيل لجحظه : كيف حالك ؟ فقال : كما قال الشاعر :

اي شيء رأيت اعجب من ذا
ان تفكرت ساعة في الزمان ؟
كل شيء من السرور بوزن
والبلايا تكال بالقفزان

١٣ ـ وانشد جحظه لنفسه :

الحمد لله ليس لي كاتب
ولا على باب منزلي حاجب
ولا حمار اذا عزمت علي
ركوبه قيل : جحظه راكب
ولا قميص يكون لي بدلا
مخافة من قميصي الذاهب
وأجرة البيت فهي مفرحة
اجفان عيني بالوابل الساكب
ان زارني صاحب عزمت على
بيع كتاب لشبعة الصاحب
اصبحت في معشر تشتمتهم
فرض من الله لازب واجب

فيهم صديق في عرسه عجـــــــــب
اذا تأملت أمرها عاجـــــــــب
تحسبها حرة وحافرهـــــــــا
ارق من شعر خالد الكاتـــــــب

١٤ ـ وانشد لنفسه :

الحمد لله لم اقل قط : يا بـــــــــد
ر ويا منصفا ويا كافـــــــــور
لا ، ولا قلت : اين اين الشـــــــوا
هين ووزاتنا واين البـــــــذور
لا ولا قيل : قد اتاك من الضـــــــ
يعة بر موفر وشـــــــعير
واتاك العطاء بالند لمـــــــا
قيل لي ان في الخزين بخـــــــور
انا خلود من المماليك والامـــــــ
لاك جلد على البلا وصـــــــبور
ليس الا كمسيرة وفديـــــــح
وحليق أتت عليه الدهـــــــور

١٥ ـ وله ايضا :

ولي صاحب زرته للســـــــلا
م فقابلني بالحجاب الصـــــــراح
وقالوا تغيب عـــــــن داره
لخوف غريم ملح وقـــــــاح
ولو كان عن داره غائبـــــــا
لادخلني اهله للنـــــــكاح

١٦ ـ وانشد لنفسه ايضا :

ما زارني في الحبس من نادمته
كأسين : كأس مودة ومدام
بخلوا على وقد طلبت سلامهم
فكأنني طالبتهم بطعام

١٧ ـ وانشد ايضا لنفسه :

وذي جدة طلبت اليه برا
من الجلساء مذموم الخلائق
فأقسم انه رجل فقير
ارانيه المهيمن وهو صادق
كأنني بالمنازل عن قليل
خلون من المطرزة النمارق
وقد ظفر النساء بما تركتم
فصار لماهر بالنيك حاذق

١٨ ـ وانشد ايضا لنفسه في اماليه :

وقائل قال لي : من انت ؟ قلت له
مقال ذي حكمة وانت له الحكم
لست الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرام
انا الذي دينه اسعاف سائله
والضر يعرفه والبؤس والعدم
انا الذي حب اهل البيت افقره
فالعدل مستعبر والجور مبتسم

١٩ ـ وله ايضا :

ولي كبد لا يصلح الطب سـقمها
من الوجد لا تنفك دامية حـره
فيا ليت شعري والظنون كثـيرة
ايشعر بي من بت ارعى له الشعري

٢٠ ـ وله ايضا :

شكري لاحسانك شكر امـرى
يستوهب الاحسان من داهبـه
وكيف لا اشـكر من لا ارى
في منزلي الا الذي جاد بـه

٢١ ـ وانشد جحظه لنفسه في اماليه :

حسبي ضجرت مـن الادب
ورأيته سبب العطـب
وهجرت اعراب الكـلام
وما حفظت من الخطـب
ورهنت ديوان النقـا
ئض واسترحت من التعـب

٢٢ ـ وله ايضا :

لا تعجبي يا هند مـن
حالي فما فيها عجـب
ان الزمان بمن تقـ
م في النباهة منقلـب

فالجهل يضطهد الحجـــــــــــــي
والرأس يعلوه الذنـــــــــــــب

٢٣ ـ وانشد السلامي نسبة الى دار السلام وهي بغداد والسلامي شاعر من ولد المغيرة اخي خالد بن الوليد اقول انشد هذا الشاعر لجحظه في سعد الحاجب :

يا سعد انك قد خدمت ثلاثـــــــــــة
كل عليه منك وسم لائـــــــــــح
واراك تخدم رابعا لتميتـــــــــــه
رفقا به فالشيخ شيخ صـــــــــالح
يا خادم الوزراء انك عندهـــــــــم
سعد ولكن انت سعد الذابـــــــــح

٢٤ ـ ومن شعر جحظه :

وليل في جوانبه حـــــــــــــران
فليس لطول مدته انقضـــــــــاء
عدمت مطالع الاصباح فيـــــــــه
كأن الصبح جودا وفـــــــــــاء

٢٥ ـ وله ايضا :

رحلتم فكم من أنة بعد زفـــــــرة
مبينة للناس شوقي اليكـــــــــم
وقد كنت اعتقت الجفون من البـــــكا
فقد ردها في الرق حزني عليكـــــم

٢٦ ـ وله ايضا :

يطول على الليل حتى أملـــــــــه
فأجلس والنوم في غفلة عنــــــــي

فلا انا بالراض من الدهر فعلـــــــــــــه
ولا الدهر يرض بالذي ناله منــــــــــي

٢٧ ـ ومن شعر جحظه :

ان كنت ترغب في الزيـــــــــــــا
رة عند اوقات الزيــــــــــــــارة
فدع الشتيمة للغــــــــــــــلا
م اذا دنوت من الفضـــــــــــــارة

٢٨ ـ ومن مطبوع شعر جحظه :

واذا جفاني صــــــــــــــاحب
لم استجز ما عشت قطعـــــــــــــه
وتركته مثل القبــــــــــــــو
ر ازورها في كل جمعـــــــــــــه

٢٩ ـ وانشد لنفسه في اماليه :

دعيني من العذل اين الكبـــــــــــير ؟
بحرمة معبودك الاكبـــــــــــــر
فلست بباك على ظاعـــــــــــــن
ولا طلل محول مقفـــــــــــــر
ولكن بكاني على ماجـــــــــــــد
اراد نوالا فلم يقـــــــــــــدر

٣٠ ـ وانشد لنفسه :

مرضت فلم يعدني في شـــــــــــكاتي
من الاخوان ذو كرم وخـــــــــــــير

فان مرضوا وللايام حكـــــــم
سينفذ في الكبير وفي الصـــــغير
غدوت على المدامة والملاهـــــي
وان ماتوا حزنت على القبـــــور

٣١ ــ وانشد فيه لنفسه :

يا راقدا ونسيم الورد منتبـــــه
في ربقة القفص والاطيار تنتحـــــب
الورد ضيف فلا تجهل كرامتـــــه
وهاتها قهوة في الكأس تلتهـــــب
سقيا له زائرا تحيا النفوس بـــــه
يجود بالوصل حينا ثم يجتنـــــب
تبا لحير رآه وهو ذو جـــــدة
لم يقض من حقه بالشرب ما يجـــــب

٣٢ ــ وقد قال جحظه :

ناديت عمرا وقد مالت بجانبـــــه
مدامة اخذت بالرأس والقـــــدم
قد لاح في الدير نار الراهبين وقـــــد
ناداك بالصبح ناقوساهما فقـــــم
فقام يعثر في اثواب نعســـــته
لبزل صافية كالنجم في الظلـــــم
فاستلها وشدا والكأس في يـــــده
سلم على الربع من سلمى بذي ســـــلم

لو دام لي في الورى خل وعاتقـــــــــة
لما حفلت بذي قربي ولا رحـــــــــــم

ولا بكرت الى حلو لنائلـــــــــــه
ولا التفت الى شيء من النعــــــــم

٣٣ ـ وكتب جحظه الى ابي اسحاق ابراهيم بن عبد الله المشمعي ، وكان قائدا جليلا تقلد البصرة وفارس (٣٣) .

اليك ابا اسحاق مني رســــــــــالة
تزين الفتى ان كان يعشق زينـــــــــــ

لقد كنت غضبانا على الدهر زارابـــــــا
عليه فقد اصلحت بيني وبينـــــــــــ

٣٤ ـ وانشد جحظه لنفسه في اماليه :

قد نلتم صحة ما نالها بشــــــــــر
وحزتم نعمة ما نالها مــــــــــــ

فليت شعري مقدار تعمدكـــــــــم
بما اتاكم به ام وسوس الفـــــــــلك

٣٥ ـ وانشد جحظه في اماليه :

يا من دعاني وفر منـــــــــــي
اخلفت والله حسن ظنـــــــــــي

قد كنت ارض بخبـــــــــز رز
ومالح أو قليل بـــــــــــن

---

(٣٣) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٧٨ تحقيق احمد رفاعي بك .

وسكرة من نبيـــــــــــــذ دبس
اقام يوما بعقـــــــــــــر دن

فكيف يغلو بما ذكرنـــــــــــــا
مساعد شاعر مغـــــــــــــن

٣٦ ــ وانشد جحظه لحتفه في اماليه :

قالت اعاليه القلـــــــــــــب
لما تثنى واخطـــــــــــــرب

اترى جنيت جنايـــــــــــــة ؟
حتى صلبت على الخشـــــــــــــب

٣٧ ــ وانشد لنفسه في اماليه يقول :

يقول لي مالكي والدمع منحـــــــــــــدر
لا خفف الله رب العرش بلـــــــــــــواكا

وان دعوت اليه عند معتبـــــــــــــة
يقول قلبي له في السر حاشـــــــــــــاكا

٣٨ ــ وانشد ايضا لنفسه في اماليه :

ما انصفتني يد الزمـــــــــــــان ولا
ادركني غير حرفـــــــــــــة الادب

لاحفظ الله حيثما ســــــــــــــلكت
أمي وأبر الحمار في أست ابـــــــــــــي

ما تركا درهما اصون بـــــــــــــه
وجهي يوم عن ذلة الطلـــــــــــــب

كتبه ومؤلفاته :

ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست ان لجحظه من التصانيف :

١ ـ كتاب الطبيخ لطيف

٢ ـ كتاب الطنبوريين

٣ ـ كتاب فضائل السكباج

٤ ـ كتاب الترنم

٥ ـ كتاب المشاهدات

٦ ـ كتاب ما شاهده من امر المعتمد على الله

٧ ـ كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الاحكام

٨ ـ كتاب ديوان شعره

اما الاستاذ كوركيس عواد في تعليقة على كتاب الديارات فيذكر في الحاشية رقم (٦) ص ٨ انه الف سبعة كتب في الغناء والمنادمة والطعام واخبار بعض الخلفاء وقد ضاعت •

ولم يعرف السبب في تعداده لسبعة من الكتب بينما يذكر معجم الادباء وفهرست ابن النديم على انها ثمانية •

ولادته ووفاته :

ذكر معجم الادباء ان مولده سنة اربع وعشرين ومائتين وان وفاته في شعبان سنة اربع وعشرين وثلاثمائة بجبل •

ويقول الاستاذ كوركيس عواد في حاشيته على الديارات للشابشتي انه توفي بواسط سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م) •

ويؤكد رأي الاستاذ عواد تاريخ بغداد والمنتظم لابن الجوزي •

وهنالك رواية انه بعد وفاته بواسط فقد نقل الى بغداد •

ولا يهم هذا او هذا ولكن ركنا من اركان الغناء يطوي في مجاهيل النسيان دون ان يذكره احد اللهم الا اولئك الذين ترجموا له •

الا رحم الله جحظه • فانه خدم الفن واسدى اليه اصولا باقية ما بقى الدهر • وكأنه تحسس ما سيلاقيه بعد موته من النكران والجحود فقال :

كأني بالنوادب قائـــــلات
وجسمي فوق اعناق الرجــــال
الا سقيا لجسمك كيف يبلـــى
وذكرك في المجالس غير مبالـــي

وتعتلج به هذه الافكار فتفيض مرة ثانية على لسانه فيقول :

لا تعجبي من ومن زمـــن
اخني على بتضييق وتقتـــير
بل فاعجبي من كلاب قد خدمتهـــم
تسعين عاما بأشعاري وطنبـــوري
ولم يكن في تناهي حالهم بهـــم
حر يعود على حالي بتغيـــير

انه والحقيقة يعيش فقيرا معدما ويموت فقيرا معدما • وان الدنيا نطار وحلسة من جل قدرا • ولقد صدق القائل :

عتبت على الدنيا لتأخير عالـــم
وتقديم ذي جهل فقالت خذ العـــذر
بنو الجهل اولادي لذاك رفقتهـــم
واهل النهي اولاد ضرتي الاخـــرى

الحسين بن الضحاك « المعروف بالخليع »

يتفق كتاب الوفيات لابن خلكان(١) ومعجم الادباء(٢) على ان « حسين الضحاك ابن ياسر البصري المعروف بالخليع من خراسان اصلا وهو مولى لولد سليمان بن ربيعه الباهلي الصحابي فهو مولي لاباهلي النسب كما زعم ابن الجراح (٣) بصري المولد والمنشأ وهو شاعر ماجن ولذلك لقب بالخليع » .

منزلته بين طبقات الشعراء ..

ويعد في الطبعة الاولى من شعراء الدولة العباسية وكان شاعرا مطبوعا حسن التصرف في الشعر وكان ابو نؤاس يغير على معانيه في الخمر ، فاذا قال شيئا فيها نسبه الناس الى ابي نؤاس .

اقول ليس الناس ينسبون ما قاله الخليع في الخمر الى ابي نواس فهناك بعض الشعراء قد نسب ابياتا اليه مع انها من صنع الخليع كما ورد ذلك في معجم الادباء (٤) اذ قال : في ترجمة احمد بن علي القاساني الذي

---

(١) ج : ١ ص ٤٢٤ ط : س : ١٣٦٧ .
(٢) ج : ١٠ ص ٥ .
(٣) زيادة معجم الادباء على الوفيات .
(٤) ج : ٣ ص ٢٤٦ .

يقول : سمعت اعرابيا بالبادية يقول :

قــل لدنيــــا اصـبحت تلعـب بـــي
ســـــلط الله عليـــــك الاخــــــره

فيقول الحموي قلت انا : هذا البيت معروف للحسين بن الضحاك مع بيت اخر هو :

ان اكـــــــــــــن ابرد من قنينة
أو من الريش فأمي فاجـــــــــــره

وهنا يظهر لك ايها القاريء اذ قوة شعره يوهم الادباء والشعراء بأنه من شعر اهل البادية لجزالته ومقارنته وقوة اسلوبه وتفكيره الواسع الذي وكأنه لم يعش بين جدران المنازل .

يقول معجم الادباء : هو احد الشعراء المطبوعين الذين اغناهم عنو قرائحهم عن التكلف . وله غزل كثير اجاد فيه .

اما الشابشتي في الديارات فيقول · وكان الحسين بن الضحاك مـن الادباء الشعراء واهل الخلاعة والمجون وبالخليع يعرف .

ويقول ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ في كتابه وفياة الاعيان : وهو شاعر ماجن مطبوع حسن التفنن في ضروب الشعر وانواعة . كما انه يذكر ان : بينه وبين ابي ابي نواس الحكمي نوادر لطيفه ووقائع حلوه وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعته ذكره ابن المنجم في كتابه (البارع) وابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني وكل منهما اورد له طرفا من محاسـن شعره .

مجالسته الخلفاء :

وقد اتصل الحسين بن الضحاك بالخلفاء من بني العباس ونادمهم واول

من جالس منهم : محمد الامين ابن هارون الرشيد ، وكان اتصاله به سنة ثمان وتسعين ومائه وهي السنة التي قتل فيها الامين وتنقل بعده في مجالس الخلفاء ونادمهم الى الحين الذي مات فيه في زمن المستعين وقيل في زمن المنتصر هذا ما قاله الحموي في معجم الادباء (٥) .

اما الشابشتي في الديارات (٦) فقد ذكر بانه : نادم جماعة من خلفاء بني العباس منهم : الامين ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل فأما المأمون فانه لم يدخل اليه ولم يختلط به .

لماذا لم يخالط المامون : ؟

ذكر الشابشتي بان ذلك يرجع الى رثاء حسين بن الضحاك الى الامين فقال فيه :

هـــلا بقيـــت لســـــد فاقتنـــــا
فينــــا وكان لغــــيرك التلــــف
قـــد كان فيـــك لمـن مضى خلـــف
فاليـــوم اعـــوز بعـــدك الخلـــف

فلما ورد المأمون من خراسان الى بغداد أمر بأن تثبت له اسماء من يصلح لمنادمته من اهل الادب فأثبت له قوم ذكر فيهم الحسين بن الضحاك وكان من جلساء محمد المخلوع فقرأ اسماءهم حتى بلغ الى اسم حسين فقال اليس القائل في محمد : « وكان لغيرك التلف » ؟ والله لا حاجة لي فيه ولا رأى وجهي الا على قارعة الطريق فلم يحظ طول ايام المأمون بشيء .

وقد اورد نفس الخبر كتاب معجم الادباء (٧) بتقديم وتأخير وزاد

---

(٥) ج : ١٠ ص ٦ .
(٦) ص ٣٥ ـ ٣٦ تحقيق كوركيس عواد .
(٧) نفس المصدر والجزء ص ٧ .

عليه : ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به وانحدر الحسين الى البصرة فأقام بها طول ايام المأمون .

كما انه اورد الابيات المتقدمة بالفاظ اخر حيث جاءت :

هـــلا بقيــت لســـد فاقتنــا
ابـــدا وكان لغـــيرك التلـف
فلقـــد خلفـت خلائقـــا سـلفوا
ولســوف يعـوز بعـدك الخلـف

كيف رجع لمنادمة الخلفاء من بعد المأمون ؟

ذكر معجم الادباء ذلك فقال : واستقدمه المعتصم من البصرة حين ولى الخلافة بعد موت المأمون فلما دخل عليه استأذن في الانشاد فأذن له فانشده يمدحه :

هـــلا سـألت تلـدد المشـتاق
ومننت قبـــل فراقـــه بتـــلاق
ان الرقيــب ليســـتريب تنفس الصـ
ـعدا اليـــك وظاهـــر الاقـــلاق
ولئن اربت لقـــد نظــرت بمقلـة
عبري عليـــك سـخينة الآمـــاق
نفس العـــذاء لخائـــف مترقـــب
جعـــل الـــوداع اشـــارة بعنـــاق
اذ لا جـــواب لمفحـــم متحـــير
الا الدمـــوع نصـــان بالاطـــراق

واني سأذكر بقية ابياتها الوارده تحت موضوع « شعره » فيما بعد .

فلما اتمها قال له المعتصم ادن مني فدنا منه فملأ فمه جوهرا من جوهر

كان بين يديه ثم امره بأن يخرجه من فيه فأخرجه فأمر بأن ينظم ويدفع اليه ويخرج الى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه منه ويعرفوا له فضله .

منادمته للمنتصر :

ذكر الحموي (٨) : لما ولي المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهنأة بالخلافة وانشده :

تجـــددت الدنيـــا بملك محمـــد
فأهـــلا وســـهلا بالزمـــان المجـــدد
هي الدولـــة الغـــراء راحت وبكـــرت
مشمـــرة بالرشـــد في كل مشـــهد
لعمري لقـــد شـــدت عـــرى الـــدين بيعـــة
اعـــز بهـــا الرحمن كل موحـــد
هنتـــك امـــير المؤمنـــين خلافـــة
جمعت بهـــا اهـــواء أمـــة احمـــد

فأظهر اكرامه والسرور به وقال له : ان في بقائك بهاء للملك ، وقـد ضعفت عن الحركة ، فكاتبني بحاجتك ، ولا تحمـل على نفسـك بكثرة الحركة ووصله بثلاثة الاف دينار ليقضي بها دينا بلغه انه عليـه ، وقال في المنتصر ايضا وهو آخر شعر قاله :

الا ليـــت شـــعري ابـــدر بـــدا
نهـــارا ام المـــلك المنتصـــر
امـــام تضـــــــــمن اتوابـــه
على ســـرجه قمـــرا مـــن بشـــر

---

(٨) معجم الادباء ج ١٠ ص ١١ .

حمى الله دولـــــة ســـــلطانه
بجنـــد القضـــاء وجنـــد القـــدر
فـــلا زال ما بقيـــت مـــدة
يـــروح بهـــا الدهـــر أو يتكـــر

كأسا كأسا :

واصطبح الحسين بن الضحاك ذات يوم عند عبد الله بن العباس بن الفضل وخادم له قائم بين الخادم فأن حضرك شيء في هذا فقل فقال :

احيـــت صـــبوحي فكاهـــة اللاهـــي
وطـــاب يومـــي بقـــرب اشـــباهي
فآثـــر اللهـــو في مكامنـــــه
مـــن قبـــل يـــوم منغص ناهـــــي
وابنـــة كـــرم من كف منتطـــق
مؤتـــزر بالمجـــــون تتـــــاه
يســـــقيك مـــن طرفـــه ومن يـــده
ســـقى لطيـــف مجـــرب داهـــي
كأســـــا وكأســـــا كأن شـــاربها
حـــيران بين الذكـــور والســـاهي (٩)

عزون يحدث عن الضحاك :

قال الشابشتي(١٠) ان عزونا نديم كان للمعتصم ثم للمتوكل وذكـــر

---

(٩) معجم الادباء ج : ١٠ ص ١٣ .
(١٠) الديارات ص ٣٦

عزون هذا قال : كنا مع المعتصم في بعض منتزهاته ، فاختجنا ان نخوض نهرا ، وكان معنا حسين بن الضحاك ، فكاد ان يغرق فقبض المعتصم على عضده ، وحمله من السرج حتى عبر به النهر اشفاقا عليه .

وهنا اشارة لابد من ذكرها اوردها الاستاذ كوركيس عواد في حاشيته على الديارات تحت رقم (٠) قال : ورد في هامش المخطوط : « اقول : انظر الى اخلاق المعتصم امير المؤمنين ، مع علو معرف نفسه ، كيف خشى على تكدير مجلسه من النكد لما تحقق غرق احد جلسائه ، فانقذه بنفسه وحمله من سرجه بنفسه ، ولم يسأل احدا من اتباعه فعل ذلك » .

كما اورد الاستاذ كوركيس عواد في الحاشية على الديارات تحت رقم (١٠) قوله : اشتهر المعتصم بالقوى الجسميه . وقد اوردنا في مقالنا « اقوياء الابدان في العصور الاسلامية » الرسالة «١١» ــ ١٩٤٣ ــ العدد ٥٢٥ ص ٥٩٢ ــ ٥٩٣ ، شواهد تاريخية على ذلك .

قال الشابشتي (١١) : وكان وقت خدمته المتوكل صفف كبرا فكتب اليه يستعفيه من الخدمة فقال :

اسلفت اسلافك فيما مضى
من خدمتي احدى وشتينا
كنت ابن عشرين وخمس فقد
وفيت بضعا وثمانينا
اني لمعروف بضعف القوى
وان تجلدت احايينا
هدت قواي ودهت اعظمي
وصرت في القلة عزونا (١٣)

---

(١١) نفس المصدر والصحيفة .

(١٢) قد مر عليك تحت عنوان عزون يتحدث عن الضحاك من هو عزون؟

وخفت ان يعجــــــل بي معجـــــل
الـى التـــي تعـــي المداوينـــــا

الحسين عند المتوكل في يوم نوروز :

حدث الشابشتي في الديارات (١٣) عن ابي عبد الله بن حمدون قال : كنا عند المتوكل في يوم نوروز والهدايا تعرض عليه ، وفيها تماثيل من عنبر. وكان شفيع الخادم واقفا وعليـــه اقبية موردة ورداء مورد وهو فيهـــا من احسن الناس وجها . فجعل المتوكل يدفع الى شفيع قطعة قطعة من ذلك العنبر ، ويقول : ادفعها الى حسين ، واغمز يده فيفعل ذلك . وكان آخر ما دفع اليه وردة حمراء حياه بها فأنشأ يقول :

وكالـــوردة البيضـــاء حيـــا بحمـــرة
مـــن الـــورد يســـعى في غلائـــل كالـــورد
لـــه عبثـــات عنـــد كل تحيـــــة
بكفيـــه تســــتدعي الخلـــي الى الوجـــد
تمنيــــت لن اســــقي بكفيــــه شربه
تذكرني ما قـــد نســـيت مـــن العهـــد
ســـقى الله دهـــــرا لم ابت فيه ليلـــة
مـــن الدهـــر الا مـــن حبيت على وعـــد

فأمره المتوكل ان يسقيه ، وقال : قد اعطيناك امنيتك .

الحسين وصالح بن الرشيد :

وكان حسين ينادم صالح بن الرشـــيد ، فشرب معـــه مرة في متنزه

---

(١٣) ص ٣٧ تحقيق كوركيس عواد .

« بياري » (١٤) وهي من اعمال كلواذا وكان له هناك بستان حسن جليل وسوره باق الى الان واثاره وقال يصف البستان وصبوحهم فيه وهي من مليح شعره (١٥) :

أما ناجـاك بالنظـر الفصيـح
وأن اليـك مـن قلـب قريـح ؟
فليتـك حـين تهجـره ضـرارا
مننت عليـه بالقتـل المريـح
بحسـنك كان اول حسـن ظني
اما ينهـاك حسـنك عـن قبيـح ؟
وما ينفـك متهمـا ليضـحى
بنفسي نفس متهـم نصـيح
احب الفيء من نخـلات بـاري
وجـو سـقها المشـيد بالصـفيح
ويعجبني تنـاوح ايكنيهـا
الى بريـح حـوذان وشـيح
ولـن انسى مصـارع للسـكارى
ونادبـه الحمـام على الطلـوح
وكأس في يمـين عقيـد مـلك
تزين صـفاته غـرر المـديح
صريح مدامـة هـويت صـريحا

---

(١٤) قرية من نواحي بغداد وكلواذا طسوج من طسايج بغداد . الدكتور سوسه ري سامراء .

(١٥) الديارات للشابشتي ص ٣٨ تحقيق كوركيس عواد .

وهل تــــزري الصريحة بالصـــــريح

الا يـا عمـــرو هـل لك في الصـــبوح

هلـــــم الى صـــــفية كل روح

تقـــام على تخــــاذل مقلتيـــــه

وسلســـل بالســـنيح وبالبريـــح

واتبـــع ســكرة ســلفت بأخـرى

وخلـــي الصـــحو للحـــر الشـــحيح

مجلس أنس وطرب :

وذكر عمرو بن بانه قال : كنا عند صالح بن الرشيد في بستانه هـذا ، ومعنا الحسين بن الضحاك وحولنا من النرجس أمر عظيم ، وقد طلع القمر على الشجر والنور ، ووقتنا من احسن وقت رئي وخادم لصالح كان يحبـه ويسقيه فقال قل للحسين : قل في مجلسنا هذا شيئا يتغنى به ابن بانة واشار الى الخادم فقال :

وصـــف البـــدر حســن وجهـــك حتى

خلــــت انـــي ومـــا اراك اراكا

واذا مـــا تنـــفس النـــرجس الغـــ

ـض توهمتـــــه نســــيم شــذاكا

خـــدع للمنـــى تعللنـــي فيـــ

ـك باشـــراق ذا وبهجــــــة ذاكا

لا رد مـــن ما حييـــت على الـــود

لهـــذا وذاك اذ حكيـــــــاكا

قال عمرو بن بانة : فغنيت فيه ، ومر لنا اطيب وقت واحسنة (١٦) .

---

(١٦) ديارات الشابشتي ص ٣٨ ـ ٣٩ تحقيق كوركيس عواد .

مراسلات ادبيه :

قال الحسين بن الضحاك : كنت جالسا في داري يوم شك وقد افطر المأمون وأمر الناس بالافطار فجاءتني رقعة الحسن بن رجاء يقول فيها :

هززتك للصبوح وقد نهاني
أمير المؤمنين عن الصيام
وعندي من بنات الكرخ عشر
تطيب بهم مصافحة المدام
ومن امثالهم اذذا أنتشينا
نرانا نجتني ثمر الحرام
فكن انت الجواب فليس شيء
احب الى من حذف الكلام

فوردت على رقعته :

وقد ارسل الى محمد بن الحرث بن بسخنر غلاما له نظيف الوجه كان يتخطاه ومعه ثلاثة غلمان اقران حسان الوجوه ، ورقعة منشوره قد ختم اسفلها مثل المناشير فيها :

سر على اسم الله يا احسـ
ـن من غصن لجين
في ثلاث من بني الرو
م الى دار حسين
اشخص الكهل الى مو
لاك يا قرة عيني
اره العنف ان استعـ
ـص وطالبه بدين

ودع اللقـــــط وخاطبـــــــــ
ـه بغمـــــــــز الحاجبـــــــين

واحــــذر الرجعـــة مـــن وجـــ
ـهك في خفـــــى حنـــــــين

فمضيت مع غلام محمد بن الحرث وتركت المضي الى الحسن (١٧) •

لبذل والشكر :

روى الشابشتي قال : وكان الحسين مستهترا بالخدم جدا ولم يقصر عن ذلك حتى مات •

قال المتوكل : انشدني حسين قوله :

فلو شـــــــئت تيســـــــرت
كما ســـــميت يا يســـــــر
ولا والله لا تبــــــــــــــر
ح أو ينصـــــــرم الامـــــر
فأما المنـــــــع والـــــذم
واما البــــــذل والشــــــكر
فدعنـــــــي مـــن مواعيـــــدك
اذ حيتنــــــك الدهـــــــر
فقلـــــت : ايهمـــــا كان
فقـــال البــــــذل والشـــــكر

شعره والمناسبات التي قيلت فيه :

قدمنا في ثنايا ترجمة هذا الشاعر ابياتا شعرية قيلت بمناسبة حادثة آنية او تأثر ناتج عن انفعالات نفسية يلاقيها لمشهد يراه أو لحادث يحيط

• والآن ـ نذكر في هذا الباب جملة من اشعاره فقسما منها مقرونا بالمناسبة التي قيات فيه وقسما نذكره على سبيل الاحاطة بما ورد الينا من شعره واني استعين بهذا الموضوع بثلاثة مصادر ادبية هي معجم الادباء ووفيات الاعيان والديارات للشابشتي • وسأشير في الحاشية الى كل مصدر نقتطف منه ما يشنف الآذان وينعش النفس •

١ ـ ايا من طرفه سحر :

ايا من طرفه سحر
ويا من ريقه خمر
تجاسرت فكاشفتك لما غلب الصبر
وما احسن في مثلك ان ينهتك الستر
فان عفني النا
س ففي وجهك لي عذر

وذكر في كتاب الاغاني ان هذه الابيات انشدها ابو العباس ثعلب النحوي للخليع بن الضحاك وقال ما بقي من يحسن ان يقول مثل هذا(١٨) •

٢ ـ ومن محاسن شعره(١٩) :

صل بخدي خديك تلق عجيبا
من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض
وتجدي للدموع غدير

(١٨) وفيات الاعيان ج : ١ ص ٤٢٤ •
(١٩) وفيات الاعيان ج : ١ ص ٤٢٤ •

٣ ـ وله ايضا(٢٠) :

اذا خنتوا بالغيب عهدي فمالكم
تدلون اولال المقيم على العهد
صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله
والا فصدوا وافعلوا فعل ذى صد

٤ ـ عذير وان لم اعتذر(١) :

قال الحسين من ابيات وقد عمر

وقد رفع الله اقلامه   عن ابن ثمانين دون البشر
اما في ثمانين وفيها   عذير وان انا لم اعتذر
وقد رفع الله اقلامه   عن ابن ثمانين دون البشر
وانى لمن أسراء الاله   في الارض نصب حروب القدر
فأن يقض لي عملا صالحا   اثاب وان يقض شرا غفرا

٥ ـ وقال (٢٢)

اصبحت من اسراء الله محتسبا
في الارض نحو قضاء الله والقدر
ان الثمانين اذ وفيت عدتها
لم تبق باقية من ولم تذر

(٢٠) وفيات الاعيان ج : ١ ص ٤٢٤
(٢١) معجم الادباء ج : ١٠ ص ١٤
(٢٢) معجم الادباء ج : ١٠ ص ١٤

٦ ـ وقـال (٢٣)

لا وحبيـك لااصـا   فح بالدمـوع ادمعـا
من بكى شـجوه استرا   ح وان كان موجعـا
كبـدي في هـواك اسـقم مـن ان تقطعـا
لـم تدع صورة الضنى   في للسـقم موضعـا

٧ ـ وقـال (٢٤)

الا انما الدنيـا وصـال حبيب   واخذك من مشمولة بنصيب
ولم ار في الدنيا كخلوة عاشق   وبذلة معشوق ونوم رقيب

٨ ـ يا دير مديان :

دير مديان من اديرة النصارى وهو كما يقول الشابشتي على نهر كرخايا ببغداد . وكرخايا نهر يشق من المحول الكبير ويمر على العباسـية ويشق الكرخ ويصب في دجلة وكان قديما عامرا والماء فيه جاريا ثم انطم وانقطعت جريتـه بالبثوق التي انفتحت في الفـرات وهـو ديـر حسـن حوله بساتين وعماره ويقصد للتنزه والشرب ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من البقاع الحسنة النزهه .

وللحسين ابن الضحاك فيه .

حـث المـدام فـان الكأس مترعـة
مما يهيـج دواعـي الشـوق احيانـا
انـي طربـت لرهبـان مجاوبـة
بالقـدس بعـد هـدو الليـل رهبانـا

---

(٢٣) وفيات الاعيان ج : ١ ص٤٢٤
(٢٤) معجم الادباء ج : ١٠ ص١٦

فاستنفرت شجنا مني ذكرت به
كرخ العراق واخوانا واشجانا
فقلت والدمع في عيني مطرد
والشوق يقدح في الاحشاء نيرانا
ياديرمديان لا عربت من سكن
ما هجت من سقم يا دير مديانا
ان كيف يسعد وجه الصبر من بانا
سقيا ورعيا لكرخايا وساكنه
بين الجنينة والروحاء من كانا(٢٥)

٩ ـ عود على وعد :

قلنا سنذكر القصيدة التي مدح بها الخليع المعتصم عندما استدعاه من البصرة لينادمه وقد ذكرنا هناك قسما منها والان لجودتها وسبكها تشبتها بتمامها مبتدئين بأولها كما ذكرها معجم الادباء(٢٦) .

هلا سألت تلدد والمشتاق
ومننت قبل فراقه بتلاق
هل عند فسك من علم فيخبرني
ان الرقيب ليستريب تنفس الصعداء اليك وظاهر الاقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة
عبرى عليك سخينة الاماق
نفس الفداء لخائف مترقب
جعل الوداع اشارة بعناق

(٢٥) الديارات للشابشتي ص٢١ تحقيق كوركيس عواد
(٢٦) ج : ١٠ ص ٨-٩-١٠-١١

اذ لا جـــواب لمفحـــم متحـــير
الا الدمـــوع تصـــان بالاطـــراق

ومنهـــا

خـــير الوفـــود مبشـــر بخلافـــة
خضـــت ببهجتهـــا ابـــا اســـحاق

وافنـــه في الشـــهر الحرام ســـليمة
مـــن كـــل مشـــكلة وكـــل شـــقاق

اعطتـــه صفقتهـــا الضمـــائر طاعـــة
قبـــل الاكـــف بأوكـــد الميثـــاق

ســـكن الانـــام الى امـــام ســـلامة
عـــف الضمـــير مهـــذب الاخـــلاق

فحمـــى رعيتـــه ودافـــع دونهـــا
واجـــار مملقهـــا مـــن الامـــلاق

قـــل للاولى حرفوا الوجـــوه عـــن الهـــدى
متعســـفين تعســـف المـــراق

انـــي احـــذركم بـــوادر ضيغـــم
درب بخطـــم موائـــل الاعنـــاق

متأهـــب لا يســـتفز جنانـــه
زجـــل الرعـــود ولاجـــع الابـــراق

لـــم يبـــق مـــن متعزمـــين توثبـــوا
بالشـــام غـــير جماجـــم أفـــلاق

من بين منجدل تمج عروقه
علق الاخاوع اواسير وتاق

وثن الخيول الى معاقل قيصر
تختال بين أجرة ودفاق

يحملن كل مشمرة متغشم
ليث هزبر اهرث الاشداق

حتى اذا أم الحصون منازلا
والموت بين ترائب وتراق

هرت بطارقها هرير ثعالب
بدهنت بزأر قادر طراق

ثم استكانت للحصار ملوكهم
ذلا ونيط حلوقهم بخفاق

هربت واسلمت البلاد عشية
لم تبق غير حشاشة الارماق

١٠ ــ فأهلا وسهلا بالزمان المجدد

لما ولى المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهنأه بالخلافة وانشده :

تجددت الدنيا بملك محمد
فأهلا وسهلا بالزمان المجدد

هي الدولة الغراء راحت وبكرت
مشمرة بالرشد في كل مشهد

لعمري لقد شدت عري الدين بيعة
اعز بها الرحمن كل موحد

هنتك امير الميمنين خلافة
جمعت بما اهواء امة احمد

فأظهر اكرامه والسرور به وقال له : ان في بقائك بهاء للملك ، وقد ضعفت عن الحركة فكاتبني بحاجتك ، ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة ووصله بثلاثة الاف دينار ليقضي بها دينا بلغه انه عليه(٢٧) .

١١ ـ وقال في المنتصر ايضا وهو اخر شعر قاله :

الا ليت شعري ابدر بدا
نهارا ام الملك المنتصر

امام تضمن أثوابه
على مسرجه قمرا من بشر

حمى الله دولة سلطانه
بجند القضاء وجند القدر

فلا زال ما بقيت مدة
يروح بها الدهر او يبتكر

١٢ ـ وانك مؤثر للحق :

وقال يمدح الوزير الحسن بن سهل :

ارى الآمال غير معرجات
على احد سوى الحسن بن سهل

يبارى يومه غده سماحا
كلا اليومين بان بكل فضل

(٢٧) معجم الادباء ص ٨ـ٩ـ١٠

ارى حسنا تقدم مستبدا
بعد من رياسته وقبل

فأن حضرتك مشكلة بشك
شفاك بحكمة وخطاب فصل

سليل مرازب برعوا حلوما
وراح صغيرهم بسداد كهل

ملوك ان جريت بهم أبروا
وعزوا ان توازيهم بعدل

ليهنك أن ما أرجيت رشد
وما امضيت من قول وفعل

وأنك مؤثر للحق فيما
اراك الله في قطع ووصل

وأنك للجميع حيا ربيع
يصوب على قرارة كل محل(٢٨)

١٣ ـ وقال يمدح الواثق لما ولى الخلافة(٢٩) :

أكتم وجدي فما ينكتم
بمن لو شكوت اليه رحم

واني على حسن ظني به
لاحذر ان بحت ان يحتشم

(٢٨) معجم الادباء ج : ١٠ ص ١٧ـ١٨

(٢٩) معجم الادباء ج : ١٠ ص ٢١ـ٢٢ـ٢٣

ولي عند لحظته روعة
تحقق ما ظنه المتهم

وقد علم الناس أتى له
محب واحسبه قد علم

واني لمغضي على لوعة
من الشوق في كبدي تضطرم

عشية ودعت عن مدمع
سفوح وزفرة قلب سدم

فما كان عند النوى مسعد
سوى الدمع يغسل طرفا كلم

سيذكر من بان اوطانه
ويبكي المقيمين من لم يقم

ومنها في المديح :

الى خازن الله في خلقه
سراج النهار وبدر الظلم

ركبنا غرابيب زفافة
بدجلة في موجها الملتطم

اذا ما قصدنا لقا طولها
ودهم قراقيرها تصطدم

وصرنا الى خير مسكونة
نيممها راغب اوملم

مباركة شاد بنيانها
بخير المواطن خير الامم

كأن بها نشر كافورة
لبرد نداها وطيب النسم

كظهر الاديم اذا ما السحاب
صاب على متنها وانسجم

مبرأة من وحول الشتاء
اذا ما طمى وحله وارتكم

فما ان يزال بها راجل
يمر الهو بنا ولا يلتطم

ويمشي على رسله آمنا
سليم الشراك نقى القدم

وللنون والضب في بطنها
مراتع مسكونة والنعم

ومنها : يب -

يضيق الفضاء به ان عدا
بطودى اعاريبه والعجم

ترى النصر يقدم راياته
اذا ما خففن امام العلم

وفي الله دوخ اعداءه
وجرد فيهم سيوف النقم

وفـــي الله يكظـــم مـــن غيضـــه
وفـــي الله يصـــفح عمـن ظلـــم

رأى شـــــيم الجـــود محمـودة
ومـــ شـــيم الجـــود الا قســـم

فـــراح علـى نعـــم واغتـــدى
كـــأن ليس يحســـــن الا نعـــم

١٤ ــ وقــال(٣٠)

اتانـــــى منـــــك مـــا ليــس
علـــــى مكروهـــــه صـــــبر

فـــا غضـــيت علـــى عمـــد
وقـــــد يغضـــى الفتـــى الحـر

وادبتـــــــك بـــالهجـــــر
فمـــــا ادبـــــك الهجـــــر

ولاردك عمـــــــا كـــــــان
منـــك النصـــــح والزجـــــر

فلمـــــا حظرنـــــى المكـــروه
واشـــــتد بـــــي الامـــــر

تناولتـــــك مـــــن ضـــرى
بمـــــا ليـــس لـــــه قـــدر

فحركـــت جنـــاح الـــذل
لمـــــا مســـــك الفـــــ

(٣٠) معجم الادباء ج : ١٠ ص ٢٢

اذا لـــم يصـــلح الخـــيرا مســـرا اصـــلحه الشـــر

١٥ ـ وغضب عليه المتعصم لشيء جرى منـــه على النبيذ ، فكتب اليـــه يسترضـــيه(٣١) :

غضـــب الامـــــام اشـــــد مـــن ادبـــه
وقـــــد استجرت وعذت مـــن غضـــــبه

اصـــــبحت معتصـــما بمعتصـــــم
أثنـــى الا لـــه عليـــه في كتبـــه

لا والـــذي لـــم يبـــق لـــى سببا
ارجـــــو النجـاة بـه ســوى سـببه

مالـــى شـــفيع غـــير حرمتـــــه
ولكل من اشـــفى علـــى عطبـــه

١٦ ـ في دير سرجس :

للحسين الخليع في هذا الدير ابيات حسان وهنا يجدر بنا ان نلم المامة خفيفة عن هذا الدير • وان خير من يحدثنا عنه هو الشابشيتي في كتابـــه الديارات حيث يقول(٣٢) : هذا الدين بين الكوفة والقادسية على حافـــة الطريق وبينها وبين القادسية ميل وكانت ارضه محفوقـــه بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر • وكانت احد البقاع المقصودة والنزه الموصوفة • وقد خربت الآن وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آبارها ولم يبق من جميـــع رسومها الا قباب خراب وحجر على قارعة الطريق ، تسميه الناس معصـــرة ابي نؤاس •

---

(٣١) معجم الادباء ج : ١٠ ص ٢٢ـ٢٣

(٣٢) ص ١٥٠ـ١٥١ تحقيق كوركيس عواد • بتصرف

واليك ما قاله الضحاك فيه :

اخوي حي على الصبوح صباحا
هبا ولا تعد النديم رواحا

مهما اقام على الصبوح مساعد
وعلى الغبوق فلن اريد براحا

عودا لعادتنا صبيحة امسنا
فالعودا حمد مغتدى ومراحا

هل تعذران بدير سرجس صاخبنا
بالصحو او ثريان ذاك جناحا

انى اعيذ كما بألفة بيننا
أن نشربا بقرى الفرات قراحا

عجب فواقزنا وقدس قسنا
هرجا واصحبنا الدجاج صياحا

للجاشرية فضلها فتعجلا
ان كنتما تريان ذاك صلاحا

يارب ماتبس الجفون بنومة
نبهته بالراح حين اراحا

فكأن ريا الكأس حين ندبته
للكأس انهض في حشاه جناحا

فاجاب يعثر في فضول روائه
عجلان يخلط بالعتان مراحا

فهتكت ستر مجونة بتهتكي
في كل ملهية وبحث وباحا

ما زال يضحك بي ويضحكن به
ما يستفيق دعابة ومزاحا

١٧ ـ عمر مريونان :

وهذا العمر بالانبار على الفرات وهو عمر حسن كبير كثير القلايات والرهبان وعليه سور محكم البناء فهو كالحصن له ، ولا يخلو من المتنزهين والمتطرفين وله ظاهر حسن ومنظر عجيب سيما في ايام الربيع : لان صحاريه وسائر اراضيه تكون كالحلل لكثرة طرائف زهره وفنون انواره ، ومن اجتاز بالانبار من الخلفاء ومن دونهم ينزله مدة مقامه .

وقد وصفته الشعراء وذكرته في اشعارها ، وللحسين بن الضحاك فيه .

آذنك الناقوس بالفجر
وغرد الراهب في العمر

واطردت عيناك في روضة
تضحك عن حمرو عن صفر

وحن مخمور الى خمرة
وجاءت الكأس على قدر

فارغب عن النوم الى شربها
ترغب عن الموت الى النشر

خاتمة المطاف :

ذكر معجم الادباء وبقية كتب السير ان ولادته كانت في سنة اثنتين وستين ومائة وتوفي في بغداد سنة خمسين ومائتين وقد قارب المائة وهذا

آخر ما وجدناه من حياته المطوية والتي ننشرها غير معلقين عليها بشيء لانه كما قيل :

كل ابن انثى وان طالت سلامته
لابد يوما على آله جدباء محمول

فسلام عليك يا من لم تكن اديبا فحسب بل رائدا من رواد الاسفار فتنقلت من سر من رأى الى بغداد الى الكوفة فالقادسية والى الانبار تستمد من وقائع الطبيعة ما يفيض به لسانك .

ابو تمــام الطــائي

هو ابو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الاشبح بن يحى بن مروان بن مر ابن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدى بن عمرو بن الفوت بن طيء ــ واسمه ملهمه ــ بن أدد بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب ابن قحطان الشاعر المشهور •

واما ما ذكره الامدى في كتاب الموازنة من قوله : والذي عند اكثر الناس في نسب ابى تمام : أن اباه كان نصرانينا من اهل جاسم ، قرية من قرى دمشق يقال له : تدوس العطار فجعلوه أوسا وقد لفقت له نسبة الى طيء •

فان ابن خلكان يرد عليه بقوله : وهذا باطل لان الآمدى قد استدل على هذا بقول ابي تمام •

ان كان مسعود سقى اطلالهم

سيل الشؤون فلست من مسعود

وقول ابى تمام « فلست من مسعود » لايدل على ان مسعودا من آبائه بل هذا كما يقال « ما انا من فلان ولا فلان مني » يريدون به البعد منهم والانفه

ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم « ولد الزنا ليس منا » و « علي مني وانا منــه » .

وقد ساق الخيب البغدادي في تاريخ بغداد نسبة المتقدم وفيــه تغيير يســـير .

محل ولادته :

اجمع المؤرخون والادباء على ان ولادته كانت بقرية جاسم وهي احدى قرر الجيدور من اعمال دمشق واثبت الاقوال المأثررة ان مولده كان في سنة تسعين ومائــة من الهجرة(١) .

تربيته ونشأته :

يكاد المرء يقف حائرا بين سيل الاقوال والروايات في هذا المضمار لان لابي تمام خصوم وله انصار فخصومه يؤلبون عليه ما ينقصه ويحط من منزلته وانصاره يوردون مايرفعه الى مصـــاف الصديقين والعباقرة من الروايات والاخبار فاذا طالع الباحث او المتتبع اخبار ابي تمام للصولي يجده مليئا بكل فضيلة واذا قرأ الموازنة للامدى يجدها طافحة بالمثالب والفقص في ابي تمام .

وبقيت حائرا امام هذا السؤال وهو ان الكاتب اذا ارادان يكتب فيجب عليه الحياد . لئلا تزل قدمه في هـــذه المعمعه . واخيرا رأيت ان اعتمــد في هذا الفصل على كتاب الوفيات لابن خلكان واخبار ابي تمام للصــولي والموازنة للامدى فابن خلكان يقول : ونشأ بمصر قيل : انه كان يسقى الناس ماء بالجرة في جامع مصر ، وقيل كان يخدم حاجكا ويعمل عنده بدمشق ، وكان ابوه خمارا بها ، وكان ابو تمام اسمر طويلا فصيحا حلو الكلام فيه تمتمه يسيره واشتغل وتنقل الى ان صار منه ما صار .

---

(١) الموازنة للامدي ص ٥ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميــد ط : ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م .

واما الصولي فيقول : كان ابو تمام طوالا وكان فيه تمتمه يسيره وكان حلو الكلام فصيحا كأن لفظه لفظ الاعراب •

ويورد الصولي روايات يدعم فيها قوله هذا فقد قال : حدثني علي بن الحسن الكاتب قال : رأيت ابا تمام وانا صبى صغير ، فكان اسمر طوالا •
وقال : حدثنى احمد بن يزيد المهلبى قال : كنت جالسا مع ابن عتاب فمر بنا رجل من الكتاب ، فجلس الينا وكان فصيحا مليح الحديث فأطال معنا ثم قام ، فقال لى ابن عتاب : ما رأيت رجلا اشبه لفظا بأبي تمام من هــذا الا حبسة قليلة كانت في لسان ابي تمام •

اما في كتاب الموازنة فيقول : كان ابو تمام اسمر اللون طويلا حلــو الكلام غير أن في لسانه حبسه وفي كلامه تمتمه يسيره حتى قيل فيه :

يانبى الله في الشــعر ويا عيســى بن مريــم
انت مــن اشــعر خلــق الله مالــم تتكلم

وكان فطنا شديد الفطنه قوى العارضة حاضر البديهة • وقد واتته هذه الخلال ومكنت له من الغوص على المعانى ، فكان لا يزال يجد في أثرها حتى يصل الى مايعسر على غير متناوله •

أبو تمام : واهله :

لم نجد في كتب الادب تفاصيل كافية عن عائلة ابى تمام اللهم الا ماذكره الصولى في كتابه احبار ابى تمام من ان له اخا اسمه سهم وولدا اسمه تمام(٢) فقد قال : كان لابى تما أخ يقال له سهم وكان يقول الشعر فمن شعره •

ونازعتــه شــيئا اليــه مبغضــا
فلمــا رأى وجـدى بـه صـار يعشـقه

---

(٢) ص ٢٥٩ المصدر السابق

فدعــه ولا تحـزن علـى فائــز بــه
فان جــديدات الليالــى ســتخلقه

وكان اخوه سهم يتردد على ابي تمام يطلب منه مساعدته بالمال وكـان ابو تمام يحتال له في سبيل كسـبه او تحصيله المال وحدثنا الصولي بذلك فقال : كان لابى تمام اخ يقال له سهم ، وكان يقول شعرا دونا فجاء الى ابى تمام يستميحه فقال له : والله ما يفضل عن شيء ، ولكن احتال لك فكتب الى يحى بن عبدالله بقصيدة اولهـا :

احــدى بنـى بكر بــن عبـد منــاه
بـين الكتيــب الفــرد فالا مــواه

فقــال فيهــا :

ســهم بــن أوس في ضـمانك واثــق
ان لســت بالناسى ولا بالســاهى
اجزل لـــه الحظين منــك وكن لــه
ركنا علــى الايــام ليس بواهــى
بولايتــين ولايـــة مشـــورة
في كـــورة وولايـــة بالجـــاه
هــو في الفن غرس وغرســك في العــلا
أنـــى اردت وانــت غـــرس الله

تمام بن ابي تمام الطائي :

كان تمام هذا يقول الشعر ولكن لم يكن في شاعريته كوالده وهـذه القصة التي يوردها الصولى في كتابه اخبار ابي تمام كافية لاعطاء صــورة

واضحة عن هذا فقد قال : لما ولى محمد بن طاهر خراسان دخـــل الناس لتهنئته فكان فيهم « تمام » بن ابي تمام الطائي فانشده :

هنـــاك رب النــــاس هنـــاكا
مـــا مـــن جزيـــل الملـــك اعطـــاكا
قـــرت بمـــا أعطيت يـاذا الحجـــى
والبـــأس والانعـــــام عينـــاكا
اشـــرقت الارض بمـــا تلتــــه
وأورق العـــــود لنجواكـــــا

فاستضعفت الجماعة شعره ، وقالوا : يا بعد ما بينه وبين ابيه فقـال محمد لعبدالله بن اسحاق ، وكان يعرفه الناس وهو على امره : قـل لبعض شعرائنا : اجبه ، فغمز رجلا في المجلس ، فقيل على تمام فقال :

حبـــاك رب النـــاس حياكـــا
ان الـــذي املـــت احظاكـــا
مدحـــت خرقـــا منهبـــا مالـــه
ولـــو رأى مدحـــا لواســـاكا
فهـــاك ان شـــئت بهـــا مدحـــة
مثـــل الـــذي اعطيـــت اعطاكـــا

فقال تمام : اعز الله الامير ، ان الشعر بالشعر ربا ، فاجعل بينهما رضخا من دراهم حتى يحل لى ولك ! فضحك محمد وقال : ان لم يكن معه شعر ابيه، فمعه ظرف ابيه ، اعطوه ثلاثة الاف درهم ، فقال عبدالله بن اسحاق : ولقول ابيه في الامير عبدالله بن طاهـر :

امطلـع الشـمس تنـوى ان تـؤم بنـا ؟
فقلت : كـــلا ، ولكـن مطلـــع الجـود

ثلاثة آلاف اخرى ، قال : ويعطى ثلاثة ،

شهادات ادبيـة :

عقد الصولي فصلا في كتابه اخبار ابي تمام ذكر فيه الاخبار الواردة في تفضيل ابي تمام فقال : قدم عمارة بن عقيل بغداد فاجتمع الناس اليه ، وكتبوا شعره وسمعوا منه ، وعرضوا عليه الاشعار ، فقال له بعضم : ها هنا شاعر يزعم قوم أنه اشعر الناس طرأ ويزعم غيرهم ضد ذلك ، فقال : انشـدولي لـه ، فانشـدوه :

غـدت تسـتجير الدمـع خـوف نوى غد
وعـاد قتـادا عندهـا كل مرقـد

انقذهـا مـن غمـرة المـوت أنـه
صـدود فـراق لا صـدود تعمـد

فاجـرى لهـا الاشـفاق دمعـا موردا
مـن الـدم يجـرى فـوق خـد مورد

هـي البـدر يغبهـا تـودد وجهها
الى كل مـن لاقـت وان لـم تـودد

ثم قطع المنشد ، فقال عمارة : زدنا من هذا ، فوصل وقال :

ولكنني لـم احـو وفـرا مجمعـا
ففـزت بـه الا بشـمل مبـدد

ولـم تعطنـى الايـام نوما مسـكنا
الـذ بـه الا بنـوم مشـرد

فقال عمارة : لله دره ، لقد تقدم صاحبكم في هذا المعنى جميع من سبقه على كثرة القول فيه ، حتى لحبب الاغتراب ، هيه ! فانشده :

وطــول مقـام المـرء في الحـي مخلـق
لديباجتيـــه فاغتـــرب تتجـــدد
فانـــى رأيـت الشـمس زيـدت محبـة
الى النـــاس اذ ليست عليهـم بسـرمد

فقال عمارة : كمل والله ، ان كان الشعر بجودة اللفظ ، وحسن المعانى ، واطراد المراد واستواء الكلام ، فصاحبكم هذا اشعر الناس وان كان بغيره فـــلا ادري !

وهل تدري من هو عمارة هذا الذي حكم هذا الحكم المنصف على ابي تمام فكتاب الاغاني يحدثنا عنه ونقتضب من حديثه هذا مخلصا لترجمتـه فهو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الحظفى شاعر متقـــدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء في الدولة العباسية متجزلون صلته وبمدح قوادهم . وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة . وبعد هذا فان لشاهدته قيمة ادبية تحملنا على الاعتراف بما لابي تمام من افضلية بتز غالبية الشـــعراء .

علي بن الجهم وابو تمام الطائي :

ان من يتصفح كتب الادب يجد مودة اكيدة بين علي بن الجهم وابي تمـــام الطائي وان القصة التي ذكرهـــا الصولي(٣) لخير دليل على هذا فقد قال : سمعت علي بن الجهم ذكر دعبلا فكفره ولعنه ، وطعن على اشـــياء من شعره ، وقال : كان يكذب على ابي تمام ، ويضـع عليه الاخبار ، ووالله ما كان اليه ولا مقاربا له ، واخذ في وصف ابي تمام ، فقال لـــه رجـــل : والله لو كان ابو تمام اخاك ما زاد على مدحك له ، فقـــال : الا يكن اخـــا بالنسب ، فأنه أخ بالادب والدين والمودة اما سمعت ما خاطبني به :

---

(٣) أخبار أبي تمـــام . ص ٦٦ المطبوع ١٣٥٦ هـ لجنة التأليف والنشر

ان يكـد مطـرف الاخـاء فاننـا
نغـدو ونسرى في اخـاء تالـد

او يختلـف مـاء الوصـال فماؤنـا
عـذب تحـدر مـن غمـام واحـد

او يفتـرق نسـب يؤلف بيننـا
ادب اقمنـاه مقـام الوالـد

ندوة ادبية محورها ابو تمام :

شاعريته الممتازة قد اشغلت افكار الادباء والشعراء فاحاديثهم الخاصة تدور حول ابي تمام لتقتبس من وحيه الفذ حلاوة الحديث والحديث عنـه شهي ممتع فهذا كتاب الصولي في اخبار ابي تمام يحدثنا عن مجلس من هذه المجالس فيقول : كنا في حلقة دعبل فجرى ذكر ابي تمام ، فقال دعبل : كان يتتبع معاني فيأخذها ، فقال له رجل في مجلسه : مـا مـن ذاك اعزك الله ؟ قـال ، قلت :

ان امـرءاسـدى الـى بشـافع
اليـه ويرجـو الشـكر من لاحمـق

شـفيعك فاشـكر في الحوائـج انـه
يصـونك عـن مكروههـا وهـو يخلـق

فقال له الرجل : فكيف قال ابو تمام ؟ قال ، قال :

فلقيت بـين يـديك حلـو عطائـه
ولقيت بـين يـدى مـر سـؤاله

واذا امـرؤ اسـدى الـى صـنيعة
مـن جاهـه فكأنهـا مـن مالـه

فقال الرجل : احسن والله ، فقال : كذبت قبحك الله ، فقال : والله لئن كان اخذ هذا المعنى وتبعته فما احسنت ، وان كان اخذه منك لقد اجاده فصار اولى به منك ، فغضب دعبل وقام •

وهذه قصة ثانية آثرنا ذكرها اذ أنها تفصح بشكل واضح لا لبس(٤) عليه ولا غموض تقر باستاذية ابي تمام في الشعر فقد ذكر الصولي قال : كان ابراهيم بن الفرج البندنيجي الشاعر يجيئنا كثيرا ، وكان اعلم الناس بالشعر ويجيئنا البحتري وعلي بن العباس الرومي وكانوا اذا ذكروا ابا تمام عظموه ورفعوا مقداره في الشعر حتى يقدموه على اكثر الشعراء ، وكل يقر بأستاذيته ، وأنه منه تعلم ، وقال : هؤلاء اعلم اهل زمانهم بالشعر ، واشعر من بقى •

وهذا اديب آخر يقص في مجلس من مجالس الادب ويحدث عن ابي تمام كما جاء في اخبار ابي تمام للصولي حيث قال : حدثني عبدالله بن محمد بن جرير قال : سمعت محمد بن حازم الباهلي الشاعر يصف ابا تمام ، ويقدمه في الشعر والعلم والفصاحة ويقول : ما سمعت لمتقدم ولا محدث بمثل ابتدائه في مرثيته :

اصم بك الناعى وان كان اسمعا

ولا مثل قوله في الغزل :

ما ان رأى الاقوام شمسا مثلها
أفلت فلم تعقبهم بظلام

لو يقدرون مشوا على وجناتهم
وعيونهم فضلا عن الاقدام

---

(٤) اخبار ابي تمام ص ٦٧

شهادة البحتري :

لقد قدمنا ان الادباء قد انقسموا الى معسكرين معسكر يؤيد البحتري وآخر يؤيد ابا تمام ولكل حجته التي يرتكز عليها ويفضل صاحبه على الاخر ولذا خرج هذا النقاش الفكري الى حيز التأليف فكتب الصولي كتابه الذي يجمع فيه فضائل صاحبه ابي تمام وراح الامدى يدون كتابه الموازنة الذي يدافع فيه ويجمع خصائل البحتري المتـازة ولو مـن طرف خفى في بعض الاحايين وتظهر جلية في بعض آخر • وانا نأخذ في هذه العجالة مـا قـاله البحتري الذي يتحدى انصاره ليدلى بهذه الشهادة فقد ذكرها الصـولي كما ذكرها كتاب الامدي ولما كانت الرواية متطابقة في الكتابين نذكرهـا كما جاءت في اخبار ابي تمام والموازنة لئلا يختلج في نفس احدان في الموضوع تحيز واليك حدث البحتري قال : كان اول امرى في الشعر ، ونباهتي فيـه ، اني صرت الى ابي تمام وهو بحمص ، فعرضت عليه شعري ، وكان يجلس فلا يبقى شاعر الا قصده وعرض عليه شعره ، فلما سمع شعري اقبل علـى وترك سائر الناس ، فلما تفرقوا قال : انت اشعر من انشدني فكيف حالك ؟ فشكوت خلة ، فكتب لى الى اهل معرة النعمان ، وشهد لى بالحذق ، وقال : امتدحهم ، فصرت اليهم فاكرموني بكتابه ووظنوا لى اربعة الاف درهـم ، فكانت اول ما اصبته •

واليك اعتراف اخر وشهادة صريحة يتحدى بها البحتري انصاره ويساند بها معسكر ابي تمام وقد وردت هذه الشـــهادة في كتاب اخبار ابي تمام للصولي حيث قال : وسمعت ابا محمد عبدالله بن الحسين بن سعد يقـول للبحتري ، وقد اجتمعنا في داره بالخلد وعنده محمد بن يزيد النحوى ، وذكروا معن تعاوره البحتري وابو تمام : انت في هذا اشعر من ابي تمام ، فقـال : كلا والله ذاك الرئيس الاستاذ ، والله ما اكلت الخبز الا به ، فقال له محمد بن يزيد : يا ابا الحسن ، تأبى الا مشرقا من جميع جوانبك ! ق

وهذه قصة ثالثة هي اعتراف وتأييد فقد ذكر الصولي عن ابي عبدالله الحسين بن علي قال ، قلت للبحتري : أيما اشعر ، أنت أو أبو تمام ؟ فقال : جيده خير من جيدي ، ورديئي خير من رديئه . قال ابو بكر : وقد صدق البحتري في هذا جيد ابي تمام لايتعلق به احد في زمانه وربما اختل لفظه قليلا لا معناه ، والبحتري لا يختل .

ولا استطيع ان اذكر جميع اعترافات البحتري في استاذية ابي تمام لان ذلك يحتاج الى مجلدات وقد كفانا بعضها الصولي فلتراجع في مظانها ونختم هذا الفصل بما قاله الصولي نفسه في كتابه اخبار ابي تمام :

« ولولا ان بعض اهل الادب الف في أخذ البحتري من ابي تمام كتابا لكنت قد سقت كثيرا مثل ما ذكرنا ولكنني اكره اعادة والف واجتنب ان اجتذب من الادب ما ملك قبلي .

عبدالله بن المعتز يحدث عن ابي تمام :

هذا الحديث الذي ساقصه عليك قد ورد في عدة مصادر تاريخية(٥) وان كان في بعضها اختلاف يسير جدا غير ان معناها واحد ولنأخذ برواية الصولي في كتابه اخبار ابي تمام فقد قال : حدثني عبدالله بن المعتز قال : حدثني ابو سعيد النحوي المعروف بصعودا عن ابي تمام الطائي قال : خرجت يوما الى « سر من رأى » حين ولى الواثق فلقيني اعرابي وقد قربت منها فأردت ان اسأله عن شيء من اخبار الناس بها ، فخاطبته ، فاذا افصح الناس وافطنهم ، فقلت ممن الرجل ؟ قال : من بني عامر ، قلت : كيف علمك بأمير المؤمنين ؟ قال : قتل ارضا عالمها ، قلت : فما تقول فيه ؟ قال : وثق بالله فكفاه ، اشجى

---

(٥) راجع وفيات الاعيان ٣٦٣ ، مروج الذهب ٣٧٢/٧ ، ونزهة الالبا ٢٩٩ - ٣٠١

(٦) ص ٨٩ ...

العاصية وقمع العادية ، وعدل في الرعية ، وارعف كل ذى قلم خيانته ، قلت : فما تقول في احمد بن ابي دؤاد ؟ قال : هضبة لاترام وجندلة لاتضام ، تشحذ له المدى ، وتحبل له الا شراك ، وتبغى له الغوائل ، حتى اذا قيل كأن قد ، وتب وتبة الذئب ، وختل ختل الضب ، قلت : فما تقول في محمد بن عبدالملك ؟ قال وسع الدانى شره وقتل البعيد ضره ، له كل يوم صريع لايرى فيه أثر ناب ، ولا تدب مخلب ، قلت : فما تقول في عمرو بن فرج ؟ قال ضخم لهم ، مستعذب للذم . قلت : فما تقول في الفضل بن مروان ؟ واستعذبت خطابه ، قال ذاك رجل نشر بعدما قبر ، فعليه حياة الاحياء وخفتة الموتى . قلت : فما تقو في ابي الوزير ؟ قال كبش الزنادقة الذي تعرف ، الا ترى ان الخليفة اذا أهمله سنح ورتسع ، فاذا هزه امطر فأمرع ؟ قلت : فأبن الخصيب ؟ قال : أكل اكلة نهم ، فذرق ذرقة بشم . قلت : فما تقول في ابراهيم اخيه ؟ قال : (اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون) . قلت : فما تقول في احمد بن اسرائيل ؟ قال : لله دره اي قلقل هو اغرس في منابت الكرم ، حتى اذا اهتزلهم حصدوه قلت : فما تقول في ابراهيم ابن رياح ؟ قال : أوبقه كرمه ، واسلمه حسبه ، وله معروف لايسلمه ، ورب لا يخذله ، وخليفة لايظلمه . قلت فما تقول في نجاح بن سلمه ؟ قال : لله وره ، أي طالب وتر ، ومدرك تأر ! يتلهب كأنه شعلة نار ، له من الخليفة جلسة تزيل نعما وتحل نقما . قلت: يا اعرابي ، اين منزلك ؟ قال : اللهم غفرا اذذا اشتمل الظلام فحتما ادركن الرقاد رقدت ! قلت : فكيف رضاك عن اهل العسكر ؟ قال : لا أخلق وجهي بمسألتهم ، او ما سمعت قول هذا الطائي الذي قد ملأ الدنيا شعره :

وما أبالي وخير القول اصدقه
حقنت لى ماء وجهي وحقنت دمي

قلت : فأنا الطائي قائل هذا الشعر ! فدنا مبادرا فعانقن وقال :

لله ابوك ، الست الذي يقول :

ما جـــود كفك ان جـــادت وان بخلـــت

مـــن مـــاء وجهـــي اذا أخلقتـــه عـــوض

قلت : نعم ، قال : أنت والله اسعر اهل الزمان • فرجعت بالاعرابي معي الى ابن ابي دؤاد ، وحدثه بحديثه ، فأدخله الى الواثق فسأله عن خبره معي فأخبره به ، فأمر له بمال ، واحسن اليه ، ووهب له احمد بن ابي دؤاد ، فكان يقول لي : قد عظم الله بركتك علي :

اقول وقد عقب المسعودي على هذا الخبر قال : « فهذا الخبر مخرجه عن ابي تمام فان كان صادقا فيما قال ــ ولا اراه ــ فقد احســـن الاعرابي في الوصف ، وان كان ابو تمام هو الذي صنعه وعزاه الى هذا الاعرابي فقـد قصر في نظمه ، اذ كانت منزلته اكبر من هذا » •

لقد عصفت رائية طائيكم هذا بكل شعر في لحنها :

ذكر الصولي ان قد حدثت محمد بن القاسم بن خلاد قال : انصرفت يوما من عند ابن ابي دؤاد ، فدخلت الى محمد بن منصور فوجدت عنده عماره بن عقيل وكان خلا له ، وهو ينشده قصيدة له في الواثق اولها :

عـــــرف الديار رســـــومها قفـــــر

لعبـــــت بهـــــا الاوراح والفطـــــر

فلما فرغ منها قلنا له : ما سمعنا احسن من هذه الرائية ،احســـن الله اليك يا ابا عقيل ! فقل : والله لقد عصفت رائيه طائيكم هذا بكل شـــعر في لحنها ، قلنا له : وما هي ؟ قال : كلمته التي هجا بها الامنين ، فقال محمد بن يحى بن الجهم : انا احفظها ، فقال : هاتها فأنشده : ـ

الحـــق ابلـــج والسيوف عـــوار

فحـــذار مـــن اسـد العريـــن حـــذار

فقال له عماره : انشدنا ذكر النار ، فانشد :

مـــا زال ســـر الكفر بين ضلوعــــــه
حتى امطلى ســـــر الزنــــاد الــــوارى

نـــارا يســـاوز جسـمه مـن حرهــــا
لهـــب كمـــا عصـــفرت لفـــف ازار

طـــارت لهـــا شـــعل بهـــدم لفحهـــا
اركانــــه هدمـــا بغـــــير غبـــار

ففصـــلن منـــه كل مجمـــع مفصـــل
وفعلـــن فاقـــــرة بكـــل فقـــار

رمقـــوا اعالـــى جذعـــه فكانمـــا
وجـــدوا الهـــلال عشـــية الافطـــار

ســـود اللباس كانمـــا نسجت لهـــم
ايـــدى الشـــموس مدارعـــا مـــن قـــار

بكـــردا واســـروا في متـــون ضـــوامر
قيـــدت لهـــم مـــن مربـــط النجـــار

لايبرحـــون ومـــن رآهـــم خالهـــم
ابـــدا علـــى ســـفر مـــن الاســـفار

جهلـــوا فلـــم يستكثروا مـــن طاعـــة
معروفـــة بعمـــارة الامصـــار

فقال عمارة : لله دره ، لقد وجد ما اظلته الشعراء ، حتى كأنه كان مخبوءا له . قال محمد بن القاسم : فاعتقدت في ابي تمام من ذلك اليوم انه اشعر الناس وما كان ذا رأيي من قبل .

انصـــاف :

لو جنح انصار ابي تمام وانصار البحتري الى هذه الرواية التي يحدثنا عنها الصولي في كتابه اخبار ابي تمام لما انقسم الادباء الى هذين المعسكرين فقد ذكر : ان عبدالله بن المعتز قال : جاءني محمد بن يزيد المبرد يوما فافضنا في ذكر ابي تمام ، وسألته عنه وعن البحتري ، فقال : لابي تمام استخراجات لطيفة ، ومعان طريفة ، لا يقول مثلها البحتري وهو صحيح الخاطر ، حسـن الانتزاع ، وشعر البحتري احسن استواء وابو تمام يقـول النادر والبارد وهو المذهب الذي كان اعجب الى الاصمعي وما اشـبه ابا تمام الا بغائص يخرج الدر والمخشلبه ، ثم قال : والله ان لابي تمام والبحتري من المحاسن مالوقيس باكثر شعر الاوائل ما وجد فيه مثله .

قال ابو بكر : وقول ابي العباس المبرد « ما اشبهه الابغائص »فانمـا اخذه من قول الاصمعي في النابغة الجعدي : تجد في شعره مطرفا بآلاف ، وكسـاء بواف .

ابو تمام واحمد بن ابي دؤاد :

ان اخبار ابي تمام مع ابن ابي دؤاد كثيرة تحتاج الى تبسيط وتوسـيع ولكنا سنذكر في هذا الباب حادثة من حوادثه معه وهي حادثة عتاب ونورد القصة باسبابها مع اعتذار ابي تمام من ابن ابي دؤاد كما يحدثنا عـن ذلك الصولي(٧) قال : كنت جالسا بطرف الحير « حير سر من رأى »(٨) ومعـي جماعة لمنتظر الى الخيل ، فمر بنا ابو تمام فجلس الينا ، فقال له رجل منا : يا ابا تمام اي رجل انت لو لم تكن من اليمن ؟ قال له ابو تمام : ما أحب الى

(٧) اخبار ابو تمام للصولي ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٨) هو ما نسميه الآن حديقة الحيوانات راجع كتابنا تاريخ سـامراء ماضيها وحاضرها عن هذا الحير .

بغير الموضع الذي اختاره الله لي ، فممن تحب ان اكون ؟ قال : من مضر فقال ابو تمام انما شرفت مضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك ماقيسوا بملوكنا وفينا كذا وفينا كذا ، ففخر وذكر اشياء عاب بها نفرا من مضر ، قال : ونمى الخبر الى ابن ابي دؤاد وزادوا عليه فقال : ما احب ان يدخل الى ابو تمام ، فليحجب عني فقال يعتذر اليه ويمدحه :

سعدت غربة النوى بسعاد
فهي طوع الاتهام والانجاد

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس
الا من فضل شيب الفؤاد

وكذاك القلوب في كل بؤسي
ونعيم طلائع الاجساد

طال انكاري البياض وان عمرت شيئا انكرت لون السواد

يا ابا عبدالله اوريت زندا
في يدي كان دائم الاصلاء

وقد كان ابن ابي دؤاد يحب ابا تمام ويذكره بالفضل امام الخليفة كما يحدثنا عنه الصولي حيث قال حدثني محمد بن روح الكلابي قال : نزل علي ابو تمام الطائي فحدثني انه امتدح المعتصم « بسر من رأى » بعد فتح عمورية فذكره ابن ابي دؤاد للمعتصم فقال له : اليس الذي انشدنا الاجش الصوت ! قال : يا امير المؤمنين ، ان معه راوية حسن النشيد فاذن له ، فانشده راويته مدحه له، ولم يذكر القصيدة فأمر له بدراهم كثيرة وصك ماله على اسحاق بن ابراهيم المصعبي . قال ابو تمام : فدخلت اليه بالصك ، وانشدته مديحا له ، فاستحسنه وامر لي بدون ما امر لي به المعتصم قليلا وقال : والله لو أمر لك امير المؤمنين بعدد الدراهم دنانير لامرت لك بذلك .

ابو تمام وخالد بن يزيد الشيباني :

صلة ابي تمام بخالد الشيباني صلة ادب عدا صلة اخوة وصداقة وان الشيباني هذا هو الوسيط في تراضى ابن ابي دؤاد وابي تمام واضافة لهذا كله فالشيباني طلق اليد جوده مضرب الامثال وكان واليا على ارمينية في ايام الواثق وقد قصده ابو تمام ليمتدحه ويجدد مواثيق الصداقة وينال صلته منه ويحدثنا بهذا الصولي حيث يقول : خرج ابو تمام الى خالد بن يزيد ابن مزيدوالى ارمينية فامتدحه فأمر له بعشرة الاف درهم ونفقة لسفره ، وامره الا يقم ان كان عازما على الخروج ، فودعه ومضت ايام فركب خالد ليتصيد ، فرآه تحت شجرة وقدامه زكرة فيها نبيذ وغلام بيده طنبور فقال : حبيب ؟ قال : خادمك وعبدك ، قال : ما فعل المال ؟ فقال :

علمنى جودك السماح فما ابسقيت شيئا لدى من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به
كأن لي قدرة كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجتبيه في سنتك
فلست ادري من اين تنفق لو
لا ان ربي يمد في هبتك

فأمر له بعشرة الاف درهم اخرى فأخذها(٩) .

ابو تمام والحسن بن رجاء :

الحسن بن رجاء كان فيه بخل ولكن هذه الطبيعة التي تسيطر على نفسه يقتلعها شعر أبي تمام فتهزه هزا عنيفا كما يهز تيار الكهرباء الالات الضخمة حتى يحركها واليك هذه القصة التي يرويها لنا الصولي قال حدثني محمد بن

---

(٩) اخباره الطويلة في كتاب اخبار ابي تمام للصولي فلتراجع هناك

سعيد ابو عبدالله الرقى . قال : قدم ابو تمام مدحا للحسن بن رجاء فرأيت رجلا علمه وعقله فوق شعره ، واستنشده الحسن بن رجاء ونحن في مجلس شرب فانشده :

كفى وغاك فانني لك قالي
ليست هوادى عزمتي بتوالى

انا ذو عرفت فان عرتك جهالة
فانا المقيم قيامة العذال

ولما قال :

عادت له ايامه مسودة
حتى توهم انهن ليالي

قال له الحسن : والله لا تسود عليك بعد اليوم . فلما قال :

لاتنكرى عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي

وتنظري خبب الركاب ينصها
محيى القريض الى مميت المال

قام الحسن بن رجاء وقال : والله لا اتممتها الا وانا قائم ، فقال ابو تمام لقيامه وقال :

لما بلغنا ساحة الحسن انقضى
عنا تملك دولة الامحال

بسط الرجاء لنا برغم نوائب
كثرت بهن مصارع الآمال

اغلى عــذارى الشـــعر ان مهورهـــا
عنـــد الكـــرام اذا رخصـــن عـــوالى

تـــرد الظنـــون بـــه علـــى تصـــديقها
ويحكـــم الآمـــال في الامـــوال

اصـــخى ســـمى ابيـك فيـك مصـدقا
باجـــل فائـــدة وايمـــن قـــال

ورأيتنـــي فســـألت نفســـك ســـببها
لـــي ثـــم جـــدت ومـــا انتظـــرت سؤالى

كالغيـــم ليس لـــه أريـــد غياثـــه
او لـــم يـــرد ــ بـــد مـــن الشهطال

فتعانقا وجلسا ، فقال له الحسن : ما احسن ما جليت هــذه العروس ! فقال : والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك او في مهورها قال محمد بن سعيد : فاقام شهرين فأخذ على يدى عشرة الاف درهم ، واخذ غـير ذلك مما لم اعلم به ، على بخل كان في الحسن بن رجاء .

منتحل اسم ابي تمام والحسن بن رجاء :

ان شاعرية ابي تمام قد سحرت ابن رجاء سحرا ملكت عليـه شـاعره وانتشر امرها بين الطبقات حتى ان بعض ذوى الحاجة والمعوزين اخـــذوا ينتحلون اسم ابي تمام ليدخلوا عليه كيما ينالوا مبتغاهم لما عرفوا من حـب واكبار واجلال ابن رجاء لابي تمام . وهذا الصولي(١١) يحدثنا عـن ذلك فيقول : كنت مع الحسن بن رجاء فقدم عليه ابو تمام فكان مقيما عنـده ، وكان تقدم الى حاجبه الا يقف ببابه طالب حاجة الا اعلمه خبره ، فدخـل

(١٠) اخبار ابي تمام ص ١٧٠ .

حاجبه يوما يضحك ، فقال : ما شأنك ؟ فقال : بالباب رجل يستأذن ويزعم انه ابو تمام الطائي ! قال : فقل له ما حاجتك ؟ قال : يقول مدحت الامير ــ اعزه الله ــ وجئت لانشده ، قال : أدخله ، فدخل فحضرت المائدة ، فأمره فأكل معه ، ثم قال له : من انت ؟ قال : ابو تمام حبيب بن اوس الطائي مدحت الامير اعزه الله ، قال : هات مدحك ، فانشده قصيدة حسنة فقال : قد احسنت وقد امرت لك بثلاثة الاف درهم فشكر ودعا ، وكان الحسن قد تقدم الى الجماعة الا يقولوا له شيئا ، فقال له ابو تمام : نريد ان تجيز لنا هذا البيت ، وعمل بيتا ، فلجلج ، فقال له : ويحك ، اما تستحى ادعيت اسمى واسم ابي وكنيتي ونسبى ، وانا ابو تمام ! فضحك الشيخ وقال : لا تعجل على حتى احدث الامير ــ اعزه الله ــ قصتي : انا رجل كانت لي حال فتغيرت ، فاشار على صديق لي من اهل الادب ان اقصد الامير بمدح ، فقلت له : لا احسن ، فقال : انا اعمل لك قصيدة ، فعمل هذه القصيدة ووهبها لي ، وقال : لعلك تنال خيرا ، فقال له الحسن : قد نلت ما تريد ، وقد اضعفت جائزتك • قال : فكان ينادمه ويتولعون به فيكنونه بأبى تمام •

خصوم ابي تمام يرمونه بالكفر :

لم يكتف خصوم ابي تمام بما اعابوه عليه من جميع النواحي الادبية وما وصموه به من عدم المعرفة بالمعانى والبيان واللغة وانه يسرق معانى من تقدمه من الشعراء ويجعلها من غوائص فكره بل حققوا كفره حتى ينفروا عنه الرأى العام وهذا شأن الخصم الضعيف الذي يستظل في تنفيذ مآربه الخاصة بالدين • ولا زالت هذه الفكرة تظهر بين الغينة والغينه في الخصومات الادبية او السياسية حتى وقتنا الحاضر وهو سنة الف وثلثمائة وخمس وسبعون هجرية • في هذا القرن الذي قد اطلقوا عليه قرن العلم والنور قرن الذره قرن التوسع الفكري •

وراح خصوم ابي تمام ينشرون هذه الدعوة بين الطبقات ليقللوا من

اهميته الادبية ويحدثنا بهذا كتاب اخبار ابي تمام للصولي(١١) حيث يقول : سمعت الحسن بن الحسن بن رجاء يحدث ابا سعيد الحسن ابن الحسين الازدي ، ان اباه رأى ابا تمام يوما يصلي صلاة خفيفة فقال له : اتم يا ابا تمام • فلما انصرف من صلاته قال له : قصر المال وطول الامل ، ونقصان الجده ، وزيادة الهمة ، يمنع من اتمام الصلاة ، لاسيما ونحن سفر • فكان ابي يقول، وددت انه يعاني فروضه كما يعاني شعره ، واني مغرم ما يثقل غرمه ، وقد ادعى قوم عليه الكفر بل حققوه ، وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره ، وتضيع حسنه ، وما ظننت ان كفرا ينقص من شعر ولا ايمانا يزيد فيه • وكيف يحقق هذا على مثله حتى يسمع الناس لعنه له ، من لم يشاهده ولم يسمع منه ، ولا سمع قول من يوثق به فيه ؟ ق

واحتجوا برواية احمد بن ابي طالب وقد حدثني بها عنه جماعة انه قال : دخلت على ابي تمام وهو يعمل شعرا ، وبين يديه شعر ابي نواس ومسلم فقلت : ما هذا ؟ قال : اللات والعزى ، وانا اعبدهما من دون الله منذ ثلاثين سنة •

ومن الافراط في عصبيتهم عليه ما حدثني به ابو العباس عبدالله بن المعتز قال : حدثت ابراهيم بن المدبر — ورأيته يستجيد شعر ابي تمام ولا يوفيه حقه — بحديث حدثنه ابو عمرو بن ابي الحسن الطوسي ، وجعلته مثلا له قال : وجه بي ابي الى ابن الاعرابي لاقرأ عليه اشعارا وكنت معجبا بشعر ابي تمام ، فقرأت عليه من اشعار هذيل ، ثم قرأت ارجوزة ابي تمام على انها لبعض شعراء هذيل •

وعاذل عذلته في عذله
فظن اني جاهل من جهله

---

(١١) ص ١٧٢ — ٧٦ بتصرف • المصدر السابق •

حتى اغمتها فقال : اكتب لى هذه ، فكتبتها له ، ثم قلت : أحسنة هي ؟ قال : ما سمعت باحسن منها قلت : انها لابي تمام فقال : خرق خرق(+) .

ومن هذا يتبين ان الخصومه شخصية لا خصومة شعرية . والا لواراد باحت ان ينظر الى شعر ابي تمام لخلص الى نتيجة هي عكس ما يرمونه به من الحاد وكفر وان صحت رواية احمد بن ابي طاهر فان له تخريجا واضحا لايفوت على ادنى من اوتى معرفة اذ المضى انهما قد شغلانى عن عبادة الله عز وجل اذ كيف يكون عبدا لشاعرين يرى نفسه اكبر منهما او مثلهما او قريب منهما .

هذا وان شعره كله يشهد بضد ما يتهمونه به .

وعلى فرض ما ادعاه خصومه من انه ملحد كافر فما الحاده وكفره بمنقص من رتب شعره ولا مذهب بجودته وانما نقصه في نفسه فقط ولا اريد ان اكون مدافعا عن هذا الرجل فللرجل انصار العالم نصرة له . ولكن موضع الانصاف حدا بى لهذا كله .

ابو تمام ورجال الحكم :

لم يكن ابو تمام ذلك الرجل الشاعر فحسب بل كان رجلا مرغوبا فيه يسعى ذو الجاه والسلطة للتقرب منه لما يفيض به من عقل صائب وفكر ثاقب واطلاع واسع وكرم نفس وشرف كرم . ومن رجالات الحكم في ذلك الوقت الحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات فمن مخالطاته مع الحسن بن وهب ما حدثنا به الصولي في كتابه اخبار ابي تمام قال : وجه الحسن بن وهب الى ابي تمام وهو بالموصل خلعة فيها خز . ووشى فامتدحه ووصف الخلعة في قصيدة اولها :

---

(١١) التخريق : التمزيق .

ابــو علـــي وســـــمى منتجعــه

فاحلل باعلـــى واديـــه او جرعـــه

ثم وصف الخلعة فقال :

وقــد اتانــى الرســول بالملبس الفخــم لصيف امرىء ومرتبعه

لوأنهــا جللــت اويســا لقــد

اســرعت الكبريــاء في ورعــه

رائــق خــز أجيــد ســائره

ســكب تديــن الصــبا المدرعــه

وسر وشى كأن شعري احسيانا نسيب العيون من بدعه هذا ولم تكن الصلة بنهما متصلة في الهدايا فقط بل جاوزت هذا الحد ووصلت الى ادب مكشوف • كما ذكر ذلك الصولي قال : كان ابو تمام يعشق غلاما خزريا كان للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق غلاما كان لابي تمام روميا ، فرآه ابو تمام يوما يعبث بغلامه فقال : والله لئن اعنقت الى الروم لنركضن الى الخزر • فقال ابن وهب : لو شئت لحكمتنا واحتكمت ، فقال له ابو تمام: انا اشبهك بداود وأشبهني بخصمه • فقال الحسن : لو كان هذا منظوما خفناه فأما منثورا فهو عارض لا حقيقة له ، فقال ابو تمام •

ابــا علــي لصــرف الدهــر والغير

وللحــوادث والايــام والعبــر

اذكرتنــي أمــر داود وكنــت فتــى

مصــرف القلــب في الاهــواء والذكــر

اعنــدك الشــمس لم يخــط الغيب بهــا

وانت مضطــرب الاحشــاء بالقمــر

ان أنت لــم تتــرك الســير الحثيث الى

حــآذر الــروم اعنقنــا الى الخــزر

واما علاقته بمحمد بن عبد الملك الزيات فقد قال الصولي : كان الحسن بن وهب يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات وهو يزر للواثق وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وابي تمام في علامهما فتقدم الى بعض ولده ، وكان يجلسون عند الحسن بن وهب ان يعلموه خبرهما وما كان منهما ، قالا : فعزم غلام ابي تمام على الحجامه فكتب الى الحسن يسلمه بذلك ويسأله التوجيه اليه بنبيذ ، فوجه اليه بمائة دن ومائة دينار وخلعة وبخور وكتب :

ليت شعري يا املح الناس عندي
هل تداويت بالحجامة بعدي ؟

دفع الله عنك لي كل سوء
باكر رائح وان خنت عهدي .

ووضع الرقعة تحت مصلاه ، وبلغ محمد بن عبدالملك خبر الرقعة ، فوجه الى الحسن فشغله بشيء من أمره ، ثم أمر من جاء بالقعة فلما قرأها كتب فيها على لسان ابي تمام .

ليت شعري عن ليت شعرك هذا
ابهزل تقوله ام بجد
فلئن كنت في المقال محقا
يا ابن وهب لقد تطرفت بعدي

الخ ...

ثم قال : ضعوا الرقعة مكانها ، فلما قرأها الحسن قال : انا لله ، افتضحنا والله عند الوزير . واعلم ابا تمام بما كان ، ووجه اليه بالرقعة ، فلقيا محمد بن عبد الملك وقالا له : انما جعلنا هذين سببا لنكابتنا بالاشعار ، فقال : ومن يظن بكما غير هذا؟ فكان قوله اشد عليهما .

ابو تمام مع آل طاهر بن الحسين :

كان الشعراء يطوفون البلاد ويتتبعون الامراء لينشدوهم شعرهم فيستفيدوا فائدتين على ما يظهر لي ، اولاهما الحصول على الدايا وثانيهما الدعاية لا نفسهم . فمن ذلك ما حدثنا به الصولي عن ابي العيناء عن علي بن محمد الجرجاني الذي قال : اجتمعنا بباب عبدالله بن طاهر(١٢) من بين شاعر وزائر ومعنا ابو تمام ، فحجبنا أياما فكتب اليه ابو تمام :

ايهــذا العزيــز قــد مســنا العــز
جميعــنــا واهلنــــا اشــتات
ولنــا في الرحــال ششــيخ كبــير
ولدينـــا بضاعــة مزجـــاة
قــل طلابهـــا فاصـخت حســـارا
فتجـــار اتنابهـــا ترهـــات

فاحتسب اجرنا وأوف لنا الكيسل وصدق فاننا اموات فضحك عبدالله لما قرأ الشعر ، فإن القرآن اجل من ان يستعار شيء من الفاظه للشعر ووجد عليه .

اقول ان الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد(١٣) قداور هذه القصة وهي فيه عن ابي دلف العجلي مع جماعة من الشعراء .

ويظهر من هذه القصة ان ابا تمام لم يرق له البقاء في خراسان لبردها وعدم معرفة لغة اهلها ويؤيد هذا ما ذكره الصولي الذي قال : لما صار ابو تمام الى خراسان لمدح عبدالله بن طاهر كرهها واقبل الشتاء فاشتد عليه امر البرد فقال يذم الشتاء ويمدح الصيف .

---

(١٢) كان واليا على خراسان
(١٣) ج : ١٢ ص ٤٢١ المصدر السابق .

لـــم يبـــق للصـــيف لارســـم ولا طلل

ولا قشـــــيب فيســـتكس ولا ســـــحل

عـــدلا من الدمـــع ان يبكى المصـــيف كمـــا

يبكـــــى الشـــباب ويبكى اللهـــو والغـــزل

يمنـــى الزمـــان طـــوت معروفهـــــا وغـــدت

يســـــراه وهي لنـــا مـــــن بعـــده بـــــدل

وهي قصيدة سنذكرها في شعره ، فبلغ شعره عبدالله بن طاهر فعجل جائزتـــه وصـــرفه .

ابو تمام مع ابي سعيد الثغري الطائي :

هنا تتجلى وشائج الدم وتتضح اواصر القربى فبفيض اللسان الـــذي هو ترجمان القلب ويحدثنا بهذه الصلة احد انصاره هو الصولي في كتابـــه اخبار ابي تمام فيقول : حدثني البحتري قال : ابو سعيد الثغري طائى مـــن اهل « ترو » وكان من قواد حميد الطوسى ومن اول شعر مدحه بـــه ابـــو تمـــام قولـــه :

مـــــن ســـــجايا الطلـــــول الا تجيبـــــا

فصـــــواب مـــن مقلتـــــى ان تصـــــوبا

قال : وما اخذ أبو تمام من احد كما أخذ منه، ليس انه كان يكثر لـــه ولكن كان يديم ما يعطيه .

وكان ابو سعيد هذا يتحدث بكل افتخار عن ابي تمام ويطلع جلساتـــه على المراسلات التي بينه وبين ابي تمام فقد ذكر الصولي قال : دخلت على ابي سعيد الثغري فاخرج لى كتابا من ابي تمام ففتحه فاذا فيه .

اني أشـــتى مـــن لدنـــك صحيفـــــة

غلبـــت همـــوم الصـــدر وهـــي غوالـــب

وطلبـــت ودى والتفائـــف بينـــــا

فنـــداك مطلـــوب ومجـــدك طالـــب

ثم قال لى : كتبت الى ابي تمام كتابا وقرنته ببر لـه فجعل جوابـــه هذا الشعر ولم يخاطبنى بحرف ســواه •

ابي تمام والخليفة العباسي المستعين بالله •

المستعين بالله العباسي تولى الخلافة في سامراء من سنة ٢٤٨ ـ ٢٥١ وخلال توليه الخلافة قصده ابو تمام ومدحه لينال نواله وجوائزه ويحدثنا عن هذه القصيدة الصولي في كتابه اخبار ابي تمام حيث قال : شهدت ابا تمام ينشد احمد بن المعتصم ـ المستعين بالله ـ قصيدته التي مدحه بها •

مـــا في وقوفـك ســـاعة مـــن باس
تقضـــى ذمـــام الاربـــع الادراس
فلعـــل عينـــك ان تعـــين بمائهـــا
والدمـــع منـــه خـــاذل ومـــواس

كرم ابي تمـام :

يحدثنا التاريخ من ان اغلب الشعراء يميلون الى البخل والتقتير • فهذا المتنبي والكل يعرف بخله وهذا البحتري وسنأتي ترجمته التي سيبان للقارىء بين تضاعيقها مقدار بخله وغيرهما كثيرون الا ان صاحبنا ابا تمام لم يكـن [illegible] يحدثنا بذلك الصولي حيث يقول : قدم على ابي تمام رجل من اخوانه ، وكان قد بلغه انه قد افاد وثرى ، فجاءه يستميحه ، فقال له ابو

تمام : لو جمعت ما آخذ ما احجت الى احد، ولكن آخذ وأنفق ، وسأحتال لك ، فكتب الى ابي سعيد الثغري بقصيدة منها •

لازلت من شكري في حلة
لابسها في سلب فاخر
يقول من تقرع اسماعه
كم ترك الاول للاخر
لي صاحب قد كان لي مؤنسا
ومألفا في الزمن الغابر
تحمل منه العيس اعجوبة
تجدد السخري للساخر
ذا ثروة يطلب من سائل
ومعخما يأخذ من شاعر
فصادفت مالي باقباله
منية من امل عاثر
فشارك المقمور فيه ولا
تكن شريك الرجل القامر
فرفدك الزائر مجد ولا
كرفدك الزائر الزائر

فوجه لابي تمام بثلاثمائة دينار وللزائر بمائتي دينار قال : فاعطاه ابو تمام خمسين دينارا حتى شطره •

هذا وقد مر بك كيف انه كتب قصيدة لأخيه كما ينال ما يطمع ويطمح اليه ثم سيأتي لك موقفه مع البحتري وكيف انه كتب الى اهل معرة النعمان يطلب اليهم مد يد المساعدة اليه وما هي انطباعات البحتري في هذا الفضل الذي غمره فيه صاحبنا ابو تمام ؟

ابو تمام ومخلد بن بكار الموصلي :

مر بنا في البحث السابق ان لابي تمام خصوما واعداه تقولوا عليه ما تقولوا وقد شرحنا ذلك بما وقفنا عليه •

والان في بحثنا هذا نقف امام شاشة جديدة من معارض اخبار ابي تمام للصولي فننظر من كونها الجميلة الى ما يحدثنا به فيقول : حدثني بدر غلام مخلد قال : دخل ابو تمام الحمام ومخلد فيه ، واذا عليه شعر كثير ، كأنه قد ألبس مسحا ، فقال له ابو تمام : ما هذا ؟ ! قال : حذرا من لسانك ان ينسبني الى البغاء •

كما حدث بانه قد لاقيل لابي تمام : قد هجاك مخلد ، فلو هجوته ؟ قال : الهجاء يرفع منه ، قيل : اليس هو شاعرا ؟ قال : لو كان شاعرا ما كان من الموصل • يعنى ان الموصل لم تخرج شاعرا • قال ابو سليمان : واصل مخلد من الرحبة ثم اقام بالموصل •

واليك نماذج من الاشعار التي هجا فيها مخلد ابا تمام •

انت عندي عربي الاصل ما فيك كلام
عربي عربي
أجاي ما ترام
شعر فخذيك وساقيك خزامى وتمام
وضلوع الشلو من صدريك نبع وبشام
وقذى عينيك صمغ
ونواصيك ثغام

لو تحركت كذا لانسجفلت منك نعام
وظباء مخصبات
ويرابيع عظام
الا ماذني ان خالفني
فيك الانام ؟
وأتت معك سجايا
نبطيات لئام
وقفا يحلف أن ما
عرقت فيك الكرام
ثم قالوا : جاسمي
من بن الانباط خام
كذبوا ما انت الا
عربي ماتضام
بينه مابين سلمى
وحواليه سلام
واه من ارث آباء
قسي وسهام
ونخيل باسقات
قد دلا منها صرام
انت عندي عربي
عربي والسلام

ومنهـا :

يـا نبى الله فـي لشعر ويـا عيسى بـن مريم
انـت مـن اشـعر خلـق الله ما لـم تتكلـم

ومنهـا :

انظـر اليـه والـى خبتـه
كيف تطايـا وهـو منشـور
ثـم علـى طـاق شحيت القـوى
نسـبته واللـؤم مضـفور
ويلك مـن دلاك فـي نسـبة
قلبـك منهـا الدهـر مذعـور
لـو ذكـرت طـاء على فرسـخ
اظلـم فـي ناظـرك النـور

هذا وكان ابو تمام لا يجيب هاجيا له لانه كان لايراه نظيرا ولا يشتغل به ، ويؤيد هذا ما ذكره الصولي بقوله : حدثني ابي قال : قلت لابي تمام : ويحك قد فضحنا هذا الموصلي بهجائك فأجبه ، قال : ان جوابي يرفع منه ، واستدر به سبه ، واذا امسكت عنه سكتت شقشقته ، وما في فضل مع هذا عن مدح من أجتديه .

وليس مخلد بن بكار الموصلي لوحده هو الذي هجا ابا تمام فقد ذكر الصولي ان هجا ابا تمام من هو اشعر من مخلد حيث يقول : عزم ابو تمـام على الانحدار الى البصرة والاهواز لمدح من بها ، فبلغ ذلك عبدالصمد بـن المعذل فكتب اليـه(١٤) .

(١٤) وردت القصة في وفيات الاعيان لابن خلكان ج : ا في ترجمة ابي تمام .

انت بين اثنين تغدو مع الناس
وكلتاهما بوجه مذال

لست تنفك طالبا لوصال
من حبيب او طالبا لنوال

اى ماء لماء وجهك يبقى
بعد ذل الهوى وذل السؤال ؟

فلما قرأ الشعر قال : قد شغل هذا ما يليه ، فلا ارب لنا فيه ، واضرب عن عزمه .

وورد في وفيات الاعيان لابن خلكان ان « ابن المعذل لما قال هذه الابيات في ابي تمام كتبها ودفعها الى ورا كان هو وابو تمام يجلسان اليه ولا يعرف احدهما الاخر وأمر ان تدفع الى ابي تمام ، فلما وافى ابو تمام وقرأها قلبها وكتب :

افي تنظم قول الزور والفند
وانت انقص من لاشيء في العدد

اشرجت قلبك من غيظ على حنق
كأنها حركات الروح في الجسد

اقدمت ويلك من هجوى على خطر
كالعير يقدم من خوف على الاسد

كما قد قال الصولي باني وجدت في كتبي : وقال الوليد يهجو ابا تمام ، وهي قصيدة اخترت منها :

دع الهجاء فان الله حرمه
واقصد الى الحق ان الحق متسع

واذكـــر حبيب بن اوشـــونا ودعوتـــه
فـــان طيـــا اذا ســـبوابه جزعـــوا

ان يقبلـــوك ابـــا النقصـــان يحتقبـــوا
عـــارا وتخفض منهـــم كل مارفعـــوا

لـــو ان عبـــد منـــاف في ارومتهـــم
تقبلـــوك لمـــا ضـــروا ولا نفعـــوا

وان نفـــوك كمـــا ينفـــون كلبهـــم
عـــن الصـــميم اصـــابو الحـــق وانتفعوا

ان يرفعـــوا بـــك خرقـــا في اديمهـــم
قـــال العبـــاد : جميعـــا بئسما رفعـــوا

مربـــاع قومـــك ناقـــوس وشـــمعلة
فاذكـــر مرابيعهـــم فيهـــا اذا ارتبعـــوا

ولـــو تنـــاط بطـــي كـــل فخريـــة
لكنت اخـــزى لهـــم منهـــا اذا اجتمعـــوا

انى هجوتـــك عـــن علـــم ومعرفـــة
بـــأن شـــعرك قـــد اورى بـــه الفـــزع

مجموعة اقوال منقولة :

الرجل العظيم يكون دائما هدفا للرمى والطعن والدافع الى ذلك اسباب عديدا لايكاد الباحث ان يلم بها ولكنها ظاهرة في بعض الأوقات والاقـــوال مستترة في مكان ثان •

ونريد في هذا الموضوع ان نسطر الاقوال واصحابها المنقولة عن صاحبنا ابي تمام الذي بز جميع اقرانه في ميادين المعالى والغوص عليها •

ويحدثنا بهذه الاقاويل المعتز به يحى الصولي في كتابه اخبار ابي تمام فيقول : سمعت ابا العنبس يقول وكان جارا لى : راسل ابو تمام ام البحتري في التزويج بها فأجابته وقالت له : اجمع الناس للاملاك ، فقال : الله اجل من ان يذكر بيننا ، ولكن فتماسح وتتسافح ، فكان معها بلا نكاح .

وهذا انما كذبه ابو العنبس واحتذى به حديثا حدثه به الكديمى عن الاصمعى قال : جاء اسود وسوداء الى ابي مهدية فقالا له : قد اردنا التزويج فخطب لنا ، فقال : ان الله اجل من ان يذكر بينكما ، فاذهبا فاصطكا لعنكما الله .

وقال قوم : هو حبيب بن تدوس النصرانى فغير فصير اوسا وقال : حدثنى ابن ابي خيثمه قال :ـ سمعت دعبلا يقول : لم يكن ابو تمام شاعرا انما كان خطيبا وشعره بالكلام اشبه منه بالشعر ، قال : وكان يسيل عليه ، ولم يدخله في كتابه « كتاب الشعراء » .

ابو تمام وابو دلف العجيلي

ابو دلف قائد عربي مشهور من قواد المأمون والمعتصم والمتوكل وله في سامراء جامع مشهور معروف باسمه يشبه جامع الملوية والمئذنه كمئذنته وقد قصده ابو تمام(١٥) « ومدحه بقصيدته البائية المشهورة التي اولها » .

على مثلهـا من اربـع وملاعـب
اذيلـت مصـونات الدمـوع السـواكب

استحسنها واعطاه خمسين الف درهم ، وقال له : والله انها لدون شعرك ثم قال له : والله ما مثل هذا القول في الحسن الا مارتبت به محمد بن حميد

(١٥) وفيات الاعيان ج : ١ ص ٣٣٦ .

الطوسي ، فقال له ابو تمام : واي ذلك اراد الامير ؟ قال : قصيدتك الرائية التي اولهـــا :

كــذا فليجـل الخطــب وليفـدح الامـــر
فليس لعـين لـــم يفض مـــاؤها عـــذر

وددت والله انها لك في ، فقال : بل افدى الامير بنفسي واهلي واكون المقدم قبله ، فقال : انه لم يمت من رثى بهذا الشعر(١٦) .

هذا وقد توسع بعض الادباء في هذه المرتب وصوروا ان احدهم قد رأى ابا تمام في المنام فخبره بان هذه مطلع القصيدة لم يكن كذا فليجل الخطب بل ان اولهـا .

حـــرام لعـين ان تجـــف لهـــا شـــفر
وان تطعـــم التغميض ما امتـــع الدهـــر

ويحدثنا بهذا الصولي(١٧) في كتابه اخبار ابي تمام حيث يقول : حدثني احمد بن موسى قال : اخبرني ابو الغمر الانصاري عن عمرو بن ابي قطيفة قال : رأيت ابا تمام في النوم فقلت له : لم ابتدأت بقولك :

« كذا فليجل الخطب وليفدح الامر » .

فقال لي : ترك الناس بيتا قبل هذا ، انما قلت :

حـــرام لعـين ان تجـــف لهـــا شـــفر
وان تطعـــم التغميض ما امتـــع الدهـــر
كـــذا فليجـل ....

---

(١٦) وردت الحكاية في اخبار ابي تمام بهذا المعنى وان كان اللفظ يختلف بزيادات لفظية .

(١٧) اخبار ابي تمام الصولي ص ٢٦٥ ط : ١٩٣٧ م : التأليف والترجمـــة والنشـــر بمصـــر .

ويؤيد هذا ان القصيدة في شرح الخطيب التبريزي(١٨) مبدوءة بالبيتين :

حرام لعين أن تجف لها شفر
وان تطعم التغميض ما امتع الدهر

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ولم يكن توسعهم في هذه القصيدة فقدتو سعوا في قضية تعينه لولاية الموصل ، ونسجوا مانسجوا حولها ويحدثنا بذلك ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان(١٩) حيث يقول : واخباره كثيرة ، ورأيت الناس يطبقون على انه مدح الخليفة بقصيدته السينيه فلما انتهى فيها الى قوله :

أقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم احنف في ذكاء اياس

قال له الوزير : أتشبه امير المؤمنين باجلاف العرب ؟ ، فاطرق ساعة ثم رفع رأسه ، وانشد يقول :

لاتنكروا ضربي له من دونه
مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

فقال الوزير للخليفة : اي شيء طلبه فاعطه ، فانه لا يعيش اكثر من اربعين يوما ، لانه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة ، وصاحب هذا

(١٨) حاشية اخبار ابي تمام للصولي ص ٢٦٥ ط ١٩٣٧م لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر

(١٩) ج ١ ص ٣٢٧ تحقيق محمد عبدالحميد

لايعيش الا هذا القدر ، فقال له الخليفة ، ما تشتهما ؟ قال : أريد الموصل ، فاعطاه اياها ، فتوجه اليها ، وبقى هذه المدة ومات وهـذه القصة لا صحة لهـا اصـلا .

وقد ذكـر ابو بكر الصـولي في كتاب « اخبار ابي تمام » انه لما انشد هذه القصيدة لاحمد بن المعتصم ، وانتهى الى قوله « اقـدام عمرو ـ البيت المذكور » قال له ابو يوسف يعقوب بن الصباح الكندى الفيلسوف ، وكان حاضرا : الامير فوق من وصفت ، فاطـرق قليلا ، ثـم زاد البيتين الاخيرين ، ولما اخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين ، فعجبوا من سرعته وفطنته ولما خرج قال ابو يوسف ، وكان فيلسوف العرب : هـذا الفتى يموت قريبا . ثم قال بعد ذلك : وقد روى هذا على خلاف ما ذكرته ، وليس بشيء والصحيح هو هـذا .

لماذا ذهب ابو تمام الى الموصل :

اجمعت كتب التاريخ والادب ان ابا تمام قد ذهب الى الموصل متقلدا عملا من اعمال الخلافة يومذاك فهل ان عمله كان ولاية ام عملا آخر ومن اين قد تأتت هذه الحكاية التي يرويها الصولي وغيره . من الادباء .

وللاجابة على هذا السؤال نساير ركب ابن خلكان في كتابه وفياة الاعيان فهو يحدثنا بالحقيقة وبالجواب الشافي فيقول : وقد تتبعتها وحققت صورة ولايته الموصل ، فلم اجد سوى ان الحسن بن وهب ولاه بريد الموصل فأقام بها اقل من سنتين ثم مات بها ، والذي يدل على ان القصة ليست صحيحـة ان هذه القصيدة ما هي في احد من الخلفاء ، بل مدح بها احمد بن المعتصم وقيل : احمد بن المأمون ، ولم يل واحد منهما الخلافة « والحيص بيص » ذكر في رقاعة السبع اللاتي كتبها الى الامام المسترشد يطلب منه « بعقوبـا » ان الموصل كانت اجازه لشاعر طائي ، فاما انه بنى الامر على ما قاله الناس

من غير تحقيق ، او قصد أن يجعل هذا ذريعة لحصول « بعقوبا » له • والله اعلم ، وتابعه في الغلط ابن وحبة في كتاب « النبراس » •

وذكر الصولي : أن ابا تمام لما مدح محمد بن عبدالملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها قوله :

ديمة سمحة القياد سكوب
مستغيث بها الثرى المكروب
لو سعت بقعة لاعظام اخرى
لسعى نحوها المكان الجديب

قال له ابن الزيات : يا ابا تمام ، انه لتحلى شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ، مايزيد حسنا على بهى الجواهر ، في اجيد الكواعب ، وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة الا ويقصر عن شعرك في الموازاة •

وكان يحضره فيلسوف ، فقال له : رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنه مع لطافة الحسن وجودة الخاطر ما علمت به ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده ، وكذا كان ، لانه مات وقد ينف على ثلاثين سنة •

قلت : وهذا يخالف ما سيأتي من تاريخ مولده ووفاته ، بعد هذا ، ان شاء الله تعالى •

نظرة عامة عن ابي تمام :

لا اريد ان اميل في هذا البحث بين انصار ابي تمام ومعاديه بل اجد محاولا نقل ماكتب عنه قديما وحديثا • واقتطف قسما من رسالة الصولي الى مزاحم بن فاتك(٢٠) الذي يقول : فابك جاريتني آخر عهد التقائنا فيما افضنا فيه

(٢٠) رسالة الصولي في مقدمة كتاب اخبار ابي تمام للصولي : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦ ـ ١٩٣٧ القاهرة •

من العلوم أمر ابي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وعجبت من افتراق آراء الناس فيه ، حتى ترى اكثرهم والمقدم في علم الشعر وتمييز الكلام منهم ، والكامل من اهل النظم والنثر فيهم ، يوفيه حقه في المدح ، ويعطيه من الرتبه ، ثم يكبر باحسانه في عينه ، ويقوى بابداعه في نفسه ، حتى يلحقه بعضهم بمن يتقدمه ، ويفرط بعض فيجعله نسيج وحده وسابقا لا مساوي له .

وترى بعد ذلك قوما يعيبونه ويطعنون في كثير من شعره ويسندون ذلك الى بعض العلماء ، ويقولونه بالتقليد والادعاء ، اذ لم يصح فيه دليل ولا اجابتهم اليه حجة ، ورأيت مع ذلك الصنفين جميعا ، وما يتضمن احد منهم القيام بشعره ، والتبيين لمراده ، بل لا يجسر على انشاد قصيدة واحدة له ، اذ كانت تهجم ـ لابد ـ به على خبر لم يرده ، ومثل لم يسمعه ، ومعنى لم يعرف مثله . فعرفتك ان السبب كما ذكرت وتضمنت شرح ماوصفته حتى لايعارضك شك فيه ، ولا يخامرك ريب منه .

ونختم خاتمة المطاف باكتبه ابو فرج الاصفهاني في كتابه الاغاني (٢١) حيث يقول : « وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف ، واقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه ويطودن محاسنه ويستعملون القحه والمكابرة في ذلك ليقول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه الا بأدب فضل وعلم ثاقب ، وهذا مما يتكسب به كثير من اهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سببا للترفع وطلبا للرياسه . وليست اساءة من اساء في القليل واحسن في الكثير مسقطة احسانه ولو كثرت اساءته ايضا ثم احسن لم يقل له عند الاحسان اساءت ولا عند الصواب اخطأت ، والتوسط في كل شيء اجمل ، والحق احق ان يتبع وقد فضل ابا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون

---

(٢١) من حاشية اخبار ابي تمام ص ١ ، ٢

عليه غباره ، ولا يدركون وان جدوا آثاره وما رأى الناس بعده الى حيث انتهوا اليه في جده نظيرا ولا شكلا ، ولولا ان الرواة قد اكثروا في الاحتجاج له وعليه ، واكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره ، وافرط معاوده في التسطير لرويئه والتنبيه على رذله ودنيئه لذكرت منه طرفا هذا ماكتب عنه قديما .

اما ماكتب عنه حديثا فنقتطف قسما من المقدمة التي كتبها العلامة الاستاذ احمد أمين على كتاب اخبار ابي تمام للصولي فقد قال : والكتاب قيم من ناحية انه يجلى لنا بعض نواح لابي تمام لم نعرفها فيما قرأنا في غيره من الكتب ، ومؤلفه الصولي ثقة فيما يرديه قريب عهد بأبي تمام ، له بصر بالادب ، وذوق جيد في التقدير ... ذلك ان ابا تمام خرج على الناس بنوع جديد من الشعر اخرجه من رأسه لا من قلبه ، فهو يغوص على المعاني العقلية غوصا ، ثم يرفعها الى السماء ويعسل فيها خياله البعيد ، ويختار لها الالفاظ ، ويعنى ببديعها وجفاسها ، فتم له من معانيه العميقة الى القاع وخياله المرتفع الى السماء ، والفاظه المتجانسة المزدقه ، نوع جديد من الشعر لم يسبق اليه ، نعم ان كل جزئية من هذه الجزئيات قد سبق اليها ، فقد سبقه مسلم بن الوليد بكثرة البديع والجناس في شعره ، وسبقه ابو نواس وبشار بكثرة المعاني وغزارتها ، ولكن كل هذه الجزئيات ـ مبالغا فيها ـ لم تجتمع لاحد قبل ما اجتمعت لابي تمام . وشأن الجديد في كل عصر ، وفي كل عالم وفن ، ان يثير جدلا ، وان يقسم الناس الى معسكرين : معسكر ينصره ، ومعسكر يخذله ، وان يشتد القتال بين المعسكرين .

وكذلك كان الحال في ابي تمام : فقد أتى بجديد فتنازع العلماء والادباء فيه ، فأما من تعصب للقديم كابن الاعرابي ، فكر هوا ابا تمام وكر هوا ما جاء به من شعر جديد ، وقالوا : انه خرج عن عمود الشعر المعروف واما من مرن ذوقه وعقله ولم يتقيد بقديم ، فقد اعجب بأبى تمام ايما اعجاب ، وخاصة

من تفلسف ذوقه وعمق فكره وبعد خياله واستطاع ان يفهمه • لان ابا تمام كان يغوص في القلب او يرتفع حتى لايدركه الا الخاصة •

« نمـاذج من شعره »

مرت بك ايها القارىء تنف قليلة من اشعار أبي تمام والان نحاول في هذا الفصل ان نذكر قسما آخر من اشعاره وقصائده التي شرقت وغربت محاولين جهد الامكان ذكر السبب الذي انشدت من اجله القصيدة •

١ ـ لله دره :

ذكر الصولي في كتابه اخبار ابي تمام قال : قدم عمارة بن عقيل(٢٢) بغداد فاجتمع الناس اليه وكتبوا شعره وسمعوا منه ، وعرضوا عليه الاشعار فقال له بعضهم : ها هنا شاعر يزعم قوم انه اشعر الناس طرا ويزعم غيرهم ضد ذلك فقال انشدوني لـه فانشدوه :

غـدت تستجير الدمـع خـوف نوى غـد
وعـاد فقـادا عندهـا كل مرقـد
وانقذهـا من غمـرة المـوت أنـه
صـدود فـراق لا صـدود تعمـد
فاجـرى لهـا الاشفاق دمعا مـوردا
مـن الـدم يجـرى فـوق خـد مـورد
هـي البـدر يغنيهـا تـودد وجههـا
الـى كل مـن لاقت وان لـم تـودد

---

(٢٢) « عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطيه بن الخطفي ويكنى ابا عقيل شاعر متقدم فصيح وكان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون صلته ويمدح قوادهم . وكان النحويون بالبصرة ياخذون عنه اللغة اهـ حاشية اخبار ابو اتمام للصولي ص ٥٩ .

ثم قطع المنشد ، فقال عماره : زدنا من هذا فوصل وقال :

ولكنني لم احو وفرا مجمعا
ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعطنى الايام نوما مسكنا
الذ به الا بنوم مشرد

فقال عمارة : لله دره ، لقد تقدم صاحبكم في هذا المعنى جميع من سبقه على كثرة القول فيه ، حتى لحبب الاغتراب ، هبه ! فأنشده :

وطول مقام المرء في الحى مخلق
لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة
الى الناس اذ لبست عليهم بسرمد

فقال عمارة ، كمل والله ، ان كان الشعر بجودة اللفظ ، حسن المعاني واطراد المراد ، واستواء الكلام ، فصاحبكم هذا اشعر الناس ، وان كان بغيره فلا ادري !

٢ ـ المستطرد أو الاستطراد :

قال الصولي : حدثني ابو الحسن علي بن محمد الانباري قال سمعت البحتري يقول : انشدني ابو تمام لنفسه :

وسابح هطل التعداء هتان
على الجراء أمين غير خوان

اظمى الفصوص ولم نظمأ قوائمه
فخل عينيك في ظمآن ريان

فلو تـــراه مشـــيحا والحصـــى زيـــم
بـــين الســـنابك مـــن مثـــى ووحـــدان

ايقنـــت ـ ان لـــم تثبـــت ـ ان حافـــره
من صخر تدمر او مـــنِ وجـــه عثمـــان

ثم قال لى : ما هذا من الشعر ؟ قلت : لا ادرى ، قال : هـذا المستطرد او قال الاستطراد ، قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يرى انه يريد وصف الفرس ، وهـو يريد هجـاء عثمان •

٣ ـ لقد عصفت رائية طائيكم هذا بكل شعر في لحنها :

قال القاسم بن حلاد : انصرفت يوما من عند ابن ابي دؤاد ، فدخلت الى محمد بن منصور فوجدت عنده عمارة ابن عقيل ، وكان خلا له ، وهو ينشده قصيدة له في الواثق اولهـا :

عـــرف الديـــار رســـومها قفـــر
لعبـــت بهـــا الارواح والقطـــر

فلما فرغ منها قلنا له : ما سمعنا احسن من هذه الرائيه ، احسن الله اليك يا ابا عقيل ! فقال : والله لقد عصفت رائية طائيكم هذا بكل شـعر في لحنها ، قلنا له : وما هي ؟ قال : كلمته التي هجا بها الافشين ، فقال محمد بن يحى بن الجهم : انا احفظها ، فقال هاتها فانشده :

الحـــق ابلـــج والســـيوف عـــوار
فحـــذار من اســـد العريـــن حـــذار

فقال له عمارة : انشدنا ذكر النار ، فانشـد :

مازال ســـر الكفـــر بـــين ضلوعـــه
حتى اصـــطلى ســـر الزنـــاد الـــوارى

فارا يساور جسمه من حرها
تهب كما عصفرت نصف ازار

طارت لها شعل بهدم لفحها
اركانه هدما بغير غبار

ففصلن منه كل مجمع مفصل
وفعلن فاقرة بكل فقار

رفعوا اعالى جذعه فكانما
وجدا الهلال عشية الافطار

ثم ذكر المصلبين فقال :

سود اللباد كأنما نسجت لهم
ايدى الشموس مدارعا من قار

بكردا واسروا في متون ضوامر
قيدت لهم من مربط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم
ابدا على سفر من الاسفار

جهلوا فلم يستكثروا من طاعة
معروفة بعمارة الاعمار(٢٣)

٤ ـ اتقول هذا لمن يقول ويقول ويقول :

حدث عبدالله بن المعتز(٢٤) قال : كان ابراهيم بن المدبر يتعصب على

---

(٢٣) اخبار ابي تمام للصولي ص ٩٤ و٩٥ و٩٦ بتصرف .
(٢٤) اخبار ابي تمام للصولي ص ٩٧ ـ و٩٨ و٩٩ .

ابي تمام ويحطه عن رتبته ، فلا حاني فيه يوما فقلت له : اتقول هذا لمن يقول :

غـــدا الشـــيب مختطا بفـــودى خطـة
سـبيل الردى منهـــا الى المـــوت مهيـع

هـــو الزدر يجفـــى والمعاشـــر يجـوى
وذد الالف يقلـــى والجديـــد يرقـــع

لـــه منظـــر في العين ابيـــض ناصـــع
ولكنـــه في القلـــب اســـودا ســـفح

ولمـــن يقـــول :

فـــان تـــرم عـــن عمـــر تدانى بـــه المدى
فخانـــك حتـــى لـــم يجـــد منـــك منزعـــا

فمـــا كنـــت الا الســـيف لافي ضريبـــة
فقطعهـــا ثـــم انثنـــى فتقطعـــا

ولمـــن يقـــول :

خشـــعوا لصـــولتك التي هـــي عندهـــم
كالمـــوت يأتيـــى ليس فيـــه عـــار

فالمشـــى همس والنـــداء اشـــارة
خـــوف انتقامـــك والحديـــث ســـرار

ايامنـــا مصـــقولة اطرافهـــا
بـــك والليـــالى كلهـــا أســـحار

تنـــدى عفاتـــك للعفـــاة وتفتـــدى
رفقـــا الـــى زدارك الـــزدار

٥ ـ هذا لابي تمام :

حدث علي بن اسماعيل(٢٥) قال : كنت عند البحتري فانشدته وهو كالمفكر :

احلى الرجال من النساء مواقعا
من كان اشبههم بهن خدودا
فاطلب هدوءا في التقلقل واستثر
بالعيس من تحت السهاد هجودا
من كل معطية على علل السرى
وخدا يبيت النوم فيه شريدا
طلبت ربيعة المهى(٢٦) لنا
ووردن ظل ربيعة المحدودا
ذهليها مريها مطربها
يمنى يديها خالد بن يزيدا
نسب كأن عليه من شمس الضحى
نورا ومن فلق الصباح عمودا
عريان لايكبو دليل من عمى
فيه ولا يبغي عليه شهودا
شرف على اولى الزمان وانما
خلق المناسب ان يكون جديدا

---

(٢٥) اخبار ابي تمام للصولي ص١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ .
(٢٦) المهى : الكثير الماء . شرح التبريزي .

مطـــر ابـــوك ابـــو اهلـــة وائـــل
مـــلأ البســـيطة عـــدة وعديـــدا

ورثـــوا الابنـــوة والحظوظ فأصـــبحوا
جمعـــوا جـــدودا في العـــلا وجـــدودا

ان القـــوافي والمســـاعي لـــم تـــزل
مثـــل النظـــام اذا أصـــاب فريـــدا

هـــي جوهـــر نثـــر فـــأن الفتـــه
بالنظـــم صـــار فلائـــدا وعقـــودا

فقال ما هذا ؟ وهو فزع فقلت له : الا تعرفه ؟ هذا لابي تمام فقال : اذ كرتني والله وسررتني ، لايحسن هذا الاحسان احد غيره .

٦ ـ يا يوم عمورية :

هذه القصيدة التي مدح بها المعتصم بالله وقد اعتبرها الادباء من احسن القصائد التي قيلت في المدح وقد سطرتها كتب الادب وانا اذ ننقلها اليـك فننقل قسما منها . وهذا القسم ما كان يتجاذب به الادباء في سمرهـــم . واليك ذلك .

الســـيف اصـــدق انبـاء مـــن الكتـــب
في حـــده الحـــد بين الجـد واللعـــب

تســـعون الفـــا كأســـا والشرى نضجت
اعمارهـــم قبـــل نضـــج التين والعنب

فتـــح الفتـــوح تعالـــى ان يحيـــط بـــه
نظـــم مـــن الشـــعر او نثر مـــن الخطـــب

فتح تفتح ابواب السماء له
وتبرز الارض في ابرادها القشب

يا يوم وقعة عمورية انصرفت
عنك المنى حفلا معسولة الحلب

ابقيت جد بني الاسلام في صعد
والشركين ودار الشرك في صبب

أم لهم لورجوا ان تفتدى جعلوا
فداءها كل ام منهم واب

وبرزة الوجه قد اعيت رياضتها
كسرى وصدت صدودا عن ابي كرب

من عهد اسكندرا وقبل ذلك قد
شابت نواحى الليالى وهي لم تشب

بكر فما افترعنها كيف حادثه
ولا ترقت اليها همة النوب

جرى الفأل برحا يوم انقرة
اذ غودرت وحشة الساحات والرحب

لما رأت أختها بالامس قد خربت
كان الخراب لها اعدى من الجرب

لقد تركت امير المؤمنين بها
للنار يوما ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهم الليل وهو ضحى
ويشله وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلا بيت الدجى رغبت
عن لونها وكأن الشمس لم تغب

ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان في ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت
والشمس واجبة من ذا ولم تجب

ما ربع مية معمورا يطيف به
غيلان ابهى ربى من ربعها الخرب

ولا الخدود ولو أدمين من خجل
اشهى الى ناظر من خدها الترب

سماجة غيت منها العيون بها
عن كل حسن بدأ او منظر عجب

وحسن منقلب تبقى عواقبه
جاءت بشاشته من سوء منقلب

تدبير معتصم بالله منتقم
لله مرتقب في الله مرتعب

لم يرم قوما ولم ينهد الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب

لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا
من نفسه وحدها في جحفل لجب

لما رأى الحرب رأى العين « توفلس »
والحرب مشتقة المعنى من الحرب

ولي وقد الجم الخطى منطقه
بسكتة تحتها الاحشاء في صخب

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال الا على جسر من التعب

ان كان بين مرور الدهر من رحم
موصولة وذمام غير منقضب

فبين ايامك اللاتي نصرت بها
وبين ايام بدر اقرب النسب

٧ ـ غدا وستسمعون :

حدث الصولي في كتابه اخبار ابي تمام(٢٧) . قال : لما قدم ابو تمام الى خراسان اجتمع الشعراء اليه فقالوا : تسمع شعر هذا العراقي ، فسألوه ان ينشدهم ، فقال : قد وعدني الامير ان انشده غدا وستسمعون فلما دخل على عبد الله انشده :

هن عوادي يوسف وصواحبه
فعزما فقدما ادرك السؤل طالبه

فلما بلغ الى قوله :

وقلقل نأى من خراسان جامشها
فقلت اطمئني انقر الروض عازبه
وركب كأطراف الاسنة عرسوا
على مثلها والليل داج غياهبه

---

(٢٧) اخبار ابي تمام : ص ١١٥ .

لامـر عليهـم ان تتـم صـدوره
وليـس عليهـم ان تتـم عواقبـه

علـى كـل رواد المـلاط تهدمـت
عريكتـه العليـاء وانضـم حـلبـه

رعتـه الفيـا في بعـد ما كان حقبـة
رعاهـا ومـاء الروض ينهـل سـاكبه

فصاح الشعراء بالامير ابي العباس : ما يستحق مثل هـذا الشعر الا الامير اعـزه الله •

هذه القصيدة من عزر قصائد ابي تمام وقد مدح بهـا ابا دلف واليك مـا قالـه :

علـى مثلهـا مـن اربـع وملاعـب
اذيلـت مصونات الدمـوع السـواكب

اميـدان لهـوى مـن اتـاح لك البلـى
فاصـبحت ميـدان الصـبا والجنائب

اذا العيس لاقـت بـي ابـا دلف فقـد
تقطـع مـا بـين وبـين النوائـب

اذا مـا غـدا اغـدى كريمـة مألـه
هـديا ولـو زفـت لا لام خاطـب

واحسـن مـن نـور يفتحـه النـدى
بيـاض العطايـا في سـواد المطالب

اذا الجمت يوما لجسم(٢٨) وحولها
بنو الحصن تجل المحصنات النجائب
فأن المنايا والصوارم والقنا
اقاربهم في الردع دون الاقارب
اذا افتخرت يوما تميم بقوسها
وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذى قارا مالت سيوفكم
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
محاسن من مجد متى يقرنوا بها
محاسن اقوام تكن كالمعائب
مكارم لجت في علو كأنما
تحاول ثارا عند بعض الكواكب
ولو كان يفنى الشعر افناه ما قرت
حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوت العقول اذا أنثنت
سحائب منها اعقبت بسحائب

٩ ـ قمر القبائل خالد بن يزيد :

قد مر بك ان مجافاة حصلت بين ابي تمام وابن ابي دؤاد واشتدت هذه المجافاة وطال غضب ابن ابي دؤاد فمار حتى عن ابي تمام حتى شفع فيه خالد بن يزيد الشيباني فعمل قصيدة يمدح ابن ابي دؤاد ويذكر شفاعة خالد بن يزيد اليه .

---

(٢٨) يعني لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم قوم ابى دلف العجلي لانه من عجل بن لجيم اهـ حاشية اخبار ابي تمام للصولي ص١٢٢ .

ويقول الصولي في كتابه اخبار ابي تمام(٢٩) واغمض مواضيع ... في اعتذاره فما كسرها احد قط وانما سنح لي استخراجها لحفظي للاخبار التي اومأ اليها ، فأما من لايحفظ الاخبار فانها لا تقع له ، وانا سنسأير ذوالة الصولي حول هذا الموضوع : وأولهما :

أرأيت اي سوالف وخدود
عنت لنا بين اللوى فزردد
فاسمع مقالة زائر لم تشتبه
اراؤه عند اشتباه البيد
اسرى طريدا للحياة من التي
زعموا وليس لرهبة بطريد
كنت الربيع امامه ووراءه •
قمر القبائل خالد بن يزيد
فالغيث من زهر سحابة رأفة
والركن من شيبان طود حديد

زهر والحذاق قبيلتان من اياد رهط ابن ابي دؤاد •

وغدا تبين ما براءة ساحي
لو قد نفضت تهائمي ونجودي
هذا الوليد رأى التثبت بعدما
قالوا يزيد بن المهلب مودي

يعني الوليد بن عبد الملك ، لما هرب يزيد بن المهلب من حبس الحجاج واستجار بسليمان بن عبد الملك وكتب الحجاج في قتله الى الوليد فلم يزل سليمان بن عبد الملك وعبد العزيز بن الوليد يكلمانه فيه فقال : لابد من ان

(٢٩) المصدر السابق ص ١٥٤ .

تسلموه الى فعضل سليمان ذلك ووجه بايوب ابنه فقال : لاتفارق يدك يده ، فأن اريد بسوء فادفع عنه حتى تقتل دونه •

فتزعزع المزور الأسس عنده
وبناء هذا الافك غير مشيد

وتمكن ابن ابي سعيد من حجى
ملك بشكر بن الملوك سعيد

« ابن ابي سعيد » يعنى يزيد بن المهاب ، لان كنية المهاب ابي سعيد « من حجى ملك » يعنى سليمان بن عبد الملك « بشكر بن الملوك » يعنى آل المهلب ، ان سليمان يسعد بانى الدهر بشكرهم له •

ما خالد لى دون ايوب ولا
عبد العزيز ولست دون وليد

نفس فداؤك اى باب ملحة
لم يرم فيه اليك بالاقليد

لما اضلتى غمامك اصبحت
تلك الشهود على وهى شهودي

من بعد ماظنوا بأن سيكون لى
يوم ببغيهم كيوم عبيد

يعنى عبيد بن الابرص : لقى النعمان في يوم بؤسه وهو يوم كان يركب فيه ، فلا يلقاه احد الا قتله وخاصة اول من يلقاه فلقيه عبيد فقتله •

نزعوا بسهم قطيعة يهفو به
ريش العقوق فكان غير سديد

واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود

لــولا اشــتعال النــار فيما جــاورت
ما كان يعـرف طيـب عـرف الـعـود

ما كان يــرف طيـب عــرف العــود
للحاســـد النعمـــى علـــى المحســـود

١٠ ـ وهل يساميك في العلا ملك :

هذا شطر من قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيباني • ويحدثنا بذلك الصولي في اخبار ابي تمام(٣٠) قال : حدثنى ابو توبه الشيباني ـ ولم ار افصح منه ـ قال : حضرت عشيرنا واميرنا خالد بن يزيد ، وعنده رجل كثير الفكاهة حسن الحديث ، فاعجبنى جدا فقال الامير ابو يزيد : اما سمعت شعره فينا ؟ ما رأيت احسن بيانا منه ، ولا افصح لسانا !

ما لكتيبـت الحمـــى الـــى عقـــده
مـــا بـــال جرعائـــه الـى جــرده

الى ان قـال :

نعـــم لـــواء الخميـــس أبـــت بـــه
يـــوم خميس عالـــى الضـــحى افــده

خلـــت عقابـــا بيضـــاء في حجـــرات
الملـــك طـــارت منـــه وفي ســـدده

فشـــاغب الجـــو وهـــو مســـكنه
وقاتـــل الريـــح وهـــي مـــن مــدده

ومـــر تهنـــو ذؤ اتبـــاه علـــى
اســـمر متن يـــوم الوغـــى جســـده

---

(٣٠) اخبار ابي تمام ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

تخفـــق انـــؤه علـــى ملـــك
يـــري طـــراد الابطـــال مـــن طـــرده

وهـــل يســـاميك في العـــلا ملـــك
صـــدرك اولـــى بالرحـــب مـــن بلـــده

اخلاقك الغر دون رهطك اتـرى منه في رهطه وفي عدده فما سمعت مثل قوله ، وطربت فرحا ان يكون من ربيعه ، فقلت : ممن الرجل ؟ فقال : من طيء ، وولائي لهذا الامير ، فقلت : يا اسفى الا تكون ربعيا او نزاريا ، ثم أمرله الامير ابو يزيد بعشرة الاف درهم بيضا ، ووالله مكافأه . وفي هـذه القصيدة ذكر شفاعة خالد الى ابن ابي دؤاد فيما يتقدم ذكره ، فقال :

بالله انســـى دفعـــه الـــزدر ســـن
عـــوراء ذى نيـــرب ومن فنـــده(٣١)

ولا تناســـــى احيـــــاء ذى يمـــن
مـــا كان مـــن نصـــره ومـــن حســـده(٣٢)

آمـــــرتى اذ جعلتـــــــه ســـــندا
كـــل امـــرىء لاجـــىء الـــى ســـنده

١١ ـ فالسيل حرب للمكان العالي :

ذكر الصولي في كتابه اخبار ابي تمام فقال : قدم ابو تمام مدحا للحسن بن رجاء ، فرأيت رجلا علمه وعقله فوق شعره ، واستنشده الحسن بن رجاء ونحن في مجلس شرب فانشده ،

---

(٣١) العوراء الكلمة القبيحة والنيرب النميمة والفند كل قول غير محمود .
(٣٢) الحشد : ان يجتهد الرجل في جميع جيش او كلام .

كفى وغاك فأنتى لك فالى
ليست هوادى عزمتى بتوالى(٣٣)
أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة
فانا المقيم قيامة الهُذال

فلما قال :

عادت له ايامه مسودة
حتى توهم انهن ليالى

قال له الحسن : والله لا تسود عليك بعد اليوم . فلما قال :

لاتنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالى
وتنظري خبب الركاب ينصها(٣٤)
محى الفريض الى مميت المال

قام الحسن بن رجاء وقال : والله لا اتممتها الا وانا قائم ، فقام ابو تمام لقيامه ، وقال :

لما بلغنا ساحة الحسن انقضى
عنا تملك دولة الامحال
بسط الرجاء لنا برغم نوائب
كثرت بهن مصارع الامال
اغلى عذارى الشعر ان مهورها
عند الكرام اذا رخصن غوالى

---

(٣٣) الهوادي : الاوائل . والتوالي : الاواخر .
(٣٤) ينص ناقته : استخرج اقصى ما عندها من السير . (قاموس) .

نرد الظنون به على تصديقها
ويحكم الامال في الاموال

اضحى سمى ابيك فيك مصدقا
بأجل قائدة وأيمن خال

ورأيتني فسألت نفسك سيبها
لى ثم جدت وما انتظرت سؤالى

كالقيم ليس له أريد غياته
او لم يرد بد من التهطال

١٢ ـ وقال يستسقي الحسن بن وهب نبيذا :

جعلت فداك عبد الله عندي
بعقب الهجر منه والبعاد

له لمسة من الكتاب بيض
قضوا حق الزيادة والوداد

واحسب يومهم ان لم تجدهم
مصادف دعوة منهم جماد

فكم نؤ من الصهباء سار
وآخر منك بالمعروف غاد

فهذا يستهل على غليلي
وهذا يستهل على تلادي

دعوتهم عليك وكنت ممن
تعنيه على العقد الجياد

١٣ ـ مما قاله ابو تمام في آل وهب :

كل شـعب كنتـم بـه آل وهـب
فهـو شـعبي وشـعب كل اديـب

ان قلبـي لكـم لكا لكبـد الحـرى
وقلبـي لغيركـم كالقلـوب

مازالـت الايـام تخبـر سـائر
ان سـوف تفجـع مسـهلا او عـقـلا

مجـد تـأدب طارقـا حتـى اذا
قلنـا قـام الدهـر اصـبح راحـلا

نجمـان شـاء الله ان لايطلعـا
الا ارتـداد الطـرف حتـى يأفـلا

ان الفيجيعـة بالريـاض نواضـرا
لاجـل منهـا بالريـاض ذو ابـلا

لـو ينسـان لكـان هـذا غاربـا
للمكرمـات وكـان هـذا كاهـلا

لهفـي علـى تلك المخائـل فهمـا
لـو امهلـت حتـى تكـون شـمائلا

لغـدا سـكونهما حجـى وصـباهما
كرمـا وتلـك الاريحيـة نائـبلا

ان الهـلال اذا رأيـت نمـوه
ايقنـت ان سـيصير بـدرا كامـلا

قـــل للامـــير وان لقيـــت موقـــرا

منـــه يريـــب الحادثـــات جلاحـلا

ان تـــرز في طـــرفى نهـــار واحـــد

رزءيـــن هـــا جالوعـــة وبـــلا بـــلا

فالنقـــل ليـــس مضـــاعفا لمطيـــة

الا اذا مـــا كـــان وهمـــا بـــازلا

شـــمخت خـــلالك ان يؤسـيك امـــرؤ

او ان تذكـــر ناســـيا او غافـــلا

الا مواعـــظ فادهـــا لـــك سـمحة

اســـجاح لبـــك ســـامعا او قائـــلا

ذكر الصولي في كتابه اجبار ابي تمام(٣٥) قال حدثني عبدالله بن احما النيسابوري وكان اديبا شاعرا ، قال : استبطأ ابو تمام صلة عبدالله بـن طاهر ، فكتب الى ابي العميثل شاعر عبدالله وكان دفع اليه رقعة ليوصلها الى عبدالله :

ليـــت الظبـــاء ابـــا العميثل خبـــرت

خبـــرا يـــروى صـــاديات الهـــام

ان الامـــير اذا الحـــوادث اظلمـــت

نـــور الزمـــان وحليـــة الاســـلام

والله مـــا يـــدرى بأيـــة حالـــة

يتنـــى مجـــاوره علـــى الايـــام .

---

(٣٥) اخبار ابي تمام ص ٢٢٣ .

المـا يجامعـه لديـه مـن الغنـى
ام مـا يفارقـه مـن الاعـدام
وارى الصـحيفة قـد علتهـا فتـرة
فتـرت لهـا الارواح فـي الاجسـام
ان الجيـاد اذا علتهـا صـنعة
راقـت ذوى الاداب والافهـام
لتزيـد الابصـار فيهـا فسـحة
وتأمـل باشـارة القـوام
لـولا الامـير وأن حاكـم رأيـه
في الشـعر اصـبح اعـدل الحكـام
لتكلـت آمالـى لديـه بأسرهـا
ولكـان انشـادى خقـير كلامـى
ولخفـت فـي تفريقـه مـا بيننـا
مـا قيـل في عمـرو وفي الصمصـام

فكتب اليـه ابو العميثل :

افهمتنـا فنقعـت بالافهـام
فاسـمع جوابـك يـا ابـا تمـام
ان الظبـاء سـنيحها كبريحهـا
فـي جهلهـا بتصـرف الاقـوام
جفـت بايـام الفتـى وبرزقـه
فـي اللـوح قبـل سـوابق الاقـلام
قـد كنـت حاضـر كل مـا خبرتـه
مـن منطـق مسـتحكم الابـرام

فيـــه لطائـــف مـــن قريـــض مونـق
نطقـــت بـــذلك الســـن الحكـــام
ملس المنـــون لـــدى السماع كأنهـــا
لمســـا ومنظـــرة منون ســـلام(٣٦)
وشـــهدت مـــا قـال الامـير بعقبـــة
مـــن انـــه عســـل بمـــاء غمـــام
وشـــهدت اجمـــل محضـر مـــن معشـر
منحـــوا كريـــم القـــول نجـل كـرام
فعليـــك محمـــــود الانـــاءة انهـــا
والنجـــح في قـــرن علـــى الايـــام
وذكـــرت عمـــرا قبلنـــا وفراقـــه
صمصامـــــة النجـــدات والاقـــدام
والله ينظمنـــــا بعـــز أميرنـــــا
وطـــوال مدتـــه اثـــم نظـــام

هذه الابيات قد روى انه كتبها الى عبدالله بن طاهر عندما حجبـــه فقـــال(٣٧) :

صـــبرا علـــى المطـــل ما لـــم يتله الكـــذب
وللخطـــوت اذا ســـامحتها عقـــب
علـــى المقاديـــر لـــوم ان وميـــت بهـــا
مـــن قـــادر وعلـــى الســـمى والطلـــب

(٣٦) السلام : الحجارة الصلبة .
(٣٧) انظر ديوان الشاعر .

يأيهـــا الملـــك النائـــى برؤيتـــه
وجـــوده لمراعـــى جـــوده كتـــب
ليس الحجـاب بمقص عنـــك لـــى أمـــلا
ان الســـماء ترجـــى حـــين تحتجـــب

حدث الصولي(٣٨) عن عون بن محمد بانه قال : قدم على ابي تمام رجل من اخوانه ، وكان قد بلغه انه قد أفاد واثرى ، فجاء يسلميحه ، فقال له ابو تمام : لو جمعت ما آخذ ما احتجت الى أحـــد ، ولكن آخذ وانفق ، وسأحفال لك فكتب الى ابي سعيد بقصيدة منها :

لازالـــت مـــن شـــكري في حـــلة
لابســـها فـــي ســـلب فاخـــر
يقـــول مـــن تقـــرع اســـماعه
كـــم تـــرك الاول للاخـــر
لـــى صـاحب قـــد كـان لـــى مؤنسـا
ومـــالفا فـــي الزمـــن الغابـــر
تحمـــل منـــه العيـــس اعجوبـــة
تجـــدد الســـخرى للســـاخر
ذا ثـــروة يطلـــب مـــن ســـائل
ومفحمـــا يأخـــذ مـــن شـــاعر
فصـــادفت مالـــــى بأقبالـــــه
منيـــة مـــن أمـــل عائـــر

(٣٨) اخبار ابي تمام للصولي ص٢٢٩

فشـــــارك المقمـــور فيـــــه ولا
نكـــن شـــريك الرجـــل القامـــر
فـــر فـــدك الزائـــر مجـــد ولا
كـــر فـــدك الزائـــر للزائـــر

فوجه لابى تمام بثلثمائة دينار ، وللزائر بمائتي دينار ، قال : فأعطاه ابو تمام خمسين دينارا حتى شاطره •

وانشد ابو تمام احمد بن المعتصم في علة اعتلها فلما اتم الانشاء قال له احمد بن المعتصم : ما ابين العله عليك ! فقال : انها علة قلب تميت الخاطـر ، وتسد الناظر ، وتبلد الماهر(٣٩) فقال :

اقلـــق جفـــن العينــــين عـــن غمضـــه
وشـــد هـــذا الحشـــا علـى مضضـه
شـــجى بمـــا عـــن للامير ابي العباس امســـى نصـــبا لمعترضه
مـــن الالـــى تستجير من شرق الدهـــر بهم ان الم او جرضه(٤٠)
صـــاغهم ذو الجـــلا لمن جوهر المجـــد وصاغ الانام من عرضه
ســـهم مـــن الملـــك لا يضـــيعه
باريـــه حتـــى يهتـــز في غرضـــه
صـــحته صحـــة الرجـــاء لنـــا
فـــي حـــين ملناتـــه ومنتقضـــه
فـــان نجـــد علـــة نعـــم بهـــا
حتـــى كأنـــا نعـــاد مـــن مرضـــه

---

(٣٩) اخبار ابي تمام للصولي ص ٢٣٢ و٢٣٣ بتصرف
(٤٠) الجرض : الريق

يعتبر ابو تمام مجددا في اللغة للاشتقاقات التي يقوم فيها وهذا ابراهيم بن العباس الصولي(٤١) الكاتب المعروف يقول ما اتسكلت في مكاتبتي على ما يجيله خاطري ويجيش به صدري الا قولى فانزلوه من معقل الى عقال انى المت في المعقل والعقال بقول ابي تمام ، ثم انشد ،

فــان باشـــر الاصحار فالبيض والقنـــا
قـــراه واحـــواض المنايـــا مناهلـــه
وان بـــين حيطانـــا عليـــه فانمـــا
أولئـــك عقالاتـــه(٤٢) لا معاقـــه
والا فأعلمـــه بأنـــك ســـاخط
ودعـــه فـان الخـــوف لاشـــك قاتله
بيمـن ابـى اسـحاق طالـت يـد الهـدى
وقامـــت قنـــاة الديـن واشـتد كاهلـه
هـــو البحـــر مـــن اى النواحـــي أتيتـــه
فلجتـــه المعـــروف والجـــود ســـاحله
تعـــود بســط الكـف حتـى لـو انـــه
تناهـــا لقبـــض لـــم تجبـــه انملـــه

وهـــذه ابيات مـــدح بها محمد بن عبدالملك :

وجـــدتك اذا اســـود الزمـــان انامـــلا

---

٤١) اخبار ابي تمام بتصرف ص ١٠٢

٤٢) العقالات : جمع عقال وهو داء يعرض للخيل كأن الفرس في اول جريه يعقل عن الجري ثم يزول عنه ذلك . ومنه قيل لبعض فحول الخيل ذو العقال « شرح التبريزي » .

واحسن في الحاجات وجها وأجملا

تضيء اذا اسود الزمان وبعضهم

يرى الموت ان ينهل او يتهللا

ووالله ما آتيك الا فريضة

وآتي جميع الناس الا تنضلا

وليس امرؤ في الناس كنت سلاحه

عشية يلقى الحادثات باعزلا

سرقات ابو تمام الشعرية :

لقد عقد الامدي في كتابه الموازنة فصلا تحت عنوان « سرقات ابي تمام(٤٣) » وقد استقصتها كما اوردها فوجدتها مائة واربعة وستين سرقه سنقتصر على ذكر بعضها ونترك الباقي لمن يريد ان يدرسها كلها ويطلع عليها جميعها وهذا ما يقوله الامدى « كان ابو تمام مشتهرا بالشعر ، مشغوفا به ، لا ومشغولا مدة عمره بتخيره ودراسته ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة ، فمنها الاختيار القبائلى الاكبر اختار فيه من كل قصيدة ، وقد مر على يدى هذا الاختيار ، ومنها اختيار آخر ترجمته القبائلى اختار فيه قطعا محاسن اشعار القبائل ، ولم يورد فيه كبير شيء للمشهورين ، ومنها الاختيار الذي تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والاسلام ، واخذ من كل قصيدة شيئا حتى انتهى الى ابراهيم بن هرمه . وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول ، ومنها اختيار تلقط فيه اشياء من الشعراء المغاين والشعراء المغمورين غير المشهورين ، وبوبه ابوابا ، وصدره بما قيل في الشجاعة ، وهو اشهر اختياراته ، واكثرها في ايدى الناس ويلقب بالحماسه ، ومنها اختيار المقطعات ، وهو مبوب على ترتيب الحماسة الا انه يذكر فيه اشعار المشهورين

(٤٣) الموازنة ص ٤٨ ط : ٢ سنة ١٣٧٣ . مصر السعادة .

وغيرهم من القدماء والمتأخرين وصدره بذكر الغزل ، وقد قرأت هذا الاختيار ، ونقطت منه تتفا وابيات كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره ، ومنها اختيار مجرد في اشعار المحدثين ، وهو موجود ، ايدى الناس ، وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وانه اشتغل به وجعله وكده ، واقتصر من كل الاداب والعلوم عليه ، فانه ما شيء كبير من شعر جاهلى ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه واطلع عليه ، ولهذا اقول : ان الذي خفى من سرقاته اكد مما قام منها على كثرتها .

وانا اذكر ما وقع الى في كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته انا منها واستخرجته ، فان ظهرت بعد ذلك منها على شيء الحقته بها ان شاء الله .

١ ـ قال الكميت الاكبر وهو الكميت بن ثعلبه .

ولا تكثروا فيه اللجاج فانه
مما السيف ما قال ابن دارة اجمعا

اخذه الطائي فقال :

« السيف اصدق انباء من الكتب »

٢ ـ وقال الاعشى

وارى الغواني لا يواصلن امرأ
فقد الشباب وقد يصلن الامردا

اخذ الطائي المعنى والصفة فقال :

احلى الرجال من النساء مواقعا
من كان اشبههم بهن خدودا

٣ ـ وقال البعيث :

وانا لنعطي المشرفية حقها
فتقطع في ايماننا وتقطع

فقال الطائي :

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة
فقطعها ثم انثنى فتقطعا

٤ ـ وقال مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها
فهن يتبعنه في كل مرتحل

اخذه الطائي فقال :

وقد ظللت عقبان اعلامه ضحى
بعقبان طير في الدماء نواهل

٥ ـ وقال مسلم يرثى :

سلكت بك العرب السبيل الى العلى
حتى اذا سبق الردى بك داروا
نفضت بك الامال احلاس المنى
واسترجعت نزاعها الامصار

اخذه ابو تمام فقال :

توفيت الامال بعد محمد
فاصبح مشغولا عن السفر السفر

٦ ـ وقال الاخطل :

تدب دبيبا في العظام كأنها
دبيب نمال في نقا ينهيل

اخذه ابو تمام فأفسد المعنى فقال :

اذا الراح دبت فيه تحسب جسمه
لما دب فيه قرية من قرى النمل

٧ ـ وقـال ابو دواد الايدى :

لا اعـد الاقـلال عدمـا ولكـن

فقـد مـن قـد فقدتـه الاعـدام

اخـذ ابو تمام صدر البيت فقال :

لا يحسـب الاقـلال عدمـا بـل يـرى

ان المثـل مـن المـؤة معـدم

٨ ـ وقـال ابو الهنـدي :

وتـرى سـهيلا في السـماء كأنـه

نـور يعارضـه هجـان الربـرب

اخـذه ابو تمام فقـال :

اراعـى مـن كواكبـه هجانـا

سـواما لا تريـع الـى المسـيم

٩ ـ وقـال ابو العتاهيـه :

كـم نعمـة لا يسـتقل بشـكرها

لله فـي طـى المكـاره كامنـه

اخذه الطائي فقال واحسن ، لانه جاء بالزيـادة التي هـي عكس الشيء الاول فقـال :

قـد ينعـم الله بالبلـوى وان عظمـت

ويبتلـى الله بعـض القـوم بالنعـم

١٠ ـ وقال النظار بن هاشـم الازدي •

يعـف المـرء مـا استحيا ويبقـى

نبـات العـود مـا بقـى اللحـاء

ومـــا في ان يعيـــش المـــرء خـــير
اذا مـــا المـــرء زايلـــه الحيـــاة

اخذ ابو تمام معنى البيتين واكثر لعظهما فقـال :

يعيش المـــرء مـــا اسـتحيا بخـــير
ويبقـــى العـــود مـــا بقـــى اللحـاء

فـــلا والله مـــا في العيـــش خـــير
ولا الدنيـــا اذا ذهـــب الحيـــاء

ونقتصر على هذه النماذج فان الاختصار بالمختصر اولى • والوفاء بمـا قدمناه في الصـدر اوفى •

: نظرة عامـة في شـعره :

مرت بك قطع شعرية من شعر ابي تمام والان لنبحث بصورة عامة عن شعره ونساير في هذا الركب قافلة كتاب الموازنة للامدى(٤٤) والتي تحدد لنا بقولها « كان لابي تمام مذهب في المطابق والمجانس اشتهر به ونسب اليه وهذا المذهب لم ينسب الابي تمام لانه اخترعه ، فقد طرقه الشعراء من قبله وقالوا منه ، ولكنه نسب اليه وعرف هو به لانه فضل الشعراء جميعا فيه ، واكثر منه ، وسلك جميع شعبه ، بل انه كان منار ما دار حوله من الجدل ، ومن جهة انطلقت الـسنة الناقدين عليه ، بحق احيانا ، وبغير حق احيانا أخرى ، ذلك بأنه بالغ في سلوك هذا السبيل واولع بها ، حتى ليندر ان يخلو بيت له منه ، فأوقعه هذا الولوع في التعسف وارتكاب متن الشطط • ولكن الذي لاشك فيه ان الجيد من شعره كثير ، وانه لا يلحق غباره في جيده •

---

(٤٤) الموازنة ص ٥ مصدر سبق ذكره .

اتصل أبو تمام برجال الدولة في عصره ، ومدح وهجا ورلى ، وقال في كل اغراض الشعر ، وقد احصيت عدة من مدحهم فالفتيهم ثمانية واربعين ما بين خليفة وابن خليفة ووزير وكاتب وقاضي وسري ، مدح امير المؤمنين المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد ورثاه بعد موته ، ومدح امير المؤمنين الواثق بالله بن المعتصم ، ومدح محمد بن عبدالملك الزيات ، وابا عبدالله احمد بن ابي دؤاد ، والحسن بن وهب ، واخاه سليمان بن وهب ، ومالك بن طوق ، وابا دلف القاسم أبن عيسى العجلى ، وابا المعنت موسى بن ابراهيم الرافقى ، وابا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابه ، واسحاق بن ابراهيم المصعبى واسحاق بن ابي ربعى كاتب ابي دلف ، ومحمد بن حسان الضبى ، وخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، وكان اكثر انسان مدحه ابو تمام هو ابو سعيد محمد بن يوسف الثغري ، فقد احصينا له فيه سبعا وعشرين كلمة . ونريد ان نسجلههنا ان ابا تمام الطائي كان كثيرا ما يمدح الطائيين ، فأبو سعيد طائي ، واحمد بن عبدالكريم طائي ، وعمر بن العزيز طائي ، وغير هؤلاء من ممدوحه طائيون فهل كان يمدح على العصبية او الرغبة في الجائزة ؟

ذلك بحث لم يستقم لنا وجه الرأى فيه ، ولا هو مما تتحمله هذه العجالة في هذه الظروف . وعسى ان يتهيأ لنا من بعد ان نفيض فيه ١٠ هـ .

« وفاة ابي تمام وبلغ سنه »

عقد الصولي في كتابه اخبار ابي تمام(٤٥) فصلا تحت هذا العنوان المذكور وننقل اليك ما كتبه الصولي حيث قال : لما مات ابو تمام قال الواثق لابى قد غمي موت الطائي الشاعر : فقال . طىء باجمعها فداء امير المؤمنين والناس طرا : ولو جاز ان يتأخر ميت عن اجله ثم سمع هذا من امير المؤمنين لما مات .

---

(٤٥) المصدر السابق ص ٢٧٢ و ٢٧٣ .

وقال : عن الحسن بن وهب بأبي تمام وكان يكتب لمحمد بن عبدالملك الزيات فولاه بريد الموصل فاقام بها سنة ، ومات في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائتين ودفن بالموصل .

وقال : حدثني عون بن محمد الكندي قال : قرأت على ابي تمام شيئا من شعره في سنة سبع وعشرين ومائتين وسمعته يقول : مولدي سنة تسعين ومائة . قال : واخبرني مخلد الموصلي ان ابا تمام مات بالموصل في المحرم سنة اثنين وثلاثين ومائتين .

وقال : حدثني ابو سليمان النابلسي قال ، قال تمام ابن ابي تمام مولد ابي سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات في سنة احدى وثلاثين ومائتين .

وجاء في كتاب الموازنة للامدي(٤٦) انه قد توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين وانه قد ولد في سنة تسعين ومائة وهذا اثبت الاقوال المأثورة وجاء هذا الاختلاف في المولد والوفاة في كتاب الوفيات لابن خلكان(٤٧) وهو لايخرج عن اقوال الصولي . غير انه جاء بزيادة وهي : قال البحتري : وبنى عليه ابو نهشل بن حميد الطوسي قبة (قلت) ورأيت قبره بالموصل ، خارج باب الميدان على حافة الخندق ، والعامة تقول هذا قبر تمام الطائي .

اقول واني قد زرت الموصل في سنة ١٩٥٤ ميلادية فشاهدت ان بلدية الموصل قد وضعت نصبا تذكاريا فوق قبر ابي تمام واليك وصفه : (حديقة دائرية الشكل يبلغ قطرها خمسة عشر مترا فيها انواع الاوراد الجميلة تقع هذه الحديقة في وسط الشارع المسمى شارع سنجار او باب سنجار وفي وسط هذه الحديقة بناية مربعة الشكل من المرمر المنحوت نحتا جميلا ويبرز من وسطها بناء مرتفع من المرمر يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار على شكل عمود مربع

---

(٤٦) ص ٥ و٦ بتقديم وتاخير
(٤٧) ص ٣٣٩ : ج : ١

مخروطي الشكل • وقد قامت بلدية الموصل ببنائه وفي نفس هذا الشارع وجنوب قبر ابي تمام هنالك قبر آخر فوقه قبه يقع في وسط الشارع يطلقون عليه اسم قبر لبنت وقسم منهم يسمى قبر ابن الاثير ومقابل قبر ابن الاثير من الجهة الغربية بناء متهدم لم يبق منه الا القبه هو قبر قضيب البان جد الدكتور ناجي الاصيل الذي هو الان وهو سنة الف وتسعمائة وست وخمسون ميلادية مدير عام للاثار القديمة لعامة ببغداد • وقضيب البان هذا من معاصرى الشيخ عبد القادر الجيلى قدس سره • وقد رايت كتابا في مكتبة النبي شيت بالموصل يسمى ذخيرة الاذهان في ترجمة قضيب البان وهو مؤلف من اربع مجلدات ولا زال مخطوطا لم يطبع لحد الان •

« مراثي ابي تمام »

نختتم البحث عن هذا الشاعر بالقصائد الشعرية التي رثاه فيها الشعراء فقد رثاه جلة منهم وانى سأساير ركب الصولي في اخبار ابي تمام وركب وفيات الاعيان لابن خلكان •

فممن رثاه يحى بن ابى عباده الوليد بن عبيد البحتري الشاعر ، ولكن ابا الغوث وكان مقيما بالشام وقدم بغداد فقال يرثيه ويرثى دعبل الشاعر المعروف(٤٨) •

قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي
مثوى حبيب يوم مات ودعبل
وبقاء ضرب الخثعمى وشبهه
من كل مضطرب القريحة مهمل
اهل المعانى المستحيلة ان هم
فالبسوا المدامة والكلام المفصل

---

(٤٨) اخبار ابي تمام للصولي ص ٢٧٥ ـ [illegible]

اخوى ، لاتزل السماء مخيلة
تغشى لما بحيا مقيم مسبل
جدت على الاهواز يبعد دونه
مسرى النعى ورمة بالموصل

ورثاه الحسن بن وهب فقال :

سقت بالموصل القبر الغريبا
سحائب ينتحبن له نحيبا
اذا اطلعته اطلقن فيه
شعيب المزن منبعقا شعيبا
ولطمت البروق لها خدودا
وشققت الرعود لها جيوبا
فان تراب ذاك القبر يحوى
حبيبا كان يدعى لى حبيبا
طريفا شاعرا فطنا لبيبا
اصيل الرأى في الجلى اريبا
اذا شاهدته رواك مما
يسرك رقة منه وطيبا
ابا تمام الطائي ، انا
لقينا بعدك العجب العجيبا
فقدنا منك علقا لا ترانا
نصيب له مدى الدنيا ضريبا
وكنت اخا لنا تدنى الينا
صميم الود والنسب القريبا

وكانت مذجح تطوى علينا
جميعا ثم تنشرنا شعوبا
فلما بنت فكرت الليالي
قريب الدار والاقصى الغريبا
وابدى الدهر اقبح صفحيه
ووجها كالحا جهما قطوبا
فأحر بأن يطيب الموت فيه
واحر بعيشة الا قطيبا

وقال علي بن الجهم يرثيه :

غاضت بدائع فطنة الاوهام
وعدت عليها نكبة الايام
وغدا القريض ضئيل شخص باكيا
يشكو رزيته الى الاقلام
وتأوهت غرر القوافي بعده
ورمى الزمان صحيحها بسقام
اودى مثقفها ورائض صعبها
وغدير روضتها أبو تمام

ولاحمد بن يحى البلاذرى يرثى ابا تمام ويهجو ابا مسلم بن حميد الطوسي

امسى حبيب رهن قبر موحش
لم تدفع الاقدار عنه بايد
لم ينجه لما تناهى عمره
أدب ولم يسلم بقوة كيد

قــــد كنت ارجــــو ان تنــالك رحمــة
لكـــن اخـــاف قرابـــة ابــن حميــــد

وقـال فيـه الحســن بن وهب ايضـا :

فجــع القريـــض نجـا ثـم الشــعراء
وغديـــر روضـــتها حبيـــب الطــائي

مانـــا معـــا فتجـــاوروا فـــي حفــرة
وكـــذلك كانـــا قبـــل فـــي الاحيــاء

وقــال محمد بن عبدالملك يرثيه وهو وزير :

نبـــأ أتـــى مــن أعظـــم الانبـــاء
لمـــا الـــم مقلقـل الاحشــــــاء

قالـــوا حبيـــب قـــد ثـوى فأجبتهـــم
ناشدتكـــم لاتجعلـــوه الطائـــــي

وقـــال ايضـــا :

الا لله مـــا جنـــت الخطـــوب
تخـــرم مـــن احبتنـــا حبيـــب

فمـــات الشـــعر مـــن بعـــد ابـن اوس
فــــلا دأب يحـــس ولا اديـــب

وكنـــت ضـــريب وحـــدك يـــا ابـــن اوس
وهـــذا النـــاس اخـــلاق ضـــروب

لئـــن قطعتـــك قاطعـــة المنايـــا
لمنـــك وفيـــك قطعـــت القلـــوب

وقال عبدالله ابن ابى الشيص وهو ابن عم دعبل بن علي الخزاعي يرثى ابا تمام :

اصبح في ضنك من الارض
اكثر في الارض من الارض
من عرض ذكراه ومن طولها
كالارض ذات الطول والعرض
اكرم بملحود يدانى الى
وجهك يا بن الكرم المحض
ما في حبيب لى ابن اوس أسى
يجمع بين الجفن والغمض
حار ذوو الاداب اذ فوجئوا
منه بيوم غير مبيض
انتقض الابرام من عمر من
كان ابا الابرام والنقض
طود من الشعر دعا بعضه
بعضا فهد البعض بالبعض
بحر من الشعر له جائش
ملتطم باللؤلؤ البيض
كانما الشعر شعار له
او ورق في غصن غض
لما اتم الله فيك الذي
أملت من بسط ومن قبض
رماك رام للمنايا وما
آذن عند الرمي بالنبض

لـــو كـــان للشـــعر عيـــون بكـت
لكوكـــب للشـــعر منقـــض

وقـد رثاه غير واحد لكنه وجد بخط ابن مهرويه :

يـــا حفـــرة الطـــائي اي امـــرىء
أتويـــت منـــه فـــي تـــرى الرمس
شـــعاره انـــت ولـــم تشـــعري
بأنـــــه اشـــعر ذى نفـــس
كـــم بـــين اثنائـــك مـــن حكمـة
كانـــت شـــفاء النفـــس بالامـــس

هذا ما دونه الصولي في كتابه اخبار ابي تمام(٤٩) .

اما ما ذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان(٥٠) فهو قوله : وحكى لى الشيخ عفيف الدين ابو الحسن علي بن عدلان الموصلي النحوي المترجم قال سألت شرف الدين ابا المحاسن محمد بن عنين الاتى ذكره فى هذا الكتاب في حرف الميم انشاء الله تعالى عن معنى قوله :

ســـقى الله دوح الغوطتـــين ولا أرتـــوى
مـن الموصـــل الحـــدباء الا قبورهـــا

لـــم حرمها وخص قبورها ؟ فقال : لاجل ابي تمام .

وهذا البيت لابن عنين المذكور من قصيدة مدح بها الســـلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل ابن ايوب وسبقاني ذكره في حرف العين ان شـــاء الله تعالى اولها :

---

(٤٩) ص ٢٧٤ و٢٧٥ و٢٧٦ و٢٧٧ و٢٧٨ و٢٧٩ المصدر السابق
(٥٠) ص ٣٣٩ ج : ١ المصدر السابق

اشـاقك مـن عليـا دمشـق قصورهـا

وولـدان ارض النيريـن وحورهـا

وبهذا تتم ترجمة ابي تمام الطائي •

البحتـــري

نسبه ونشأته وحياته :

هو ابو عباده الوليد بن عبيد بن يحى بن عبيد بن شحلال بن جابر ابن سلمه بن مسهر بن الحارث بن جسم بن أبي حارثه بن جدى ابن بدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان ن ثعل ين عمر بن الغوث ين جلهمه وهي طى ، بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان الطائي البحتري الشاعر المشهور(١) •

ويكن بأبى عباده وابو الحسن والاول اشهر ١١ • وهو عربي صميم ١٢ ولد بمنبج سنة ٢٠٦ وقيل (برردفنة) وهي قرية من قراها ونشأ وتخرج بها(٢) • وجا في كتاب الحماسة(٣) انه : نشأ بالبادية بين قبائل طي وغيرها فغلبت عليه فصاحة العرب • ويؤيد هذا الرأى ما جاء في كتاب الموازنة للامدى(٤) حيث يقول : ونشأ في البادية بين قومه في طى وغيرهم ، وروى عن كثير من العلماء ، كأبى العباس المبرد ، ثم اتصل بأبى تمام ولزمه ، وما زال

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٧٤ ومعجم الادباء ج : ١٩ ص ٢٤٨ .
(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٧٤ .
(٣) لابي عبادة البحتري ص ٣ تحقيق كمال مصطفى .
(٤) الموازنـة للامدي ص ٤٥ .

يترسم خطاه ، ويحذد حذوه ، ويردد صداه ، ويقتفى قفـوه حتى طـار في الآفاق ذكره وعلا كعبه .

وجاء في وفيات الاعيان(٥) صور هي ابعد عن مبدأ نشأته فقال : قال صالح بن الاصبغ التنوخي المنبجى : رأيت البحترى ههنا عندنا قبل ان يخرج الى العراق ، يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب ، وأدما الى جنبتى المسجد يمدح اصحاب البصل والباذنجان ، وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه ، ثم كان منه في علوة التي شبب بها في كثير من اشعاره ، وهي بنت زريفـة الحلبية ، وزريفه أمهـا .

وذكر صاحب المكتبة الجامعة في بيروت بمقدمة ديوان البحتري بأن اول شعر قاله انه كان له غلام يدعى « شقران » فاتفق له سفر طويل فلما عاد رأى شقران قد التحى فقال فيـه .

طلعـت لحيـة شـقران
شـفيق النفـس بعـدي
حلقـت كيـف أتـه
قبـل ان ينجـز وعـدي

قـال البحتري :

كان اول امرى في الشعر وبناهي : ان صرت الى أبي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري ، وكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم فاقبل علـى وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا ، قال لى : « انت اشـعر من انشدنى ، فكيف بالله حالك ؟ » فشكوت خلة ، فكتب الى اهل معرة النعمان ، وشهد لى بالحذق في الشعر ، وشفع لي اليهم ، وقال : امتدحهم . فصرت اليهـم ، فاكرموني بكتابه ، ووظفوا لى اربعة الاف درهم ، فكان اول مال اصبته .

---

(٥) الوفيات ج ٤ ص ٥٤ .

وكانت نسخة كتاب ابي تمام : « يصل كتابي هذا على يد الوليد بن عبادة الطائي وهو على بذاذته شاعر فأكوموه(٦) » •

البحتري وابو تمـام :

قال البحتري : اول ما رأيت ابا تمام أنى دخلت على ابي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتي :

أأفـاق صـب مـن هـوى فأفيقـا
ام خـان عهـدا ام اطـاع شـفيقا

الى آخر القصيدة التي سفوردها بتمامها في موضوع النماذج الشعرية من شـعر البحتري •

فسر بها أبو سعيد وقال : احسنت والله يافتى واجدت ،

وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضـر عنده ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على وقال : يافتى اما تستحى منى ؟ هذا شعر لي تنتحله ، وتنشـده بحضرتي •

فقال ابو سعيد احقا ما تقول ؟

قال نعم ، وانما علقه منى ، فسبقنى به اليك ، وزاد فيه •

ثم اندفع فانشد اكثر القصيدة ، حتى شككنى علم الله في نفسـي ، وبقيت متحيرا •

فأقبل على ابو سعيد فقال : يافتى ، قد كان في قرابتك وودك لنا مايغنيك عن هـذا •

فجعلت احلف له بكل محرجة الايمان أن الشعر لي ما سبقنى اليه أحد ، ولا سمعته منه ، ولا انتحلته ، فلم ينفع ذلك شيئا •

---

(٦) مقدمة كتاب الحماسة للبحترى للاستاذ كمال مصطفى ص ٣ .

وأطرق ابو سعيد ، وفظع بي ، حتى تمنيت أني سـخت في الارض • فقمت منكسر البال أجر رجلي ، فخرجت • فما هو الا أن بلغت الدار حتى خرج الغلمان فردوني •

فأقبل على الرجل فقال : الشعر لك يابني ، والله ماقلته ولا سمعته الا منك ، ولكنني ظننت انك تهـا ونت موضـعي ، فأقدمت على الانشـاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا ، تريد مضاهاتي وتكاثرني ، حتى عرفني الامير نسبك وموضعك ولو ددت الا تلد ابدا طائيه الا مثلك •

وجعل ابو سعيد يضحك ، ودعاني ابو تمام وضمني اليه ، وعانقني ، وأقبل يقرظني ، ولزمته بعد ذلك ، واخذت عنه ، واقتديت به(٧) •

صفاتـــه واخلاقـــه

كان البحتري ــ على فضله ونصاعة بيانه ورقة كلامه ، وبديع اسلوبه ، وجزيل شعره ، من ابخل خلق الله ، فقد كان له اخ وغلام معه في داره ، فكان يقتلهما جوعا ، حتى اذا بلغ منهما الجهد أتياه يبكيان ، فيرمي اليهما بثمـن اقواتهما مضيقا مفترا ، ويقول لهما مع ذلك : كلا ، اجاع الله اكبادكما واطال اجهادكما ! وكان ــ فوق ذلك ــ من اوسخ خلق الله ثوبا وآلة • واتعضهما انشادا واكثرهم افتخارا بشعره ، حتى يروى عنه انه كان اذا أنشد شعرا قال لمستمعيه : لم تقولون احسنت ؟

وهذا والله ما لايقدر احد ان يقول مثله •

وجاء في مقدمة كتاب الحماسة(٩) قوله : وكان من ابغض خلـق الله انشادا : يتشادق ويتزاور في مشيه : مرة جانبا ، ومرة القهقرى ، ويهـــز

---

(٧) مقدمة كتاب الحماسة للبحتري بقلم الاستاذ كمال مصطفى ص ٤و٥و٦ .
(٨) مقدمة كتاب الموازنة بقلم الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ص ٧ .
(٩) المصدر السابق ص ٧ .

رأسه مرة ، ومنكبيه اخرى ، ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ، ويقول : احسنت والله ! ثم يقبل على المستمعين ويقول : ما لكم لاتقولون احسنت ؟ هذا والله ما لايحسن احد ان يقول مثله !

فعل ذلك مرة امام المتوكل ، وكان في المتوكل عبث ودعابه ، فاغرى به ابا العنبس الصيمري ، فهجاه على البديهة بقصيدة هزلية على روى القصيدة التي يمدح بها المتوكل ، فخرج البحتري غضبا من المجلس ، والمتوكل يضحك عليـــه .

اقــول : ان مطلع القصيدة التي مدح بها البحترى المتوكل هو :

عـــن اى ثغـــر تبتســـم
وبـــأي طـــرف تحتكـــم
حســـن يضـــن بوصـــله
والحســـن اشـــبه بالكـــرم

ومنهـــا :

اقســـمت بالبيـــت الحـــرام
وحرمـــة الشـــهر الاعـــم
وعلـــى امـــير المؤمنـــين فانهـــا حـــق القســـم
لقـــد اصـــطفى رب الســـماء
لـــه الخلائـــق والشـــيم
ملـــك غـــدا وجبينـــه
شـــمس الضـــحى بـــدر الظلـــم

وأن اول القصيدة التي عبث بهـا ابو العنبس الصيمري هي :

يـــا بحتـــري حـــذار ويـــحك من قضاضـــه قـــم

ومنهـــا :

والله حلفــــــة صـــــــادق
وبقبـــــر احمـــــد والحـــــرم
وبحـــــق جعفـــــر الامـــــام
ابـــن الامـــــام المعتصـــــم
لا صـــــــيرتك شـــــهرة
بـــين المســـيل الـــى العلـــم

البحتري وغلامـه نسـيم :

كان للبحتري غلام اسمه نسيم وهو غلام رومي ليس بحسن الوجـه وكان قد جعله بابا من ابواب الحيل على الناس . فكان يبيعه ويعتمـد ان يصيره الى ملك بعض المرودات ومن ينفق عنده الادب ، فاذا حصل في ملكه تشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم ، فكفى الناس امره . وهذا ما يحدثنا به ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان(١٠) حيث يقول : ونذكر من وقائعه ما يستظرف ، فمن ذلك : انه كان له غـلام اسمه نسيم فباعه فاشتراه ابو الفضل الحسن بن وهب ، الكاتبم ، ثـم ان البحتري ندم على بيعه ، وتشبعته نفسه فكان يعمل فيه الشعر ، ويذكر انـه خدع ، وان بيعه لم يكن من مراده فمن ذلك قوله .

انســيم هل للدهـر وعـــد صـــادق
فيمـــا يؤملـــه المحـــب الوامـــــق
مالـــى فقـدت في المنـــام ولــم تــزل
عـــون المشـــوق اذا جفـــاه الشـــائق
أمنعـــت انـت مـــن الزيـــارة رقبـــة
منهـــم فهـــل منـــع الخيـــال الطـــارق

(١٠) ص ٧٩ ج : ٥ .

اليـــوم جـــاز لـي الهـــوى مقـداره

في اهلـــه وعلمـــت أنـي عاشــــق

فليهنـــا الحســـن بـــن وهـب أنـه

يلقـــى احبتـــه ونحـــن تفـــارق

ولـه فيـه اشعار كثيرة :

البحتري واحمد بن علي الاسكافي :

جاء في مقدمة كتاب الحماسة للبحتري : انه قدم النيل(١١) على احمد بن علي الاسكافي مادحا له ، فلم يثبه ثوابا يرضاه بعد ان طالت مدتـــه فهجاه بقصيدته التي يقول فيهـا :

مــا كســبنا مــن احمـد بـن علـي

ومـــن النيـــل غـــير حمـــى النيـــل

وظـــلال مـــن وخشـــران ســـعى

طلبـــى النيـــل عنـــد غـــير منيـــل

يـــا أبـا الصقـر كـــم يدلك عنـــدي

ذلت المعرض في المكرمـــات وطـــول

كشـــف والمقام في عقب يـــأس

املن قلافيـــه او شـــفاء الغليـــل

الكفتني بقيـــة اللئام يتخفيـــفك ما آد مـــن خراجي الثقيل

وهجاه بقصيدة اخـــرى اولها :

قصـــة النيـــل فاسمعوها عجابـــه

ان في مثلهـــا تطـــول الخطابـــة

(١١) النيل ناحية تابعة الى محافظة بابل في العراق وتسمى الان ناحية المحاويل والنيل نهر متفرع من الفرات يسمى المحاويل الان والنيل قد حفره الحجاج وسماه بنيل مصر .

ادعـى التـل فرقتـان تلاحـوا

آل عبـد الا علـى وآل ثوابـه

حكـم العـادل الجنيـدي فيهـم

بصـواب فـلا عدمنـا صوابـه

احفـروا التـل يابنـى عبـد الاعلـى

وأثـيروا صـخوره وترابـه

ان وجـدتم فيـه شـبا! ابيكـم

كنتـم دون غيركـم اربابـه

او وجدتـم محاجمـا ان حفرتـم

زال شـك العصابـة المرتابـه

فبـدت جونـة مـن الخـوص فيهـا

آلـة الشـيخ وهـو جـد لبابـه

خالـد لا سـقى الالـه صـداه

فبنـوه اللئـام شـانوا الكتابـة

فجمع الى هجائه هجاء ابي ثوابه ، فبلغ ذلك احمد بن ثوابه ، فبعث اليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها ، فرده اليه ، وقال : قدا سلفتكم اساءة لايجوز معها قبول رفدكم ، فكتب اليه ، اما الاساءة فمغفوره ، واما المعذرة فمشكوره ، والحسنات يذهبن السيئات ، وما يأسو جراحك مثل يدك ، وقد رددت اليك ما رددته على واضعفته ، فأن تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا ، وان لم تفعل احتملنا وصبرنا ، فقبل بما بعث به ، وكتب اليه : كلامك والله احسن من شعري ، وقد اسلفتني ما اخجلني ، وحملتنى ما اثقلنى ، وسيأتيك ثنائي ، ثم غدا اليه بقصيدة اولها :

ظـلال لهـا مـاذا أرادت الـى الصـد

ونحـن وقـوف مـن فراق علـى حـد

مزاولـــة ان تخلـــط الـــود بالقلـــى
ومحرمـــة ان تلحـــق القـــوب بالبعـــد

رأت لمـــة على بياضهـــا سوادهـــا
تعاقـــب مبيـــض عليهـــا ومســـود

فلا تنسـيا الا عن هجرها اف هجرها
نجنـى الصخر يسقى امره من جنى الشهد

ولا تعجبا مـن نيـل دعـد بنيلهـا
وفي الثغـر الاغلى المجل مثـن دعـد

أضـن اخـلاء وضـن احبـه
فلا خلـة تصفى ولا خلة بجدى

يقـول فيهـا

وحينئل اشتياقها مبرح وصبابة
الى قويسمة النعمان والسيد بالصمرد
التى سابق الا يلحق القوم شضادها
بسليمى ولا يهتدى منه الى قصدهم
السلى ايبغى الاختلاق ما سمرد ايبغى
من الدهر الا عن جدى منه اي رفد
جديد اذا مازينه عن جنابه
وان طال عهد ان يكون على العهد

وان انبيا اهديت القريض مجازيا
فلن يوكين المهدى اليه ولا المهدى
مزايدة منى ومنه وكلنا
الى امد دانى النصيب من البعيد

تشذب من يعطي الرغائب دونه
وبان به ما بان بالكوكب السعد
فمن أين جئنا جمة من عطائه
وردنا وسير العيس خمس الى الورد
بغض عن المرفوع من درجاته
وان زيد في سلطان ذي تدراء نجد(١٢)
ويخشى شذاه وهو غير مسلط
وقد يتوقى السيف والسيف في الغمد
اذا قارعوه عن على الامر قارعوا
صليب الصفا من دونها خشن الحد

ولم يزل ابن توابه يصله بعد ذلك ، ويتابع بره لديه ، حتى افترقا(١٣) .

« البحتري وطاهر بن محمد الهاشمي »

بالرغم مما كان يتصف به البحتري من البخل والتقتير والتضييق على اخيه وخادمه بل وبالحقيقة على نفسه فأنه صاحب مرؤه وانصاف وان القصة التالية التي يحدثنا بها ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان(١٤) تبين لنا بوضوح مرؤته وانصافه واليك ما يقوله : ومن اخباره انه كان بحاب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمي ، مات أبوه وخلف له مقدار مائة الف دينار ، فأنفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله ، فقصده البحتري من العراق ، فلما وصل الى حلب قيل له : انه قد قعد في بيته لديون ركبته ، فاغتم البحتري

---

(١٢) التدرا : المدافع ذو العزه والمنعه . النجد . الشجاع الماضي فيما يعجز غيره السريع الاجابة الى مادعى اليه .

(١٣) مقدمة كتاب الحماسة بقلم الاستاذ كمال مصطفى ص ١١ .

(١٤) ج : ٥ ص ٧٩ و ٨٠ .

لذلك غما شديدا ، وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه ، فلما وصلته ووقف عليها بكى ، ودعا بغلام له ، وقال له : بع داري ، فقال له ، اتبيع دارك ونبقى على رؤوس الناس ، فقال ، لابد من بيعها ، فباعها بثلثمائة دينار ، فأخذ صرة وربط فيها مائة دينار ، وانفذها الى البحتري ، وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الابيات .

لو يكون الحباء حسب الذي انست لدينا به محل وأهل
لحثيت اللجين والدر والياقوت
حثوا وكان ذاك يقل
والاديب الاريب يسمح بالعذر
اذا قصر الصديق المقل

فلما وصلت الرقعة الى البحتري رد الدنانير وكتب اليه :

بأبي أنت والله للبر أهل
والمساعي بعد وسميك قبل
والنوال القليل يكثر ان شاء
مرجيك والكثير يقل
غير أني رددت برك اذ كان
ربا منك ، والربا لا يحل
واذا ما جزيت شعرا بشعر
فضى الحق والدنانير فضل

فلما عادت الدنانير اليه حل الصرة ، وضم اليها خمسين دينارا أخرى ، وحلف أنه لايردها عليه ، وسيرها ، فلما وصلت الى البحتري نشأ يقول :

شكرتك ان الشكر للعبد نعمة
ومن يشكر المعروف فالله زائده

لكل زمان واحد يقتدي به
وهذا زمانه انت لاشك واحده

« البحتري والموصل »

يحدثنا ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان ان البحتري قد اجتاز بالموصل ، وقيل : برأس العين ، ومرض بها مرضا شديدا ، وكان الطبيب يختلف اليه ويداويه ، فوصف له يوما (مزورة) ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه ، فقال للغلام : اصنع هذه (المزورة) وكان بعض رؤساء البلد عنده حاضرا ، وقد جاء يعوده ، فقال ذلك الرئيس : هذا الغلام ما يحسن طبخا ، وعندي طباخ من نعته وصفته ، وبالغ في حسن صنعته ، فترك الغلام عملها اعتمادا على ذلك الرئيس ، وقعد البحتري ينتظرها ، واشتغل الرئيس عنها ، ونسى امرها ، فلما ابطأت عنه وفات وقت وصولها اليه ، فكتب الى الرئيس :

وجدت وعدك زورا في مزورة
حلفت مجتهدا احكام طاهيها

فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها
ولا علت كف ملق كفه فيها

فاحبس رسولك عن ان يجيء بها
فقد حبست رسولي عن تقاضيها

« البحتري والمعري »

كان ابو العلاء معجبا بالبحتري ويصفه بانه الشاعر وقد ذكرت كتب الادب بأنه قد شرح ديوانه وسماه بعبث الوليد وانه من الكتب المفقودة . ولكثرة حبه له إستشهد بقول كان قد قاله البحتري وقد بقى اهل الادب

يستفسرون عن قول ابى العلاء المعرى وهذا ابن خلكان ينقل لنا هـذه القصة ويشرحها فيقول : واهل الادب كثيرا مايسألون عن قول ابى العلاء المعري .

وقال الوليد : النبع ليس بمثمر
واخطأ سرب الوحش من ثمر النبع

فيقولون من وليد المذكور ؟ واين من قال النبع ليس بمثمر ؟ ولقد سألنى عنه جماعة كثيرة ، والمراد بالوليد هو البحتري المذكور وله قصيدة طويلة يقول فيها :

عيرتني سجال العدم جاهلة
والنبع عريان ما في فرعه ثمر

وهذا البيت هو المشار اليه في بيت المعرى ، وانما ذكرت هذا لانه فائدة تستفاد .

« البحتري بين انصاره وخصومه »

يحدثنا عن هذه الخصومة التي تعد بابا كبيرا من ابواب النقد الادبي الامدى في كتابه (الموازنة) وانى سأقتصر عن اقتباس بعضها لان ذكر ما بتمامها وتفصيلها يحتاج الى اطالة لانرى مجالا لذكرها واليك هذه المناظرة .

١ ـ صاحب ابى تمام : كيف يجوز لقائل ان يقول ان البحتري اشعر من ابي تمام وعن ابي تمام أخذ وعلى حذوه احتذى ومن معانيه اشقى حتى قيل الطائي الاكبر والطائي الاصغر .

٢ ـ صاحب البحتري : اما الصحبة له فما صحبه ولا تتلحذ له ولا روى ذلك احد عنه ولا نقله ولا رأى قط إنه محتاج اليه ودليل ذلك الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند ابي سعيد محمد بن يوسف

الثغري وقد دخل عليه البحتري بقصيدته التي اولها :

أأفـاق صـب مـن هـوى فأفيقـا

وأبو تمام حاضر فلما انشدها علق ابو تمام منها ابياتا كثيرة فلما فرغ من الانشاد أقبل ابو تمام على محمد بن يوسف فقال أيها الامير ما ظننت أن احدا يقدم على ان يسرق شعري وينشده بحضرتي حتى اليوم ثم اندفع ينشد ما حفظه حتى أتى على ابيات كثيرة من القصيدة فبهت البحتري ورأى أبو تمام الانكار في وجه ابي سعيد فحينئذ قال له ابو تمام أيها الامير والله ما الشعر الا له وانه احسن فيه الاحسان كله وأقبل يقرظه ويصف معانيه ويذكر محاسنه ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى اضعف له الجائزة . فمن كان يقول مثل هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه قبل ان يعرف ابا تمام جدير به ان يستغنى عن ان يصحبه او يتتلمذ له او لغيره من الشعراء . على اني لا انكر أنه استعار بعض معاني ابي تمام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحتري من شعره وليس ذلك بمقتضى ان يكون ابو تمام استاذ البحتري ولا يمانع ان يكون البحتري اشعر من ابي تمام فهذا كثير قد أخذ من جميل واستقى من معانيه فما رأينا أن احدا قال ان جميلا اشعر منه بل هو عند اهل العلم بالشعر والرواية اشعر من جميل .

٣ ـ صاحب ابي تمام : ان البحتري نفسه يعترف بأن ابا تمام اشعر منه فقد سئل عنه وعن ابي تمام فقال ان جيده خير من جيدي وجيد ابي تمام كثير .

٤ ـ صاحب البحتري : ان كان هذا الخبر صحيحا فهو للبحتري لا عليه لان قوله هذا يدل على ان شعر ابي تمام كثير الاختلاف وشعره شديد الاستواء والمستوى الشعري اولى بالتقدمه من المختلف وقد اجتمعنا

نحن وانتم على ان ابا تمام يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا وان البحتري يعلو بتوسط ولا يسقط ومن لايسقط ولا يسف افضل ممن يسقط ويسف .

٥ ـ صاحب ابي تمام : ان ابا تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه اولا وأماما متبوعا وشهر به حتى قيل هذا مذهب ابي تمام وطريقة ابي تمام وسلك الناس نهجه واقتفوا أثره وهي فضيلة عرى عن مثلها البحتري .

٦ ـ صاحب البحتري : ليس الامر على ماوصفت وليس ابو تمام صاحب هذا المذهب ولا بأول فيه ولا سابق اليه بل سلك فيه سبيل مسلم بن الوليد واحتذى حذوه وأفرط في ذلك واسرف حتى زال عن النهج المعروف والسنين المألوف بل ان مسلما غير مبتدع له ولكنه رأى هذه الانواع التي وقع عليها اسم البديع متفرقة في اشعار المتقدمين فقصدها واكثر في شعره منها ولكنه حرص على ان يضعها في مواضعها ولم يسلم مع ذلك من الطعن عليه حتى قيل انه اول من افسد الشعر فجاء ابو تمام على أثره واستحسن مذهبه واحب ان يجعل كل بيت من شعره غير خال من هذه الاصناف فسلك طريقا وعرا واستكره الالفاظ والمعاني استكراها ففقد شعره وذهبت طلادته ونشف ماؤه فقد سقط الان احتجاجكم باختراع ابي تمام لهذا المذهب ومسبقه اليه وكل ما في المسألة أنه استكثر منه وافرط فكان افراطه فيه من اعظم ذنوبه واكبر معايبه . اما البحتري فانه ما فارق عمود الشعر وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء في شعره من الاستعاره والتجنيس والمطابقة فكان انفراده بحسن العبارة وحلاوة اللفظ وصحة المعنى والبعد عن التكلف والتعمل سببا في اجماع الناس على استحسان شعره واستجادته وتداوله ونفاق شعر الشاعر دليل على علو مكانته واضطلاعه بما يلائم الاذواق ويلامس القلوب من اساليب الكلام ومناهجه .

٧ ـ صاحب ابي تمام : انما اعرض عن شعر ابي تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور فهمه عنه ، اما النقاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره واذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه •

٨ ـ صاحب البحتري ، لا يستطيع احد ان ينكر منزلة ابن الاعرابي واحمد بن يحى الشيباني ودعبل بن الخزاعي من الشعر ومنزلتهم من العلم بكلام العرب ، وقد علمتم مذهبهم في ابي تمام وازد راءهم بشعره حتى قال دعبل ان ثلث شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح ، وقال ما جعل الله ابا تمام من الشعراء بل شعره بالخطب والكلام المنشور اشبه منه بالشعر ، وقال ابن الاعرابى في شعر ابي تمام ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل : وهذا محمد بن يزيد المبرد ما علمناه دون له كبير شيء •

٩ ـ صاحب ابي تمام : ان دعبلا كان يشنأ ابا تمام ويحسده على ما هو معروف ومشهور ، فلا يقبل قول شاعر في شاعر ، واما ابن الاعرابى فكان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه ولانه كان يرد عليه من معانيه ما لايفهمه ولا يعلمه فكان اذا سئل عن شيء منها يأنف ان يقول لا ادرى فيعدل الى الطعن عليه ،ولا مانع ان يكون جميع من تذكرونه على هذا القياس •

١٠ ـ صاحب البحتري : لا عيب على ابن الاعرابى في طعنه على شاعر عدل في شعره عن مذاهب العرب الى الاستعارات البعيدة المخرجه للكلام الى الخطأ والاحالة • والعيب في ذلك يلحق ابا تمام اذا عدل عن المحجه الى طريقة يجهلها ابن الاعرابى وامثاله من المضطلعين بالسليقه العربية •

١١ ـ صاحب ابي تمام : ان العلم في شعر ابي تمام أظهر منه في شعر البحتري والشاعر العالم افضل من الشاعر غير العالم •

١٢ ـ صاحب البحتري : كان الخليل بن احمد عالما شاعرا ، وكان الاصمعي

شاعرا عالما ، وكان الكسائي كذلك ، وكان خلف بن حيان الاحمر اشعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء والتجويد في الشعر ليست عانه العلم والشائع المشهور أن شعر العلماء دون الشعراء وقد كان ابو تمام يعمل على ان يدل في شعره على علمه باللغة وكلام العرب .

أما البحتري فلم يقصد هذا ولا اعتمده ولا كان يعده فضيله ولا يراه علما . بل كان يرى انه شاعر لابد له أن يقرب شعره من فهم سامعه فلا يأتي بالغريب الا ان يتفق له في اللفظة بعد اللفظة في موضعه من غير طلب ولا حرص عليه . على ان هذا العلم الذي تؤثرون به ابا تمام لم ينفعه فقد كان يلحن في شعره لحنا يضيق العذر فيه ولا يجد المتأول له مخرجا منه الا بالحيلة والتحمل الشديد .

١٣ ــ صاحب أبي تمام : لسنا ننكر ان يكون صاحبنا قد وهم في بعض شعره وعدل عن الوجه لاوضح في كثير من معانيه ، وغير غريب على فكر نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ما ولد ان يلحقه الكلال في لاوقات والزلل في الاحيان بل من الواجب لمن احسن احسانه ان يسامح في سهوة ويتجاوز له عن حطئه وما رأينا احدا من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ولا من اخذ الرواة عليه الغلط والعيب وكذلك ما اخذته الرواة على المحدثين المتأخرين من الغلط الخطأ واللحن لشهر من ان يحتاج الى ان نبرهنه او تدل عليه ، وما كان احد من اولئك ولا هؤلاء مجهول الحق ولا مجحود الفضل بل عفا احسانهم على اساءتهم وتجويدهم على تقصيرهم .

١٤ ــ صاحب البحتري : أما اخذ السهو والغلط على من أخذ عليهم من المتقدمين والمأخرين ففي البيت الواحد والبيتين والثلاثة اما أبو تمام فلا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة أبيات يكون فيها مفسدا او

محيلا او عادلا عن السنن او مستعيرا استعارة قبيحة أو مخطئا المعنى بطلب الطباق والتجنيس او مبهما بسوء العبارة والتعقيد حتى لايفهم ولا يوجد له مخرج .

١٥ ــ صاحب ابي تمام : انكم تنكرون على ابي تمام من الفضل ما يعترف به البحتري نفسه فقد رثاه بعد موته رثاه اعترف فيه له بالسبق وفضله على شعراء عصره .

١٦ ــ صاحب البحتري : لم لا يفعل البحتري ذلك وقد كان هو وابو تمام صديقين متحابين ، واخوين متصافين ، يجمعهما الطاب والنسب المكتسب ، فليس بمنكر ولا غريب ان يشهد احدهما لصاحبه بالفضل ويصفه باحسن ما فيه وينحله ما لبس فيه على أن الميت خاصة يعطى في تأبينه من التفريظ والوصف وجميل الذكر اضعاف ما كان يستحقه .

١٧ ــ صاحب ابي تمام : كيفما كان الامر لا تستطيعون ان تدفعوا ما اجمع عليه الرواة والعلماء أن جيد ابي تمام لا يتعلق به جيد امثاله واذا كان جيده بهذه المكانه وكان من الممكن اغفال رديئه واطراحه كأنه لم يقله فلا يبقى ريب في أنه اشعر شعراء عصره والبحتري واحد منهم .

١٨ ــ صاحب البحتري : انما صار جيد ابي تمام موصوفا ومذكورا لندرته ووقوعه في تضاعف الردىء فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه وجيد البحتري كجيد ابي تمام الا أنه يقع في جيد مثله او متوسط فلا يفاجىء النفس منه ما يفاجئها من جيد صاحبه .

شعر البحتري :

ومحدثنا عن شاعريته الاستاذ كمال مصطفى في مقدمة كتاب الحماسة للبحتري الذي الفه وجمعه على غرار كتاب الحماسة لابي تمام وهذا نص ما يقوله :

البحتري شاعر فاضل ، حسن المذهب ، نقى الكلام مطبوع ، ترسم خطو أبي تمام في الشعر ، ومضى على أثره في البديع الا أنه اجاد في سبك اللفظ على المعنى « واراد ان يشعر فغنى » كما قال فيه ابن الاثير ، واستمد معانيه من وحث الخيال وجمال الطبيعة ، لامن قضايا العلم والمنطق ، فأعاد للشعر ما ذهب من بهجته وروعته •

قال ابن خلكان :

« يقال انه قيل لابي العلاء المعرى : اي الثلاثة اشعر : ابو تمام ام البحتري ام المتنبي فقال : المتنبي وابو تمام حكمان وانما الشاعر البحتري» ولعمري ما انصفه ابن الرومي في قوله :

والفتى البحتري يسرق ما قال
ابن اوس في المدح والتشبيب
كل بيت يجود معناه
فمعناه لابن اوس حبيب

نعيت والله الى نفسي

انشد البحتري ابا تمام يوما شيئا من شعره فتمثل ببيت أوس بن حجر :

اذا مقرم منا ذر احد نابه
تخمط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال : نعيت والله الى نفسي ، فقال اعيذك بالله من هذا القول ، فقال : ان عمرى لن يطول وقد نشأ في طئى مثلك ، اما علمت ان خالد بن صفوان رأى شبيب بن شبه وهو من رهطه يتكلم فقال : يابنى لقد نعى الى نفسي احسانك في كلامك ، لانا اهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط الا مات من

قبله ، فقال : بل يبقيك الله ويجعلني فداءك ومات ابو تمام بعد سنة(١٥) » ٠

ظلموك والله ما وفوك حقك :

حدث البحتري قال : قال ابو تمام : بلغني ان بنى حميد اعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم به فأنشدني ، فانشدته بعض ما قلته فيهم ، فقال لى : كم أعطوك؟ فقلت كذا وكذا ، فقال ظلموك والله ما وفوك حقك ، فلم استكثر ما دفعوه اليك ، والله لبيت منها خير مما أخذت ، ثم قال : لعمرى لقد استكثرت واستكثر لك لما مات الناس ، وذهب الكرام ، وغاضت المكارم ، فكسدت سوق الادب ، انت والله يا بنى امير الشعراء غدا بعدي :

فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه ، وقلت له : والله لهذا القول اسر لقلبى واقوى لنفسي ، مما وصل الي من القوم(١٦) ٠

طريقة البحتري الشعرية :

كانت للبحتري طريقة خاصة في الجزاله والعذوبة والفصاحة امتاز بها من استاذه ومدره ، نهجها معاصروه ومن جاء بعدهم من الشعراء وعرفت بطريقة اهل الشام ٠ وقد تصرف البحتري في فنون الشعر الا في الهجا فان بضاعته فيه نزره وجيدة منه قليل ، وكان ابنه ابو الغوت يزعم ان السبب في قلة بضاعته في هذا الفن انه لما حضره الموت دعابه وقال له : اجمع كل شيء قلته في الهجاء ، مفعل ، فأمره باحراقه ، ثم قال له يابنى ، هذا قلته في وقت فشغيث به غنطى ـ وكافأت به قبيحا فعل بى ، وقد انقضى اربى في ذلك ، وان بقى رؤى ، وللناس اعقاب يورتونهم العدادة والمودة ، واخشى ان يعود عليك من هذا شيء في تفسك او معاشك لا فائدة لك ولا لى منه ، قال : فعلمت أنه قد نصحنى واشفق على ، فأحرقته ، والذي وجدناه وبقى في أيدى

(١٥) وفيات الاعيان لابن خلكان ج : ٥ ص ٧٦ ٠
(١٦) مقدمة كتاب الحماسة للبحترى تحقيق الاستاذ كمال مصطفى ٠

الناس من هجائه ، اكثره ساقط لايشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه وينبىء بركاكته ، وغثاثة الفاظه عن قلة حظه في الهجاء .

لم يسلم شعر البحتري من الساقط الغث لكثرته ، وانما يمتاز بالاجادة في المدح والقصد فيه ، والقدرة على تصوير اخلاق الممدوح ، والابداع في وصف القصور البديعة والابنية العجيبة ، كوصفه ايوان كسرى وبركة المتوكل ، وقصر المعتز بالله ، وقصائده تكاد لا تخلو من افتتاح بالغزل(١٧).

ويقول المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي(١٨) عن البحتري انه افضل الشعراء حسن ديباجة وجمال اسلوب واحسن ما يجيد فيه الوصف والوصف لب الشاعرية وجوهرها .

وقد عقد الامدي في كتابه الموازنة(١٩) فصلا بحث فيه عن معايب البحتري نقتطف قسما منها غير ملتزمين الترتيب والتسلسل الذي اورده الامدي الذي قال : وهذا الان ما اخطأ فيه البحتري من المعاني .

١ ـ قال البحتري :

ذنب كما سحب الرواء يذب عن ... عرف وعرف كالقناع المسبل

هذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس ـ اذا مس الارض ـ كان عيبا فكيف اذا سحبه ، وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس :

---

(١٧) مقدمة كتاب الحماسة للبحترى تحقيق الاستاذ كمال مصطفى .
(١٨) مختارات المنفلوطي ص ١٣ .
(١٩) ص ٣١٢ .

بضاف فويــق الارض ليس باعزل

فقال « فويق الارض » اي : فوق الارض بقليل .

٢ ـ وقــال البحتري :

هجرتنـــا يقظــــى وكـــادت علـــى
عاداتهـــا فـي الصــــدود تهجرونــنى

وهذا عندى غلط لان خيالها يتمثل له في كل احوالهـا ، يقضى كانت اووسنى .

٣ ـ وقال البحتري في مدح المعتز بالله :

لا العذل بروعه ولا التسعنيف عن كرم بصدم .

وهذا عندى من لعجن ما مدح به خليفة واقبحه ، ومن ذا يعنف الخليفة او يصده ؟ ان هذا بالهجوء اولى منه بالمدح .

٤ ـ وقــال البحتري :

شـــرطى الانصــــاف ان قيـــل إشـترط
وصــــديقي مــن اذا قـــال قســـط

وكان يجب ان يقول « اقسط » اى : عدل وقسط ـ بغير الف ـ معناه جار قال الله تبارك وتعالى : (واما القاسطون فكأنوا لجهنم حطباً) وقال : (ان الله يحب المقسطين) .

٥ ـ وقال البحتري :

قف العيس قـد ادنـى خطاهــا كلالهـــا
وســـل دار سعدى ان شــفاك ســؤالها

هذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد ، لانه قال (قد ادنى خطاها كلالها) اى : قرب من خطوها الكلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار التي تعرض لان يشفيه سؤالها ، وانما وقف لاعياء المطى .

٦ ـ وقال البحتري :

غريب السجايا ما تزال عقولنا
مدلهة في خلة من خلاله
اذا معشر صانو السماح تعسفت
به همة مجنونة في ابتذاله

قوله (اذا معشر صانو السماح) معنى رديء ، لان البخيل ليس من اهل السماح فيكون له سماح يصونه ، وسواء عليه قال : صانو السماح ، او صانوا السخاء ، او صانوا الجود ، او صانوا الكرام ، فان هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئا ، وهو منهم بعيد فكيف يصونونه ؟

٧ ـ وما عيب عليه من التعسف والتعقيد في اللفظ قوله :

فتى لم يمل بالنفس منه عن العلى
الى غيرها شيء سواها مميلها

وكان بعض الناس يرى انه لاحق ، ويقول : انما اراد فتى لم يمل بنفسه عن العلى شيء مميل نفس سواه ، اى : ما يميل النفس عن المعالى من اللهو واللعب والدعة وحب الراحة والضن بالمال ، ونحو هذا من الاشياء الشاغلة عن السؤدد ، فقدم (سواه) وكنى عن النفس بقوله (مميلها) بعد ان حذفها قال : وذلك غير جائز ، لانك اذا قلت (لن يضرب هامة عمرو) فقلت : لن يضرب هامة عمرو واحد غير ضاربها ، وجعلت الهاء في (ضاربها) كناية عن الهامه لتقدمها جاز ، الا ان البصريين من النحويين يقولون « هامة غير ضاربها

هو » كما انه لو قال (شيء نفس سواء مميلها هو) جاز فان فصلت الاضافة واسقطت هامة وتدمت غير فقلت (لن يضرب هدمة عمرو واحد غير ضاربها) لم يجز لا سقاطك الهامة التي كفايتها الهاء في قولك (ضاربها) ولا تجوز الكناية عن غير مذكور مثل هذا ، فكذلك لايجوز في البيت « شيء سواه مميلها » وهو يريد شيء نفس سواء مميلها ، لان الهاء في قوله (مميلها) كناية عن النفس ، فلا يجوز اسقاط النفس .

٨ ـ ومن رديء التجنيس وقبيحه للبحتري قوله :

حييت بل سقيت من معهودة
عهدى غدت مهجورة ما تعهد

يخاطب الدمن ، اى : عهدى بها معمورة معهودة فقدت معهودة ما تعهد وقد يكون تعهد من التعهد ، ويكون قوله « ما تعهد » اى : قد نسيت وهذا شبه تجنيسات ابي تمام .

ونكتفى بهذا القدر كما قطعنا على نفسنا العهد خشية الاطالة والاطالة فيها ما فيها من الملاله والفجر .

ومن شعره الوصفى الذي يصف فيه القصر الكامل أحد قصور سامراء التي عفيت ولم يبق منها الا اسمها وهو احد القصور التي بناها المعتز بالله واليك ما يقوله مخاطبا المعتز :

لما كملت روية وعزيمة
اعملت رأيك في ابتناء الكامل
وغدوت من بين الملوك موقعا
منه لايمن حلة ومنازل
ذعر الحمام وقد ترنم فوقه
من منظر خطر المزلة هائل

رفعت لمخترق الرياح سموكه
وزهت عجائب حسنه المتخايل
وكأن حيطان الزجاج بجوه
لجج يمجن على جنوب سواحل
وكأن تفويف الرخام اذا التقى
تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر
ومسير ومقارب ومشاكل
لبست من الذهب الصقيل سقوفه
نورا يضيء على الظلام الحافل
فترى العيون يجلن في ذى رونق
متلهب العالي انيق السافل
وكأنما نشرت على بستانه
سيراء وشي اليمنة المتواصل
اغنته دجلة اذ تلاحق فيضها
عن صوب منسجم الرباب الهاطل
وتنفست فيه الصبا فتعطفت
اشجاره من حيل وحوامل
مشي العذارى الغيد رحن عشية
من بين حالية اليدين وعاطل
والخير يجمع والنشاط لمجلس
عالي المحل من السماحة آهل
وافيته والورد في وقت معا
ونزلت فيه مع الربيع النازل

وغـــدا بنـــوروز عليـــك مبـــارك

تحويـــل عـــام اثـــر عـــام حائـــل

مليتـــه وعمـــرت في بجوحســـة

مـــن دار ملكك الف حـــول كامـــل

الحق يقل ان هذا هو السحر الحلال واللؤلؤ المنثور والذهب الابريز الذي يتدفق امـام العقل •

وقال في الاعتذار والاستعطاف :

قـــد ينـــاك مـــن اى خطـــب عـــرا

ونائبـــة اوشـــكت ان تنوبـــا

وان كـــان رأيـــك قـــد حـــال في

فلقيتنـــى بعـــد بشـــر قطوبـــا

أكـذب ظنى بأنـى قـد سخطـت وما كنـت اعهد ظنى كذوبا

ولـــو لـــم تكـــن ســـاخطا لم اكـــن

اذم الزمـــان واشـــكو الخطوبـــا

ايصـــبح وردى فـــي ساحتسيك طرقـا ومرعاى محلا جديبا

ومـــا كـــان ســـخطك الا الفـــراق

افـــاض الدمـــوع واشـــجى القلوبـــا

ولـــو كنـــت اعـــرف ذنبـــا لما كـــان

خالجنـــى الشـــك في أن اتوبـــا

ســـاصبر حتـــى الاقـــى رضـــاك

امـــا بعيـــدا وامـــا قريبـــا

اراقب رأيك حتى يصح
وانظر عطفك حتى يتوبا

وقال يمدح المتوكل ويهنئه بعيد الفطر :

بالبر صمت وانت افضل صائم
وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عينا انه
يوم اغر من الزمان مشتهر
اظهرت عز الملك فيه بجحفل
لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت
عددا يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعى
والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها
والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس مانعة توقد بالضحى
طورا ويطفئها العجاج الاكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت
تلك الدجى وانجاب ذاك العيثر
ورنا اليك الناظرون فاصبع
يوما اليك بها وعين تنظر
يجدون نعمتك التي فازوا بها
من انعم الله التي لاتكفر

ذكـروا بطلعتـك النبـي فهللـوا
لمـا طلعت مـن الصفوف وكبروا

حتـى انتهيت الـى المصلى لابسـا
نـور الهـدى يبدو عليـك ويظهـر

ومشـيت مشـية خاشـع متواضـع
لله لايزهـى ولا يتكبـر

فلـو أن مشـتـاقا تكلـف غيرمـا
في وسـعه لسـعى اليـك المنبـر

ابديـت مـن فصـل الخطـاب بحكمـه
تنبـي عـن الحـق المبـين وتخبـر

ووقعـت في بـرد النبـي مذكـرا
باللـه تنـذر تـارة وتبشـر

ومن قوله في الطيف :

اذا مـا الكـرى اهـدى الى خيالـه
شـفى قربـه التبريـح او نقـع الصدى

اذا انتز عنـه مـن يـدى انتباهـة
حسـبت حبيبـا راح منـى او غـدا

ولـم ار مثلينـا ولا مثـل شـأننا
نعـذب ايقاظـا وننعـم هجـدا

وقال يصف بركة المتوكل :

كثير من الناس من يعتقد ان بركة المتوكل هي البركة التي تقع قرب دار العامة ولكن الحقيقة ان البركة التي يصفها البحتري في قصيدته الاتية هي التي تقع جنوب سامراء في منطقة تسمى (المشرحات) اذ أن الوصف

الذي يصفها البحتري فيها ينطبق عليها تمام الانطباق الى وقتنا هـذا واليك قـوله :

ميلـوا الـى الـدار مـن ليلـى نحييهـا
نعـم وتسـألها عـن بعض اهليهـا
ياد منـه جاذبتهـا الريـح بهجتها
تبيـت نشرهـا طـورا وتطويهـا
لازلـت في حلـل للخـير ضافيـة
ينيرهـا البـرق احيانـا ويسـديها
تـروح بالوابـل الدانـي روائحهـا
علـى ربوعـك او تغـدو غواديهـا
لئن النحيلـة لـم تنعـم لسـائلها
يـوم الكتيـب ولـم تسـمع لداعيها
مـرت تأود في قـرب وفي بعـد
فالهجـر يبعدهـا والـدار تدنيهـا
لـولا سـواء عـذار ليس يسلمني
الـى النهـى لعـدت نفسـي عواديها
قـد اطـرق الغـادة البيضـاء معتـذرا
علـى الشـباب فنصبيني وأصبيهـا
في ليلـة مـا ينال الصـبح آخرهـا
علقـت بالـراح أسقاهـا واسـقيها
عاطيتهـا غضـة الاطـراف مرهفـة
شـربت مـن يدهـا خمـرا ومن فيهـا
يـا مـن رأى البركـة الحسـناء رؤيتها
والانسـات اذا لاحـت مغانيهـا

بحسبها انها في فضل رتبتها
تعد واحدة والبحر ثانيها
ما بال دجلة كالغيرى تنافسها
في الحسن طورا واطوارا تباهيها
اما رأت كالئ الاسلام يكاؤها
من ان تعاب وباني المجد يبنيها
كأن جن سليمان الذين ولوا
أبداعها فادقوا في معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض
قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا
مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس احيانا يضاحكها
وريق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها
ليلا حسبت سماء ركبت
لا يبلغ السمك المحصور غايتها
لبعد ما بين قاصيها ودانيها
يعمن فيه أوساط مجنحة
كالطير تنقض في جو خوافيها

لهـــن صـــحن رحيـب في اســـافلها
اذا انحططـــن وبهـــو في اعاليهـــا

صـــور الى صـــورة الدلفـين يؤنسـها
منـــــه انـــــزداء بعينيـــه يوازيهـــا

تغنـــى بســـايتنهـــا القصـوى برؤيتها
عـــن الســـحائب منحـلا عـــزا ليهـا

كأنهـــا حـــين لجـــت في تدفقهـــا
يـــد الخليفـــة لمـــا ســـال واديهـــا

وزادهـــا رتبـــة مـــن بعـــد رتبتهـــا
أن اسـمه يـــوم يدعـــى مـــن اســـاميها

محفوفـــة برياض لا تـــــزال تـــرى
ريش الطواويس تحكيـــــه ويحكيهـــا

ودكتـــين كمثـــل الشـــعرتين غـــــدت
احداهمـــا بـــأزا الاخـــرى تســـاميها

اذا مســـاعى امـــير المؤمنـين بـــدت
للواصـــفين فـــلا وصـــف يدانيهـــا

ان الخلافـــة لمـــا اهتـــز منبرهـــا
بجعفـــر اعطيـــت اقصـــى امانيهـــا

ابـــدى التواضـــع لمـا نالهـا دعـــة
عنهـــا ونالتـــه فاختالـــت بـــه تيهـا

اذا تحلـــت لـــه الدنيـــا بحليتهـــا
رأت محاســـنها الدنيـــا مســـاويها

ومما قاله البحتري في ذم الزمان(٢٠)

ان الزمـــان زمـــان ســـو
وجميـــع هـــذا الخلـــق بـــو
فـــاذا ســـألتهم نـــدى
فجوابهـــم عـــن ذاك وو
لو يملكـــون الضـــوء بخـــلا لـــم يكن للخالـــق ضـــو
ذهـــب الكـــرام بأسرهـــم
وبقـــى لنـــا ليـــت ولـــو

وقال في علوه الحلبية(٢١)

كـــم ليلـــة فيـــك بـــت أسهرهـــا
ولوعـــة مـــن هـــواك أضمرهـــا
وحرقـــة والدمـــوع تطفئهـــا ثـــم يعـــود الجـــوى فيسعرها
يـــا علـــو علـــى الزمـــان يعقبنـــا
ايـــام وصـــل تظـــل نشكرهـــا
بيضـــاء رود الشـــباب قـــد غمســـت
في خجـــل دائبـــا يعصفرهـــا
جـــدولة هزهـــا الصـــبا فشـــجا
قلبـــك مســـموعها ومنظرهـــا
لا تبعـــث العـــود تســـتعين بـــه
ولا تبيـــت الاوتـــار تخفرهـــا

---

(٢٠) ديوانه ص ١ / ص ٤٧ ط : بيروت سنة ١٩١١ م .
(٢١) المصدر السابق ص ٢ / ص ٥٢٦ .

الله جـــار لهـــا فمـــا امتـــلات
عينـــي الا مـــن حيـــث ابصرهـــا

وقال فيهـا ايضا(٢٢)

يا موعـــــدا منهـــا ترقبتـــه
والصـــبح فيمـــا بيتـــا يســـفر
همـــت بناحتـــي اذا قبلـــت
نـــم عليهـــا المســـك والعنبـــر
يامزنـــة يحتثهـــا بـــارق
وروضـــة انوارهـــا تزهـــر
مـــا انصـــف العـــاذل في حبكـــم
بمثلكـــم مـــن يبتلـــي يصـــبر

ومما قاله البحتري في الهجاء

قد قدمنا لك ان البحتري قد جمع ما قاله من شعر في الهجاء واحرقه خشية ان يلحق اذى بولده ابي الغوث من بعده ، وعلى الرغم من هـــذه الحكاية التاريخية التي اسلفنا ذكرها فان هنالك بعض المقاطيع الشـــعرية في ديوانه التي فيها ذكر الهجاء واليك ذلك حيث يقول :

وقال يهجو علي بن الجهم(٢٣)

يا علـــي بـــل يا ابـــا الحســـن
المـــالك رق الظريفـــة الحســـناء

)٢٣(المصدر السابق جـ ٢ / ص ٥٣٧ .
(٢٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٣٨ .

اتــق الله انـــت شــاعر قيس
لا تكــن وصــمة علـى الشـعراء

ان اخـوانك المقيمين بالامس أتـوا للزنـاء لا للغنـا
هبـك تستمـع الحديـث فمـا علمك بالغمز فيـه والايماء
والاشـارات بالعيـون وبالايـدى وأخـذ الميعـاد للالتقاء

قـد لعمـرى توردوا خطـة العـذر
وجـاء بالسـوءة السـوأء

غيرمـا ناظريـن في حرمـة الود ولا ذاكريـن عهـد الاخـاء

قطعـوا امرهـم وانـت حمـار
موقـر مـن بـلادة وغبـاء

وقال يهجو طماسا وبعث اليه بغلامه في حاجة له فلم يقض الحاجة ولم يبلغ الغلام ما يجب وكان طماس والغلام اعورين .

بالاعوريـن المعموريـن أخـل بـي
أملـى وعـاودنـى تمكـن ياسـي

ومـن الضـلاله أن رجـوت لحاجتى
اخـلاص مسـعود ورفـد طمـاس

لا يبـرح المضـاض كحـل صحيحتى
رجسـين مرذولـين في الارجـاس

واذا عـددت على طمـاس عيبـه
لـم أرض الحاظـى ولا انفاس
ادنـو واقصـر عـن مـداه وانما
ارمـى مـن الملعـون في برجـاس

هــلا ابــو الفــرج اســتعار مداعى
اوردنــا فيهـــا الـــى العبــاس

قمــر جــلا ظلــم الخطــوب ضياؤه
عنــا وبـــدر راهـــن الاينـــاس

لــم أنس مــا ســبقا اليــه ولم أكــن
ليـــد الصـــديق المســتماح بناســى

ونبـــو ضـــدهما ولســـت بواجــد
عنـــد الكـــلاب رضى فعـل النـــاس

وقال يعاتب اسماعيل بن شهاب :

هـــل للنـــدى عـــدل فيغـدد منصـفا
مــن فعــل اســماعيله بــن شـــهابه

العــارض الثجـــاج فـــي اخلاقـــه
والروضـــة الزهـــراء في آدابـــه

ازرى بـــه مـــن غـــدره بصديقـــه
وعقوقـــه لاخيـــه مـــا ازرى بـــه

في كـــل يـــــوم وقفـــة بفنائـــه
تخـــزى الشـــريف وردة عـــن بابـــه

اســمع لغضـــبان تثبـــت ســـاعة
فبـــداك قبـــل هجائـــه بعتابـــه

الله يســـهر في مديحـــك ليلـــه
متملمـــلا وتنـــام دون ثوابـــه

يقضـان ينتخـب الكـلام كأنـه
جيش لديـه يريـد ان يلقـى بـه

فأنـى بـه كالسـيف رقـرق صـيقل
مـا بـين قائـم سـنخه وذ بابـه

وحجبتـه حتـى توهـم أنـه
هـاج اتـاك بشـتمه وسـبابه

واذا الفنـى صـحب التباعـد واكتسى
كبـرا علـى فلسـت مـن اصحابه

ولـرب مغـر لى بغيظـك زادنـى
غيظـا بجيئـة قولـه وذهابـه

لـولا الصـفاء وذمـة أعطيتهـا
حـق الوفـاء قضيت مـن آرابـه

وكتب اليه محمد بن على القمى بيت شعر وهو :

هجـرت كـأن الوصـل اعقـب هجـرة
ومـا خلـت وصـلا قبلها يعقـب الهجـرا

فأجابـه البحتري :

فتـى مذهـج عفـوا فتـى مذهـج غفرا
لمعتـذر جـاءت اسـاءته تتـرى

ومـن يهـب النيـب الذي سـمحت بـه
يـداك بـلا مـن فلـن يمنـع العـذرا

فـان قلـت بي كبر فمثـل الـذي ارى
علـى النـاس مـن نعمـاك يملأنى كبـرا

مواهـــب لى منهـا الغنى فمتـى التقـى
بســاحتها حمـد فلـى حمدهـا طـرا

تضــاف الـى مجـدى وتجـرى الى يدى
فأملكهـا مـالا واملكهـا فخـرا

أتانـى فريض منـك يحـدوه نائـل
فانطقنـى جـودا وافحمنـى شـعرا

واكسـبنى شـغلا عـن الوصل شاغلا
يعاتبنـى فيـه وتعتبـه هجـرا

فـان كنـت مشـغوفا بقـربى آنسـا
بشـخص فلـم خولتنـى ذلك البـدرا

لئـن كـان اسـعافى بـه منك قبلهـا
وفـاء لقـد كـان انفـرادى بـه عـذرا

ومـا هـو الا درة لـم اجـد لهـا
سـوى جـودك الامسـى اذ برزت بحرا

حملـت عليـه في سـبيل فتـوة
هي الثغر خلف المجد بـل تفضـل الثغـرا

فانـت تصـيب الحمـد حيـث تلالات
كواكبـه ان انـت لـم تصب الاجـرا

وجـدت نـداك اليـوم الطـف موقعـا
وقـد كـان لـى خـلا فاصبح لى صـهرا

فـان انا لـم اشـكرك نعماك جاهـدا
فـلا نلـت نعمى بعدهـا توجب الشـكرا

قصرا الصبيح والمليح والبحتري :

ذكرت التاريخ ان المتوكل على الله الخليفة العباسي قد عمر قصورا كثيرة في سامراء وعدت منها قصري الصبيح والمليح واكتفيت بذكرهما دون وصيفهما ولكن خير من يحفظ لنا وصف هذين القصرين وموقعهما هو الشاعر البحتري الذي يصفها بقصيدته الميميمية والتي يمدح فيها المتوكل حيث يقول(٢٤) وقوله نقتصره فيما يتعلق بالقصرين وربما تجاوزنا بعض الشيء لاتمام المعنى :

انما العيش ان تكون الليالي
مفضلات طولا على الايام

قد صنعنا جانب الهواء ولذت
رقة الماء في مزاج المدام

واستتم الصبيح في خير وقت
فهو مغنى أنس ودار مقام

ناظر ، وجهة المليح فلو يسطيع حياه معلنا بالسلام

ألبسا بهجة وقابل ذا ذاك فمن ضاحك ومن بسام

كالمجين لو طاقا النقاد
افرطا في العناق والالتزام

تنقذ الريح جريها بين قطريسه فتكبو من ونية وسام

مستمد بجدول من عباب الماء كالابيض الصقيل الحسام

واذا ما توسط البركة الحسناء القت عليه صبغ الرخام

---

(٢٤) ديوان البحتري ج : ٢ طبع بيروت ١٩١١ .

فتـــراه كأنـــــه مـــاء بحـــر

يخـدع العـــين وهـــو مـــاء غمـــام

والدواليـــب ان يـــدرن ولا ناضح يمشى بهن غـــير النعام

بـــدع انشـئت لاولـــى عبـاد الله بالركن والصفا والمتعـام

ان خـير القصـــور اصبح مزهوا بكـــره العدى لخـــير الانـــام

جـاور الجعفري وانحـاز شـيد اذ اليـه كالراغـب المعتـام

حلـل مـــن منـازل الملك كالانجـــم يلمعـــن في ســـواء الظلام

غـرف مـــن بنـــاء دينـــى ودنيـــا

يوجـــب الله فيـــه أجـــر الامـــام

شـــوقتنا الـــــى الجنـــان فزدنـــا

فـــي اجتنـــاب الذنـــوب والاثـــام

خاتمـــة البحتري :

يقول الاستاذ محمد محى الدين عبد الحميد في مقدمته على كتـــاب (الموازنة) للامدى : ان البحترى اتصل بكثير من رجالات الدولة ومـــدح الكثيرين واكثر مدائحه في امير المؤمنين المتوكل على الله ، ووزيره الفتـــح بن خاقان ، وما زال متصلا منهما بسبب يختلف اليهمـــا ويمدحهما الى ان قتلا على مشهد منه ، فرجع الى منبج وبقى يختلف الى الرؤساء في بغـــداد وسر من رأى ويمدحهم •

وقبل ذكر وفاتـــه نذكر قصيدته الى رثى فيها المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان كما هي في ديوانه(٢٥) •

---

(٢٥) طبع بيروت ســـنة ١٩١١ ، المصدر السابق •

محل على القاطول اخلق واتره
وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

كأن الصبا توفى نذورا اذا أنبرت
تراوحه اذ بالها وتباكره

ورب زمان ناعم ثم عهده
ترق حواشيه ويورق ناظره

تغير حسن الجعفري وأنسه
وقوض بادى الجعفرى وحاظره

تحمل عنه ساكنوه فجاءة
فعادت سواء دوره ومقابره

اذا نحن زرناه أجد لنا الاسى
وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

ولم أنس وحش القصر اذ ربع سربه
واذ ذعرت اطلاؤه وجاذره

واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت
على عجل استاره وستائره

ووحشته حتى كأن لم ينعم به
أنيس ولم تحسن لعين مناظره

كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة
بشاشتها والملك يشرق زاهره

ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها
وبهجتها والعيش غض مكاسره

فأيـن الحجـاب الصعب حيث تمنعت
بهيبتهـا ابوابـه ومقاصـره

وأيـن عميـد النـاس في كـل نوبـة
تنـوب وناهـى الدهـر فيهـم وآمـره

تخفـى لـه مغتالـه تحـت غـرة
وأولـى لمـن يغتالـه لـو يجاهـره

فما قاتلـت عنـه المنايـا جنـوده
ولا دافعـت املاكـه وذخائـره

ولا نصـر المعتـز مـن كـان يرتجـى
لـه وعزيـز القـوم مـن عـز ناصره

تعـرض نصـل السـيف مـن دون فتحـه
وغيـب عنـه في خراسـان طاهـره

ولـو عـاش ميـت او تقـرب نـازح
لـدارت مـن المكـروه ثـم دوائـره

ولـو لعبيـد الله عـون عليهـم
لضـاقت علـى وراد أمـر مصـادره

حلـوم أضلتهـا الامانـي ومـدة
تناهـت وحتـف او شـكته مقـادره

ومغتصـب للقتـل لـم يخش رهطـه
ولـم تحتشـم اسـبابه وأواصـره
صـريع تقاضـاه السـيوف حشاشـة
يجـود بهـا والمـوت حمـر أظافـره

أدافع عنه باليدين ولم يكن
ليثني الاعادي اعزل الليل حاسره

ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي
درى الفاتك العجلان كيف أساوره

حرام على الراح بعدك اوارى
دما بدم يجرى على الارض مائره

وهل ارتجى ان يطلب الدم واتر
يد الدهر والموتور بالدم واتره

أكان ولى العهد اصخر غدرة
فمن عجب أن ولى العهد غادره

فلا ملى الباقى تراث الذي مضى
ولا حملت ذاك الدعاء منابره

ولا وأل المشكوك فيه ولا نجا
من السيف ناضي السيف غدرا وشاهره

لنعم الدم المسفوح ليلة جعفر
هرقتم وجنح الليل سود دياجره

كأنكم لم تعلموا من وليه
وباغيه تحت المرهفات وثائره

واني لأرجو ان ترد اموركم
الى خلف من شخصه لايغادره

مقلب اراء تخاف أناته
اذا الاخرق العجلان خيفت بوادره

اقول ان ما قاله البحتري في دعواه بهذه القصيدة من انه كان ويتمنى ان سيفه كان بيديه ليعمل بالفاتك ما تعمل يدافع عن الخليفة بيديه لايتفق والقصة المشهورة عنه بأنه عندما كان جالسا معه والفتح بن خاقان وانهال عليه جماعة المعتز فر هاربا واختفى في دهليز . كما ان رواة الادب يذكرون عنه انه كان جبانا ولم ندر ان دعواه حقيقة ام على قاعدة اعذب الشعر اكذبه . ؟ ثم ان مؤرخي الادب كما مر بك يذكرون بأنه بعد قتل المتوكل كان يتردد على بغداد وسر من رأى ويمدح سراتهما ويرتاد مجالسهم الخاصة والعامة فهل انه وفى بقوله هذا ؟ كما فعل على بن الجهم الذي ستأتيك ان شاء الله ترجمته في محله من هذا الكتاب .

جعفر بن قدامه

مؤلفات البحتري :

ذكر معجم الادباء(٢٦) ان للبحتري مؤلفات وهي : كتاب الحماسة على مثال حماسة ابي تمام ، وكتاب معاني الشعر ، وديوان في مجلدين جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف ، وجمعه ايضا علي بن حمزه الاصبهاني الاخباري ورتبه على الانواع كما صنع بشعر ابي تمام .

اقول وقبل الانتقال الى نهاية المطاف حول ترجمة البحتري ، الموجود الان من ديوانه مجلد مطبوع في بيروت سنة ١٩١١ قام بتحقيقه رشيد عطية . وهذا المجلد يحتوى على جزئين . ولم يكن مرتبا على الحروف او على الانواع كما ان فيه اغلاطا كثيرة . ولم نعرف هل ان هذا الديوان المطبوع هو جميع ما قاله البحتري للجواب عليه نساير ركب ذيل ما هو موجود في ديوانه المطبوع المشار اليه اعلاه بقلم الشارح . قال :

لا اقصد في ما سيلى الاطاحة بمحاسن هذا الديوان والاعراب عن

---

(٢٦) ج ١٩ ط : الدكتور احمد فريد رفاعي بك ص ٢٥١ .

منزلة البحتري بين الشعراء فان ذلك من شأن المؤرخين والنقده البيانيين فاذا لي ان اعد نفسي مؤرخا لاداب اللغة او ناقدا بيانيا فالمجال اضيق من ان يتسع للبحث في هذا الصدد والتبسط فيه الى حد الايضاح الوافي .

ولكن اريد الاشارة الى امرين لابد منهما . الاول ان ديوان البحتري على شهرته في عالم القريض وكثرة المتادبين الحائمين حول شرعته لم يطبع طبعا صحيحا مضبوطا خاليا من شوائب التحريف والتصحيف . فان طبعة الاستانه وهي الوحيدة التي عثرت عليها لاتكاد تجيل الطرف في صفحة منها حتى ترى اغلاطا فادحة مسخت المعنى مسخا واخلت بالوزن اخلالا شائنا ومع ذلك لم يسعنى لا اعتمادها في ضبط الديوان وشرحه فرأيت في كثير من الابيات سقطات نبهت الى بعضها في خلال الشرح وصححت البعض الاخر بلا اشارة اليه لانه اكثر من ان يحصى الخ .

اما الامر الثانى الذي اردته في هذا الذيل فهو الجواب على ما جاء في مجلتى المقتبس والمشرق حين تفريضهما الجزء الاول من هذا الديوان . فقد آخذتنى الاولى بحذف طائفه من ابيات الديوان ورأت واجب الامانة كان يقضي بأبقائها . وغريب من مجلة المقتبس وهي في عداد المجلات الراقية ان تعهد الى هذا المأخذ في حين ان المحذوف من الابيات انما هو مناف للادب في لفظه ومعناه فكان الواجب على تلك المجلة ان تشكرني على ما فعلت لا ان تحسب ذلك التهذيب سقطه تجيز النقد وتهيب بالصديق الى المؤاخذه . على ان الديوان سيوضع بين ايدى طلاب المدارس وقد لايحرم من نظرات السيدات ايضا فهل يليق ان يقرأوا فيه الفاظا يمجها الذوق وينكرها ادب هذا العصر ؟

اقول ويبين بصورة جليه ان ديوانه المطبوع لم يكن هو جميع شعره عدا ما قدمناه من انه في مرضه الاخير طلب من ابنه ان يجمع جميع اشعاره التي قالها في الهجاء وان يحرقها خشية ان يلحق ولده اذى منها بعد وفاته .

فلذا يمكننا ان نقول ان ما بين ايدينا لم يكن هو جميع شعر ابى عباده البحترى ومع هذا فان شعره في الطبقة العليا ويقال له سلاسل الذهب ورو‌ه عنه كثير من العلماء والادباء واكثر فيه من ذكر حلب والتغزل بها وفيـــه ايضا كثير من التشبيب بعلوه بنت زريعه الحلبيه وكان يهواها كما قدمنا .

وشرح ديوانه ابو العلاء المعرى وسماه عبث الوليد . وقد طرق سمعى ان هذا الشرح لابى العلاء قد طبع مؤخرا ولكن لم اطلع عليه .

وفاتــــــه :

يذكر مؤرخو الادب انه قد انتقل في آخر عمره الى الشام ثم رجع الى منبج وتوفى بها بداء السكته سنة (٢٨٤) على الاصح عن ثمانين سنة .

جعفر بن قدامــة

هو جعفر بن قدامه بن زياد الكاتب .

وكان له ولد اسمه قدامه وكان ولده (هذا نصرانيا اسلم على يـد المكتفى بالله وكان احد البلقاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وممن يشـار اليه في علم المنطق وكان ابوه جعفر ممن لايفكر فيه ولا علم عنده مات في سنة عشرين وثلثمائة(١)) .

ثم يذكر معجم الادباء ان كنية جعفر بن قدامة هذا هي ابو القاسم كمـا انه يقول عنه جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب(٢) .

اما الخطيب البغدادي(٣) فيقول هو احد مشايخ الكتاب وعلمائهم وكان وافر الادب حسن المعرفة وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها وحدث عن ابي العيناء الضرير وحماد بن اسحاق الموصلى ومحمد بن مالك الخزاعى ونحوهم روى عنه ابو الفرج الاصبهاني .

اقول يظهر بجلاء هذا التفاوت بين اقوال مؤرخى الادب حول جعفر بن قدامة فمعجم الادباء قد قال كما ذكرنا بان جعفر ممن لايفكر فيه ولا علـم

---

(١) معجم الادباء ج : ١٧ ص ١٢ و ١٣ بتصرف .
(٢) معجم الادباء ج : ٧ ص ١٧٧ .
(٣) الخطيب ج : ٧ ص ٢١٥ .

عنده والخطيب يقول عنه شهادته التي درجناها نقلا عنه . فهل هذا التباين حاصل من اختلاف في الاسماء او النقل عن السماع ؟ .

والذي اميل اليه اكثر ويكاد يوافق الحقيقة ان ماكتبه ياقوت في معجم الادباء فهو يناقض نفسه بنفسه اذ يقول : ونقلت من خط ابى سعيد معن بن خلف البستي مستوفي بيت الزرد والفرش السلطاني الملكنا هي بتولية نظام الملك قال : قال جعفر بن قدامه الكاتب .

اسمع بالله يا ابن الملك والنجدة مني
يومنا في الحسن والبهجة قد جاز التمني
فزرني نفسك الحسرة اولا فاستزرلي(٤)

ثم يذكر الاستاذ كوركيس عواد بانه (كان وافر الادب حسن المعرفة وله مصنفات في صنعة الكتابه وغيرها(٥)) .

ثم ان كتاب الديارات نفسه للشابشتي يذكر الاماكن التي يرتاها والجلساء الذين يلتقي معهم ويحادثهم . فيقول : وذكر ابن قدامة قال حضرت جنازة شاجي فلما انصرفنا دخلت مع عبيدالله مساعدا له ومؤنسا وهو مطرق ودموعه تجري على خديه فلم ار باكيا احسن منه ، ثم رفع رأسه واقبل علينا فقال :

يمينا بانى لوبليت بفقدها
وبى نبض عرق للحياة وللنكس
لا وشكت قتل النفس عند فراقها
ولكنها ماتت وقد ذهبت نفسي

---

(٤) معجم الادباء ج : ٧ ص ١٧٧ .
(٥) حاشية الديارات رقم (٤) ص ٧٢ .

من هو عبيدالله ومن هي شاجي :

لاجل ان نتوسع في قول صاحب الديارات نود ان نتكلم عن عبيدالله وشاجي اللذين وردا في الموضوع المؤيد لقيمة هذا الاديب الذي انكر عليه ياقوت بانه لا يفكر فيه ولا علم عنده .

ومحدثنا عن عبيدالله وشاجي هو الشابشتي في دياراته(٦) حيث يقول :

ولما خرج عبيدالله بن عبدالله بن طاهر من بغداد الى سر من رأى ، وكان المعتز استدعاه نزل هذا الدير(٧) فاقام به يومين واستطابه وشرب فيه ثم قال هـذه الابيات :

ما تـــرى طيـب وقتنـــا ياســـعيد
زمـــن ضـــاحك وروض نضـــيد
وريـــاض كأنهـــــى يـــــردد
كـــل يـــوم لهـــن صـــبغ جديـد
وكـــأن الشـــقيق فيهـــا عشـــيق
وكـــأن البهـــار صـــب عميـــد
وكـــأن الغصـــون ميـــلا قـــدود
وكـــأن النـــوار فيهـــا عقـــود
وكـــأن الثمـــر والـــورق الخضـــر
ثيـــاب مـــن تحتهـــن نهـــود
فاســـقنيها راحـــا تريـــح من الهم
وتبـــدى ســـرورنا ونعيـــد

(٦) الديارات تحقيق كوركيس عواد ص ٧١ .
(٧) المقصود دير العذراى أنظر البحث عنه في كتابنا تاريخ سامراء قديما وحديثا كما وانظر كتاب الديارات للشابشتي تحقيق الاستاذ كوركيس عواد ص ٦٩ .

واحثث الكأس يا سعيد فقد
حثك ناى وحرك عود

وافترع عذرة اللذاذات في دير
العذارى فعلها لا تعود

وعبيدالله من احسن الناس ادبا وشعرا وتصرفا في سائر العلوم مع كرم نفس وحسن خلق .

ولما وصل عبيدالله في سفرته المذكورة الى المعتز امره بالمقام عنده في ذلك اليوم فأقام . قال عبيدالله : فارسل المعتز الى شاربة ان تخرج فتعاللت عليه، فقال : عندى من يحب ان يسمعك واحب لك وله ذلك ، ولابد من حضورك . فخرجت فجلست خلف الستاره ، ثم قالت : لولا الزائر ماجئنا فأول صوت غنته :

غشيت النازل بالانعم
كمنعرج الوشم في المعصم

ثم غنت بعده :

لقد راعني للبين صوت حمامة
على غصن بان جاوبته حمائم

فقال لى المعتز : كيف تسمع به قلت ، اسمع شيئا حظ العجب منه اكثر من حد الطرب فاستحسن هذا الكلام من ثم اسمعنى زمزم زام الزامر وقد ضعف وارعش وازمنه النقرس . واراني الالة التي عملها احمد بن موسى المهندس من صغر يرسل فيها الماء فيسمع لها زمر السرناى . ثم ادخلني الى شباك وأمر ان يجمع بين السبع والفيل ، فرأيتهما كيف يتواثبان . ثم قال لى : أذكر اني اريتك اربعة اشياء طريفه . قلت : نعم يا سيدى . قال ايها اظرف

عندك ؟ قلت : غناء شاريه . فقال لي : صدقت ! قال جحظه : دخلت على عبيدالله بن عبدالله بن طاهر يوما ، فجاءه مشيخه فأمرهم بالجلوس عن يمينه . وجاءه كهول ، فأمرهم بالجلوس عن شماله . ودخل احداث فوقفوا بين يديه ولم يأمرهم بالجلوس . فسألته عنهم فقال هؤلاء بني وأوصى الى الشيوخ وهؤلاء بنوهم وأوما الى الكهول وهؤلاء بنوهم وأوما الى الاحداث قلت بنوك لام اولا مهات شتى ؟ قال ام جميعهم شاجي ، وانشد :

زرعت وشاجي بيتنا في شبيبتي
غراس الهوى فاعتم بالثمر العذب
فشاب بنو شاجي لظهري وادركوا
وشاب بنوهم وهي مالكة قلبي

قال : وهي معي منذ سبعون سنة . وكان بعض المنجمين حكم بموته قبلها فماتت قبله ، فقال :

فيا عجبا مني وممن رعيته
بأوكد اسباب الهوى ورعاني
وكنت أرجى ان اكون فداءه
فلما أتى وقت الحمام فداني

ويقول الاستاذ كوركيس عواد في حاشية الديارات(٨) انها كانت (اى شاجي) جارية لعبيدالله بن عبدالله بن طاهر . وكانت احدى المحسنات المبرزات المتقدمات في الغناء . وفي نشوار المحاضرة قصة جرت لها وسائر اخبارها في الاغاني ونهاية الارب .

---

(٨) حاشية الديارات رقم (٣) ص ٧٣ .

جعفر بن قدامة يحدث عن اسحاق الموصلي :

ذكر معجم الادباء(٩) هذا الحديث بقوله : وقال جعفر بن قدامة : حدثني علي بن يحى المنجم قال : سأل اسحاق الموصلي المأمون ان يكون دخوله اليه مع اهل العلم والادب والرواة ، لامع المغنين ، فاذا اراد الغناء غناه ، فأجابه الى ذلك ، ثم سأله بعد ذلك بمدة ، ان يكون دخوله مع الفقهاء ، فأذن له في ذلك ، فكان يدخل ويده في يد القضاة ، حتى يجلس بين يدى المأمون ، وسأل اسحاق المأمون ان يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة فضحك المأمون وقال : ولا كل هذا يا اسحاق ، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة الف درهم وأمر له بها .

برد وغثاثته :

قال ياقوت(١٠) : قرأت في كتاب المحاضرات لابى حيان قال : وقلت للعروض : اراك منخرطا في سلك بن قدامة ، ومنصبا اليه ، ومتوفرا عليه ، وكيف يتفق بينكما ، وكيف تأتلفان ولا تختلفان . فقال : اعلم أن الزمان وقت الاعتدال ، والرجل كما تعرف على غاية البرد والغثاثه وخساسة الطبع ، وانا كذا تعرفني وتشبتني ، فاعتدلنا الى ان يتغير الزمان ، ثم نفترق ونختلف ولا تتفق وانشأ يقول :

وصاحب اصبح من برده
كالماء في كانون او في شباط

ندمانه من ضيق اخلاقه
كأنهم في مثل سم الخياط

(٩) ج : ٦ ص ٩ .
(١٠) المصدر السابق ج : ٧ ص ١٨١ .

نادمته يوما فألفيته
متصل الصمت قليل النشاط
حتى لقد اوهمن انه
بعض التماثيل التي في البساط

« نماذج من شعره »

١ ــ تاه عقلى به وحق النبي

كيف يخفى وان أتانى نهارا
كسف الشمس بالجمال البهى
فكلا حالتيه يفضح سرى
وينادى بكل أمر خفى
بابى احسن الانام جميعا
تاه عقلى به وحق النبي(١١)

٢ ــ وفاء لصديق :

قال ابن بشران وفي سنة عشرة وثلاثمائه ، أخرج علي بن عيسى الوزير الى اليمن منفيا ، فقال ابو القاسم ، جعفر بن قدامة الكاتب في ذلك(١٢) .

اصبح الملك واهى الارجاء
وأمور الورى بغير استواء
منذ نادت نوى على بن عيسى
واستمرت به الى صنعاء

---

(١١) معجم الادباء ج : ٧ ط الاخيرة ص ١٧٨ .
(١٢) معجم الادباء ج : ٧ ط الاخيرة ص ١٧٩ .

فوحــــق الـــذي يميـــت ويحـــى
وهـــو الله مـــالك الاشـــــياء

لقـــد اختبـــل بعـــده كـــل أمـــر
واســـتبانت كآبـــــة الاعـــــداء

ثـــم صـــاروا بعـــد العـــدادة واللـــه جميعا في صورة الاولياء

يتألـــون كلهـــم فـــي علـــى
انـــه قـــد خـــلا مـــن النظـــراء

٢ ـ مـــاذا

ومن شعره ايضـــا(١٣)

تســـمع (مـــت مثلك) بعـــض قولـــى
ولا تتســـللن منـــى لـــو اذا

اذا أشـــعرت بالهجـــران جســـمى
ومـــت بغصـــتى فيكـــون مـــاذا

٤ ـ ضيعت بعـــدك :

ولجعفر بن قدامه يمدح ابن الفرات(١٤) ٠

يا ابـــن الفرات وياكريـــم الخيـــم محمود الفعال ٠

ضـــيعت بعـــدك واطرحـــت وبان للنـــاس اختـــلالى
وتغـــيرت مـــــذ غـــــيرت
احـــوالك الايـــام حالـــى

(١٣) معجم الادباء ج : ٧ ط الاخيرة ص ١٨٠ ٠
(١٤) معجم الادباء ج : ٧ ط الاخيرة ص ١٨٠ ـ ١٨١ ٠

لهفـــا ابـــا حســـن علـــى
ايامـــك الغـــر الخوالـــى
لهفـــا عليهـــا انهـــا
بليـــت باحـــوال بوالـــى

ملاحظـات لابـد منهـا :

ان من يقرأ ترجمة جعفر بن قدامة في معجم الادباء لياقوت الحموى يجد خلطا كثيرا في الموضـوع .

فقد ورد في الجزء السابع ص ١٧٨ من المعجم ما يلي :

وقال ابو محمد عبيدالله بن ابى القاسم عبد المجيد بن بشران الاهوازى في تاريخه : مات ابو القاسم جعفر بن قدامه بن زياد يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخره سنة تسع عشرة وثلاثمائة ١ هـ وورد في المعجـم نفسـه الجزء السابع عشر ص ١٢ و ٣ في ترجمة قدامة ابن جعفر بن قدامة الكاتب . ما يلـي .

مات في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة في ايام المطيع ، وانا لا اعتمد علـى ما تفرد به ابن الجوزى لانه عندى كثير التخليط ولكن آخر ما علمنا مـن امر قدامة ان ابا حيان ذكر انه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة ابى سعيد السيدانى وفي المعظفى في سنة عشرين وثلاثمائه .

كما جاء في المعجم نفسه ص ١٣ و ١٤ ما يأتى :

ان قدامة بن جعفر كان كاتبا لبنى بويه وجهل في هـــذا القول فـان قدامة كان اقدم عهدا . ادرك زمن ثعلب والمبرد وابى سعيد السكرى وابـن قتيبه وطبقتهـم .

فان ماجاء في الجزئين السابع والجزء السابع عشر يجد مقاربة في تأريخ

وفاة قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب وبين والده جعفر بن قدامة ٠

ولم ندر هل ان هذا التباين قد جاء من تشابه الابن بالجد ام هناك عدم تحقيق في هذا الموضوع ؟

اما الاستاذ كوركيس عواد(١٥) فانـه يذكر بانه (مات سنة ٣١٩ هـ (٩٣١) ويذكر بان ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ومعجم الادباء والاغانى ونهاية الارب ٠ ويلوح من تحديد سنة وفاته التي ذكرها انه قد اعتمد علـى رواية معجم الادباء كما ذكرناها اعلاه ٠

(١٥) حاشية الديارات رقم (٤) ص ٧٢ ٠

المحتويات

ياتي هذا الكتاب الذي تعهدته مطبعة دار القادسية ضمن مجموعة من الدراسات للمرحوم الشاعر الاديب السيد عبد الرزاق شاكر البدري ، والذي اوصى بطبعها بعد وفاته ..

ان كتاب شعراء وادباء العصر العباسي في القرن الثالث الهجري يتناول حياة وشعر والنشاط الادبي لمجموعة الشعراء الذين عاشوا ابان الخلافة العباسية في سامراء والتي استمرت لاكثر من نصف قرن (٢٢٢ – ٢٧٤ هجرية) او للشعراء الذين قضوا معظم حياتهم في عاصمة الدولة العربية الاسلامية خلال القرن الثالث الهجري ، وهم شعراء وادباء بعضهم معروف للعامة والخاصة وبعضهم لايعرف به الا القليل ...

واخيرا لابد من الاشارة الى ان المؤلف قد صدرت له دراسات اخرى عديدة منها :–

١ – سيرة الامام العاشر – علي الهادي – دار القادسية
٢ – نساء من بلادي : الاتحاد العام لنساء العراق

وفي تراثه العديد من الدراسات منها :–

١ – القرامطة في التاريخ
٢ – سامراء قديما وحديثا
٣ – من نوادر الادب واللغة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٧٥ لسنة ١٩٨٦
مطبعة دار القادسية / بغداد